ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

جميع الحقوق محفوظة

فداك أبي وأمي ونفسي يا رسولَ اللهﷺ!

(حُق لكل شاعر مسلم أن يفدي رسول الله بأبيه وأمه ونفسه وشعره!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

ولا رسول الله

(يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول ، أهل الفقه والخبرة ، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية ، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا ، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه ، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر ، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك ، ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه".هـ. لقد كثرت الأقلام التي تنال من النبي – صلى الله عليه وسلم - ، (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون). والأصل أنْ لا نقف مكتوفي الأيدي ، بل ندافع عن رسول الله ونصد هذه الهجمة الشرسة! قال الله تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). رواه البخاري. والله سبحانه وتعالى قد تولى الدفاع عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأعلن عصمته له من الناس مهما كانت الظروف ، يقول الله - تعالى -: (والله يعصمك من الناس) وأخبر سبحانه أنه سيكفيه شرور الساخرين منه والمستهزئين به (إنا كفيناك المستهزئين) سواء كانوا من قريش أو من غيرهم ، إلى قيام الساعة ، وسواء في ذلك أكانوا عرباً أم عجماً! وذكر الله سبحانه وتعالى في مواضع أخرى أنه كفاه غيرهم كقوله في أهل الكتاب (فسيكفيكهم الله..) وقال: (أليس الله بكافٍ عبده)؟ قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "وقد فعل تعالى ، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قِتلة.أهـ. والله تعالى يقول: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ). وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: " كان رجل نصراني ، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبتُ له ، فأماته الله فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فِعْل محمدٍ وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه". قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ) ، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً). وقال: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ). وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: "يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً ، فقد بارزني بالمحاربة")

بـــالقريض العـــذب أطـــري المصـــطفى وجميـــــعَ الأهـــــل أربـــــابَ الوفـــــا

وجميـــعَ الصـــحب أعـــلامَ الهُـــدى رفقـــــة الخيـــــر وأصـــــحابَ الصـــــفا

يـــا نبـــيَ الحـــق لا تعبـــأ بمـــا خطـــــه وبـــــشٌ طغـــــى ، واســـــتنكفا

هجمـــــة قـــــد أضـــــرمتْ نيرانهـــــا عنـــــدما أمســـــى الغثـــــا مُستضـــــعفا

فـــــإذا بـــــالغرب يســـــتعلي بهـــــا مســـــــتخفاً ، رافضـــــــاً أن يَعْرفـــــــا

مُعلنـــــاً حريـــــة لـــــم يحتـــــرم مَـــــن أقاموهـــــا النبـــــي المصـــــطفى

واســـــتباحوا عِرضـــــه فـــــي خســـــةٍ وغـــــدا التلفيـــــقُ ســـــيفاً أســـــيفا

وأهـــــاجوا كـــــل عبـــــدٍ مـــــؤمن لانتصـــــار الحـــــق والتقـــــوى هفـــــا

واســـــتمرّوا فـــــي التعـــــدي والأذى جهـــــرةً حينـــــاً ، وحينـــــاً فـــــي الخفـــــا!

فتنـــــة عمـــــتْ بـــــلاداً طالمـــــا سَـــــعرتْ حربـــــاً يُغـــــذيها الجفـــــا

كـــــل عِلـــــج يحتســـــي مِـــــن قيحهـــــا كلمـــــا عـــــبّ الكـــــؤوسَ اســـــتأنفا

مســـــتغلاً ضـــــعفَ قـــــوم حُضّـــــر جُلهـــم - فـــي العـــيش - يهـــوى الزخرفـــا

قنعـــــوا بالـــــدون حتـــــى زُلزلـــــوا كقطيـــــع عـــــن رُبـــــا المرعـــــى غفـــــا

ضـــــعُفوا عـــــن أن يُعِـــــزوا دِيـــــنهم ثـــــم بـــــاتوا – بالمعاصـــــي - أضـــــعفا

تبعـــــوا الأعـــــداء فـــــي إفلاســـــهم فاســـــتحال الرّبْـــــعُ قاعـــــاً صفصـــــفا

وإذا بـــــالكفر يبـــــري قوسَـــــه طامعـــــاً - فـــــي الـــــدار - أن تســـــتنزفا

جامعـــاً مِـــن كـــل صُـــقع جنـــده مُبـــدياً كيـــداً ، علينـــا مـــا اختفـــى

بعـــــدما أغـــــرق داري بالخنـــــا واعتـــدى قســـراً ، وجهـــراً عجرفـــا

منطـــقُ القـــوة أغـــرى حمقـــه حيـــث أضـــحى - فـــي التجنـــي - مُجْحِفـــا

أيهـــا الغـــربُ لـــدينا صـــحوة لســـت تلقـــى - مِـــن لظاهـــا - مَصـــرفا

فـــي هجيـــر القـــيظ هـــذي واحـــة تمـــنحُ الظـــل الظليـــلَ المُورفـــا

تُرجـــعُ الحـــقَ ، وتُعلـــي شـــأنه وتعـــادي مَـــن غـــوى ، أو زيّفـــا

الإعصار

(مهما كتب الكاتبون وقصّد الشعراء قصائدَهم متحدثين عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فما وفوه حقه العظيم. وهذه هي أولى قصائدي عنه (صلى الله عليه وسلم) وأنا فيها أشبه بعثته – كما يتجلى من عنوان القصيدة - بالإعصار الذى ذهب بالكفر والكافرين ، والشرك والمشركين ، والأوثان والوثنيين ، والخرافة والخرافيين إلى غير رجعة. إن البعثة في تصوري تجديد لهذا الدين العظيم (الإسلام). فلقد جدد النبي (صلى الله عليه وسلم) ملة أبيه إبراهيم ودين إخوانه الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه من لدن آدم ونوح وحتى المسيح ابن مريم – عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه –. فببعثته بُعثتْ أمة موحدة من رقدة العدم. ليس هذا فقط بل زال الشرك والكفر ، وطهرت الأرض ، وعاد إليها التوحيد الحق. تحدث شعراء كثيرون عن ميلاد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأتحدث عن بعثته (صلى الله عليه وسلم) ، وكلاهما حدث تاريخي هام غيّر الحياة والأحياء. غير أن البعثة أهم في وقعها من الميلاد. يقول الأستاذ الدكتور عادل بن علي الشدي تحت عنوان: (في رحاب السيرة النبوية) ما نصه: (أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن بعثته علامة من علامات الساعة ودليل على قرب قيامها ، حيث إنه - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ، فلا نبي بعده. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، ومنها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين - يعني أصبعيه: السبابة والوسطى -». وهذا الحديث وغيره مما هو في معناه يدل على أن بعثته - صلى الله عليه وسلم - أول أشراط الساعة ، فهو خاتم النبيين وآخر المرسلين ولا نبي بعده ، وإنما يليه قيام الساعة ، كما يلي في الأصابع السبابة الوسطى ، كما ورد هذا التشبيه في الأحاديث الماضية. قال القرطبي - رحمه الله - وهو يتحدث عن أشراط الساعة: أولها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه نبي آخر الزمان ، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي! وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - وقد فسر قوله - صلى الله عليه وسلم : «بعثت أنا والساعة كهاتين» فقرن بين السبابة والوسطى ، بقرب زمانه من الساعة كقرب السبابة من الوسطى وبأن زمن بعثته تعقبه الساعة من غير تخلل نبي آخر بينه وبين ذاك النبي).هـ. يقول الأستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب عن فقه المجد ما نصه: (يقول عبد الرحمن الكواكبي: إن المجد هو إحراز المرء مقام حب واحترام في القلوب وهو مطلب طبيعي شريف لكل إنسان لا يترفع عنه نبي أو زاهد. ولا ينحط عنه دنيء أو خامل. للمجد لذة روحية تقارب لذة العبادة عند الفانين في الله ، وتعادل لذة العلم عند العلماء ، وتربو على لذة امتلاك الأرض مع ثمرها عند الأمراء ، وتزيد على لذة مفاجأة الإثراء عند الفقراء. لذا يزاحم المجد في النفوس

منزلة الحياة. والحاصل أن المجد هو المجد. محبب للنفوس لا تفتأ تسعى وراءه وترقى مراقيه ، وهو ميسر في عهد العدل لكل إنسان حسب استعداده وهمته ، وينحصر تحصيله في زمن الاستبداد بمقاومة الظلم حسب الإمكان. ويستطرد الكواكبي في قضية اختيار المجد على الحياة. حيث طالما أشكل على الباحثين أي الحرصين أقوى؟ حرص الحياة أم حرص المجد؟ والحقيقة التي عوّل عليهما المتأخرون ، أن المجد مفضلٌ على الحياة عند النجباء والأحرار حمية ، وحب الحياة ممتاز على المجد عند الأسراء والأذلاء طبيعة ، وعند الجبناء والنساء ضرورة. يقول الإمام علي: من أمضى يومه في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه. وكان سعد بن عبادة يقول: اللهم هب لي حمداً ومجداً ، ولا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحني ولا أصلح إلا عليه).هـ. وأعود للبعثة النبوية!)

هطلتْ بأصقاع الدنا الأمطارُ وانفكتِ الأغلالُ والأسحارُ

وانزاح كربٌ في القلوب وغمة وتزلزل الضُلال والأشرار

ودهتْ مجوسَ الأرض أغبرُ عِلةٍ وغدا - بأيدي الفاتحين - سُوار

والرومُ بعدُ ، فمستباحٌ عزها والقيدُ زال ، وشُرّدَ الكفار

والشركُ غيلَ ، وسُربلتْ أوتادُه ورأى الهوانَ ، وذاقه الفجار

وتحطمتْ أصنامُ كل قبيلةٍ (وسلومها) ، والوُثنُ ، والأحجار

وانهد – جبراً - بأسُ كل معربدٍ وترنمتْ – لرحيله - الأطيار

وتبسمتْ أمُ القرى وجبالها وتلألأت- من حولها - الأمصار

بُعثَ النبيُ ، فيا خليقة أبشري وليهنأ الرئبالة الأخيار

جاءَ البشيرُ ، فحق أن تتعطري وتُقلدي تاجَ الهُدى يا دار

والنورُ أشرق في الديار ، وعمّها واجتاحَ - ما غصتْ به - الإعصار

وأعيدَ للدنيا التشامخ والضيا والرشدُ عانق نورَه الأبرار

وبكـــل خســـر بـــاء أصـــحابُ الهـــوى واستبشـــــر الرهبـــــانُ والأحبـــــار

والعـــدلُ ســـاد ، ورفرفـــتْ راياتُـــه والظلـــــم بـــــادَ ، وبـــــادتِ الأوزار

والبيـــتُ عمّـــره التقـــاة تنســـكاً وتوافـــــد العُبـــــادُ والـــــزوار

وســـتحكم الـــدنيا شـــريعة (أحمـــدٍ) ولتخســـــأ الصُـــــلبان والأحجـــــار

وعلـــت شـــريعة (أحمـــدٍ) كـــل الـــدنا كـــالأرض تحيـــي مَيْتهـــا الأمطـــار

وسينصـــر الجبـــار ديـــن (محمـــدٍ) فليخســـــإ القـــــانونُ والخمّـــــار

والظـــالمون الحـــقُ أزهـــقَ ظلمهـــم وضـــلالهم ، لـــم ينفـــع الإصـــرار

رب الســـما والأرض هـــازمُ جمعِهـــم فهـــو العزيـــز الغالـــب الجبـــار

والأمـــر أمـــر الله ، لا صُـــدَفٌ ولا شُـــبَهٌ هنالـــك ، إنهـــا الأقـــدار

بعـــث النبـــيُ ، فيـــا خليقـــة فـــاخري إن انتســـــابك للنبـــــي فخـــــار

والصـــحبُ رامـــوا جنـــة يـــوم الجـــزا مِـــن تحتهـــا تتـــدفق الأنهـــار

يـــا ليـــت شـــعري كيـــف هـــم قهـــروا العـــدا؟ شـــهدتْ بـــذلك أنجـــدٌ وقِفـــار

مـــا بـــين قـــوم هـــاجروا بـــرعيلهم إذ أحـــدقتْ بقـــراهمُ الأخطـــار

وهنـــاك قـــوم هـــاجروا وتجـــرّدوا إن الألـــى آوَوْا هـــمُ الأنصـــار

صـــلى المليـــك علـــى النبـــي وآلـــه والصـــحبِ مَـــن خلـــف المؤيّـــد ســـاروا

وعقائـــلِ أزواجِـــه خيـــرِ النســـا مـــا جـــنّ ليـــلٌ ، واعـــتلاه نهـــار

والتـــابعون ســـبيله ورشـــادَه مـــا ضـــاء نجـــمٌ ، واحتـــواهُ مَـــدار

الوحدة العربية: (6974). 4 من جمادى الآخرة 1416هـ. 28 من أكتوبر1995م

حوار مع القلم (نهج نهج البردة)

(في غزوة الرَّجيع أمسك مشركو مكة الصحابي ذا القدر العظيم زيد بن الدثنة – رضي الله عنه – ليقتلوه بعد أن أخذوه أسيراً. فقال له أبو سفيان (الذي لم يكن قد دخل في الإسلام حينئذ): أستحلفك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب محمداً في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه الشوكة وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. (روى هذا الأثر البيهقي). وروى الشيخان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). وأخرج الطبراني أن رجلا جاء الي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إنك لأحب إليّ من نفسي ، وإنك لأحب إليّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك! وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبين ، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى نزل جبريل بهذه الآية: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، وحسن وأولئك رفيقاً). إننا مهما كتبنا عن رسول الله ما وفيناه حقه. وقد نهانا النبي عن مدحه – صلى الله عليه وسلم – وزجرنا عن ذلك . وما رأيت المدائح النبوية على مر العصور لم تخل من الإطراء والمغالاة ، رأيت أن أسطر قصيدة أعلن فيها عن خالص حبي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فالإعلان عن الحب يختلف عن المديح الغالي والإطراء الذى يخرج بالنبي عن كونه بشراً يوحى إليه. واخترت البردة البوصيرية لأعارضها. وعزمت على نقش مقدمه تاريخية نشير عبرها إلى تاريخ البردة ومن عارضها ونسج على منوالها. إن هذه القصيدة نقشتُها على أسلوبيه قصيدة البُردة للصحابي الشاعر الكبير – كعب بن زهير – رضي الله عنه ، ولستُ أول من كان له شرف الكتابة على هذه البردة ، بل كانت هناك محاولات عدة نذكر منها ستة على سبيل المثال ، وهو الأمر الذي اتسع إليه علمنا ، وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على جمال البردة الأصلية وإبداعها وأهميتها تاريخيا وأدبيا ودعويا ، فقلد صاغ كعب بن زهير – رضي الله تعالى عنه – بردته وأنشدها أمام النبي – صلى الله عليه وسلم ، وكان أن خلع النبي بردته ، وألبسها كعباً بن زهير لتكون علامة على رضاه ويكون في أمان بعد أن أهدر دمه لأنه في جاهليته كان يناوىء دعوة الإسلام ونبي الإسلام بشعره ، وكان أن أهدر النبي – صلى الله عليه وسلم – دمه. نعم ، لقد كان شديد الهجاء للنبي وأصحابه ، فتوعده المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأهدر دمه ، إلا أن يجيء مسلما تائبا ، فلما لم تجرْه القبائلُ عاد فهدى الله تعالى قلبه وأسلم ،

وأنشد بردته وأهداه النبي بردته وظلت عنده وفي وأولاده ، حتى بيعت لمعاوية بعشرين ألف درهم ، ثم بيعت للخليفة المنصور العباسي بأربعين ألف درهم ، علي ما تذكر لنا كتبُ السير والتاريخ. يقول كعب بن زهير بن أبي سُلمى – رضي الله تعالى عنه -:

بانت سعادُ ، فقلبي اليوم متبولُ مُتيمٌ إثرها ، لم يفد مكبولُ

وما سعادُ غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مَكحول

هيفاء مُقبلة عجزاء مُدبرة لا يشتكي قِصرٌ منها ولا طول

ثم بعد ذلك كتب شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد البوصيري قصيدة على نهجها أسماها (نهج البردة) – وإن كان عليها بعض المآخذ وفيها بعض الزلات - قال في مطلعها:

أمِن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى مِن مُقلة بدم

أم هبت الريح مِن تلقاء كاظمة وأومض البرقُ في الظلماء من إِضَم

فما لعينيكَ ، إن قلت: اكفُفا ، هَمَتَا! وما لقلبك إن قلت: استفقْ يَهم!

أيحسب الصبُّ أن الحب منكتمٌ ما بين منسجم منهُ ومضطرم؟

ثم كتب أحمد شوقي بردته الشوقية ، متأثراً فيها بالبوصيري ، والتي يقول مطلعها:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلَ سفك دمي في الأشهُر الحُرُمِ

رمى القضاءُ بعينيْ جؤذر أسداً يا ساكن القاع ، أدركْ ساكنَ الأجم

لما رمى حدثتني النفسُ قائلة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمِي!

وكان أن ختمها أحمد شوقي بهذا الابتهال الرقيق اللطيف الذي يصف حال الشعوب فقال:

يـــا رب هبـــتْ شـــعوبٌ مـــن منيّتهـــا واســـتيقظتْ أمـــمٌ مِـــن رَقـــدة العـــدمِ

ســـعدٌ ونحـــسٌ ومُلـــكٌ أنـــت مالكـــه تُـــديلُ مِـــن نعـــم فيـــه ومِـــن نِقَـــم

رأى قضـــاؤكَ فينـــا رأي حكمتـــه أكـــرمْ بوجهـــك مـــن قـــاضٍ ومنـــتقم!

يـــا رب أحســـنتَ بـــدءَ المســـلمين بـــه فـــتمم الفضـــل ، وامـــنحْ حُســـن مختـــتم

ثم كتب الشاعر محمود سامي البارودي بردته البارودية متأثراً كذلك بالبوصيري ، فقال:

محمـــدٌ خـــاتم الرسَّـــل الـــذي خضـــعتْ لـــه البريـــة مـــن عُـــرب ومـــن عجَـــمِ

ســـميرَ وحـــي ، ومَجنـــى حكمـــةٍ ونـــدىً ســـماحة وقِـــرىً عـــافٍ وريُّ ظَمـــي

قـــد أبلَـــغَ الـــوحيُ عنـــه قبـــل بعثتـــه مســـامعَ الرســـل قـــولاً غيـــرَ منكـــتم

فـــذاك دعـــوة (إبـــراهيم) خالقـــهِ وســـر مـــا قالـــه (عيســـى) مِـــنَ القِـــدَم

ثم كتب الشاعر الأديب علي أحمد باكثير سنة 1352هـ البردة الباكثيرية ، على نهج بردة البوصيري ، وإن كان قد غلب الجانب المشاعري والعاطفي أكثر من سابقيه ، يقول مطلعها:

يـــا نجمـــة الأمـــل المَغْشـــي بـــالألمِ كـــوني دليلـــيَ فـــي مُحلولـــك الظلـــمِ

فـــي ليلـــةٍ مِـــن ليـــالي القـــر حالكـــة صـــخابة بصـــدى الأريـــاح والـــدَّيَم

دجـــيً تتـــالي كـــأمواج المحـــيط بهـــا عقلـــي وقلبـــي وطرفـــي كـــلُّ ذاك عمـــي

ثم يقول علي أحمد باكثير – رحمة الله عليه – في الخاتمة مصلياً على النبي وآله وصحبه:

ثـــم الســـلام علـــى طـــه وعِترتـــهِ وآلـــه قرنـــاء الـــذكر فـــي الحـــرمِ

على البتول ، على الكبرى على حسن علـى حُسـين ، علـى أزواجـه العُصُـم

واختـتم بمسـك تحيـات يفـوح علـى محمـــدٍ ، خيـــر مبـــدوءٍ ومختـــتم

ما أومض البرق في الظلماء من إضم ومـا عطـا الـريم بـين البـان والعلـم

وكتب الشاعر الكبير الأستاذ / على جاد مطر البردة المطرية في سنة 1950م وفي حفل الهجرة ، وإن كان الأستاذ مطر قد عُرف خطيباً مفوهاً وكاتباً نحريراً ، ولكنه بها شاعر ، يقول في مطلعها:

قـم حـيّ (أحمـد) خيـر الخيـر كلهـم زيْن الورى ضارب الأمثال في الكرمِ

أدى رســـــالته بـــــالحق كاملـــــة وأخـرج النـاس مـن شـركٍ ومِـن ظلـم

ثم يختتمها الشاعر الفذ الجهبذ بهذه الحكمة ، وما أروع حكمه رحمه الله تعالى - بقوله:

عـش سـاعة مـن حيـاة الأسْـد واحـدة ولا تعـش ألـف عـام عيشـة الغَـنَمِ

وأخيراً كتب الشاعر الشيخ أبو زيد إبراهيم سيد البردة الزيدية والتي يقول في مطلعها:

مـاذا أقـول؟ ومـا يُفضـي بـه قلمـي؟ فـإنَّ مـدحك فـوق الوصـف والكلـمِ

لكنهـــا لغـــة العُشـــاق أرســـلها إلـى الحبيـب الـذي نجـى مـن الظَلـمِ

وختم الشاعر بردته الزيدية بهذا الدعاء الجميل مصلياً على النبي وعترته ، وداعياً لأمته فقال:

يـا رب صـلِّ علـى الهـادي وعترتـه خيـر البريـة ، خيـر الخلـق كلهـمِ

يـا رب ، وانصـر علـى الأعـداء أمتنـا وحـرر القـدسَ مِـن عـادٍ ومنـتقم

يـا رب ، واجعـل بـلاد المسـلمين بهـا كـل الرخـاء ، وكـل الخيـر والسَّـلَم

والأصل أنني أترك هذه البردة لتكون محاولة من بعدي لينسج الشعراء على منوالها! لأن المرء يعمل ويخلص وعلى الله القبول. وأي البردات قبلها الله من

صاحبها؟ لا يعلم ذلك إلا الله. وأسأل الله قبول بردتي عنده. وفي مقالة للأستاذ محمد المنجد عنوانها: (اترك أثراً قبل الرحيل يقول في خاتمتها ما نصه: (عن أنس – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «مثل أمتي مثل المطر ، لا يُدرى أوله خير أم أخره». إن مدلولات لفظة المطر أو الغيث كما في بعض ألفاظ الحديث ، تعبر عن مكامن الخير في هذه الأمة ، فالغيث رحمة مهداة من الله تعالى إلى خلقه ، وبه يحيي الله الأرض من بعد موتها. وهكذا تكون همة أهل الخير في كل زمان ، ولسان حال أحدهم: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة). والغيث يأتي الناس في حال شدة ، وقنوط ، ويأس ، وهذه الأمة الإسلامية أمة خير وعطاء ، أمة لا تيأس ، ولا تلين ، ولا تستكين على مر التاريخ ، ولقد مرت بديار الإسلام في تاريخها الطويل أزمات وأزمات ، وحلت بها بلايا ونكبات ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وفي كل مرة تخرج هذه الأمة من مآزق كبرى أصلب عوداً ، وأشد إيماناً ، وفي كل مرة يظن أهل الكيد والمكر أنهم قدروا عليها ، ولكن الله لهم بالمرصاد ، قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ). ولما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ). وقوله جل وعلا: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ، فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم ، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة ، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية ، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه نافسه وحاول اللحاق به ، بل مجاوزته ، فكان تنافسهم في درجات الآخرة ، واستباقهم إليها كما قال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) ، قال النووي - رحمه الله-: قوله (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). قال ابن القيم - رحمه الله - في معرض حديثه عن فضل العلم: (وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد ، فيا لها من مرتبة ما أعلاها ، ومنقبة ما أجلها وأسناها ، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله ، أو في قبره وقد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة وصحف حسناته متزايدة ، تملى فيها الحسنات كل وقت ، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب ، تلك والله المكارم والغنائم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وعليه يحسد الحاسدون ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها ويسبق السابقون إليه ، وتوفر إليها الأوقات ، وتتوجه نحوها الطلبات ، فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته ،

ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنِّه وكرمه ، وأصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السماء ، كما قال بعض السلف من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء). وعن أبي هريرة (عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته». «ونشره» هو أعم من التعليم فإنه يشمل التأليف ووقف الكتب. قال السندي - رحمه الله -: جعل نفس العمل في قوله تعالى: (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قوله: «ومصحفاً ورثه» من التوريث أي تركه إرثاً وهذا مع ما بعده من قبيل الصدقة الجارية حقيقة أو حكماً فهذا الحديث كالتفصيل انقطع عمله إلا من ثلاث. «ورثه»: أي تركه للورثة ولو ملكاً ، وفي معناه كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب. «أو مسجداً بناه»: وفي معناه مدرسة العلماء ورباط الصلحاء. «أو بيتاً لابن السبيل»: أي المسافر والغريب. «أو نهراً أجراه»: أي جعله جارياً لينتفع به الخلق. قوله «في صحته وحياته»: أي أخرجها في زمان كمال حاله ، ووفور افتقاره إلى ماله وتمكنه من الانتفاع به. وفيه ترغيب إلى ذلك ليكون أفضل صدقة كما يدل عليه جوابه (لمن قال: أي الصدقة أعظم أجراً؟) فقال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح...» الحديث ، وإلا فكون الصدقة جارية لا يتوقف على ذلك. عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه - عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: مرابط في سبيل الله ، ومن عمل عملاً أُجْرِيَ له مثل ما عمل ، ورجل تصدق بصدقة فأجرها له ما جرت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له»).هـ. ولا أدعي لنفسي أن الذي كتبته متأثراً بمطلع بردة البوصيري ، أنه أفضل مِنَ الذي كتبه غيري من الشعراء ، وإنْ هو إلا شرف المحاولة وعاطفة الانفعال للشعر ، نعم تأثرتُ بما كتبوا ، ولكنْ أثر فيَّ أكثر مطلع البوصيري ، وعذوبة أداء كعب بن زهير ، وحكمة الأستاذ على مطر ، وتقسيم أحمد شوقي ، وحماس البارودي ، وإيحاءات علي أحمد باكثير ، وشبابية أبي زيد إبراهيم ، فكتبتُ هذه القصيدة التي أسميتُها: حوار مع القلم ، أو نهج نهج البردة! وأكتفي بهذا في التقديم ، وأشهد الله أني جعلتُ شعري كله من باب (علم ينتفع به) ، ولنتابع قصيدتنا نهج نهج البردة! وأعتذر اعتذاراً بليغاً عن الإطالة ، وأسأل الله أن لا تكون مملة سقيمة لا فائدة فيها! إنما أردتُ من خلالها أن أؤرخ للبردة منذ

كانت ، إلى ما انتهى إليه علمي! وكم سعدتُ أن شعراء كثيرين كانوا قد عارضوا كعباً بن زهير أو البوصيري أو شوقي! ولا شك أن البردة تعكس مقدرة وثقافة!)

أمِـــن تـــذكُرِ مبعـــوثٍ ، وذي ســـلَمِ ... شجَّ الجَوَى مُقلتي ، وانسابَ نهرُ دَمي؟

فـي بُـردةٍ سُـطِرَتْ مـن أعصُـر سـلفتْ ... أو (نـهجهـا) ، نُقشـتْ فَوَّاحَـةَ الـنّغم

مبعـــوثَ خالقنـــا ، هـــذي تحيتنـــا ... حُبـــاً نقـــدمها ، بالقلـــب والقلـــم

بالحـب ننشـدها فـي غيـر مـا ثقـل ... لـلآل قاطبـة ، والصـحب ذي السَّـلَم

روحـــي فـــداكَ ، وأولادي ومـــا ملكـــتْ ... يـدي ونفسـي ، ومَـا سادتْ بـه رَحِمـي

عُـذراً ، فقـد كُتبـتْ بـالحزن أحْرفَهـا ... بالـدمع أنشـودتي مكروبـةَ الـرَّنَم

مـات البشـيرُ ، فـلا الـدنيا تُعوّضـنا ... والـنفسُ داميـة ، فـي غايـة الألـم

كـان الرسـولُ لهـذا الكـون كوكبَـهُ ... وكـان يعطـي الضـيا إطلالـةَ الـنّجُمِ

وكـان - بـين الـورى - إشـراقَهُ ألقَّـا ... وقـد أتـى قومَنـا بـالمنهج اللّقِـم

أقـام ديـنَ الهُـدى فـيهم علـى عَمَـدٍ ... وشـيّد الحـق فـي الـدنيا علـى دِعَـم

وحقـق العـدلَ بـين القـوم أجمعهـم ... وأغـدق القِسـطَ مثـل الوابـل الـرَّذِم

محمـــدٌ صـــفوة القيّـــوم خالقنـــا ... وجـوهرُ الخيـر فـي أزواجـه العُصُـم

ويَعـرف الكـل أوصـافاً لـه قَرنَـتْ ... عنـد اليهـود ، لـدى الأحبـار والـنّهُم

دعـا الجميـعَ إلـى التوحيـد محـتملاً ... أذى الضَّـلال وسُـوآي كـلِّ مُجتَـرِم

أنِ اعبـــدوا الله ربـــاً واحـــداً أحَـــداً ... أحيـا البرايـا علـى الـدنيا مـن العـدم

ونزِّهُـوا اللهَ عـن مِثـل وعـن شَـبَهٍ ... دعـوا الضـلال ، وخلـوا رِبْقَـةَ الصِّـنَم

جـل المليـكُ ، فـلا المخلـوقُ يشـبهه ... وعـز رب الـورى الـديانُ ذو الـنِّعم

دعـا الرسـولُ إلـى الإسـلام مَـن كفـروا ورسّـخ الحـق فـي الـدنيا مـع القِـيَم

وحطـم الشـركَ ، لا (عُـزى) ولا (هُبَـلٍ) ولا (مَنـاة) ، فمـن يُسـلم فيُحتَـرَم

ودمَّـر الفسـق ، لا عُهـرٌ ولا طَـرقُ أتـى بـدين مَهيـب الجـاه مُعْـتَلِم

وطهَّـر البيـتَ مـن أصـداء تصـديةٍ ومِـن مُكـاءٍ جهيـر غيـرِ مُنكَـتِم

وأدِّبَ الكُفـرَ ، فانـدكتْ براثنُـه وأشهر السيفَ صدقاً ، والوطيسُ حَمِي

وحاطـه الصـحبُ فـي أجـواء ملحمـةٍ فقـاد جمعهـمُ مثـل السـنا الـتَّمَم

جـيشُ الرسـول ، لـه فـي الحـرب مَجلـدةٌ أكـرمْ بـه مـن خَمِـيس بـالغِ العِظَـم!

وجاهـد الصـحبُ كـلٌ حسْـب طاقتـه رِعـاءُ شـاةٍ ، وبـاتوا سـادةَ الأمـم

علـى البِطـاح أسـودٌ فـي إغـارتهم ليـوثٌ حـرب علـى الأعـداء كـالحُمَمِ

رهُبـانُ ليـل ، ففـي المحـراب أدمعُهـم وفـي النهـار كمثـل القاصـل العَـرِم

تعلـم الصـحبُ مـن أخـلاق أسـوتهم تقـوى الإلـه وطيـبَ القـول والشِّـيَم

لا يسـتوي مَـن رسـولُ الله أسـوتُهُ ومَـن لـه أسـوة فـي الـدود والحَلَـم!

أقـام صـرحَ التَّقـى المختـارُ قـدوتُنا وأنقـذ النـاسَ مِـن مسـتنقع الإزَم

واليـومَ غابـتْ عـن الأقـوام دولتُـهُ مـن الوجـود ، فحلـتْ لعنـةَ الـنِّقَم

كـذاك غابـتْ عـن الآفـاق شِـرْعتُه فاسـتفحل الشـرُ فـي تـدميره العَمَـم

وعـاث فـي الأرض جبـارٌ ومجتـريءٌ وزال مَـن كـان يرعـى بَيْضَـةَ الحُـرَم

دمُ الحنيفـة فـي الأرحـاب مُنسـكبٌ وصَـبّ جـامَ المنايـا خـائنو الـذِمَم

تجنـدل الحـقُّ فـي الأشـلاء منتحـراً يبكـي علـى أهلـه بالوصـفِ والكَلِـم

أهـلُ الصـليب علـى أفـراحهم سـهروا ... وفِرقـةَ الحـق ماتـت فـي دُجـى الظَلـم

وأصـبح الحـق فـي القرطـاس مُنطرحـاً ... علـى الرفـوف ، كمثـل الصـخر والأَكَـم

وجـاهرَ القـومُ بالتضـليل خـالقَهم ... يحيـا الجميـعُ علـى الإفـلاس فـي نَهَـم

فـلا فضـيلةَ فـي أجـوائهم ظهـرتْ ... ولا عفـافَ سـوى التـدجيلِ فـي الـنّظَم

ولا حيـاءَ ، ولا طَهـرًا يُتـوّجهم ... كـلا ، وعـيشُ البرايـا داكـنُ السُّـدُم

ومَـن يُـذكرُ بـالرحمن مُضـطهَدٌ ... ومَـن يُعربـدُ بـين الخلـق كـالعلَم

ومَـن يقـولُ (كفـى) تلقـاه منتحـراً ... بمِشـفر المفتـري ، ثـم الرقيـبُ عَمِـي

وغَيِّـبَ الهَـديُ فـي القرطـاس مبتئسـاً ... كـالبحر أطَ بـأمواج لـه بُهُـم

ومنتهـى الجِـدِّ رايـاتٌ لـه رُفعـتْ ... لا يعبـأ اللهُ بالأشـكالِ والسِّـيَم

إن ادعـاءَ الهُـدىَ أمـرٌ لـه ثمـنٌ ... ومَـن أحـب جنـانَ الله لـم يَـنَمِ

تسـاقطَ العِلـمُ فـي الـدينار مكتفيـاً ... وبِيـعَ للمشـتهي ، كالشـاء والـنّعَم

قـد اشـتراه الهـوى مِـن أهلـه ، فرضُـوا ... وطَـوِّع العلـمُ ، مثـل العبـدِ والخـدم

تُعِلَّـمَ العلـمُ للـدنيا ، فصـار لهـا ... مَطيـة رُكبَـتْ ، كالنعـل فـي القّـدَم

ويـحَ الـدُّعاةِ ، ففـي تطـويعهم رتعـوا ... لا تحسـبوه لكـم شـيئاً مِـنَ اللّمَـم

وتُقْـرأ الآي فـي فحـوى مُناسـبةٍ ... كأنمـا ثُلِيَـتْ فـي جَوْقـةِ العَجَـم

لا يفهـم القـومُ إلا مـا يُمّـتِّعُهم ... علـى البُطـون تـراهم واسـعي الكَـرَم

عـنِ الكتـاب أيـادِ القـوم قـد حُسِـرتْ ... فـلا تعلّـمَ ، لكـنْ عيشـةَ الغَـنَم

كـم غافـلٍ ضـلّ عـن هَـدي يُزيِّنُـهُ ... يـرى الفلـوسَ ، كمثـل المَنهْـلِ الشَّـبِمِ!

ثـم النسـاء ، فحـدّثْ ثـم لا حـرجٌ ... تبـرجٌ ، وسـفورٌ ، دونمـا نـدم

أنّــى اتجهــتَ تــرى عُريــاً يمــوجُ هَــوىً والعطــرُ منتشــرٌ فــي عــالم النّسَــم

ذاتُ الحجـاب (علـى الموضـات) حِشـمتُها بــالأمس عِفتهــا فــي ذِروة القِمَــم

واليــوم يعبــثُ فــي تفكيرهــا حُمُــرٌ رهــن المســير علــى الأريــاحِ والــدِّيَم

تُطِيــع مَــن كفــروا ، كأنهــا أمَــة وإن بـدا الحـق تشـكو وطـأةَ الصَّـمَم

يُزخرفــون لهــا هــزلاً تتــوق لــه كـذاك قـد دفعـوا بالسُّـم فـي الدَّسَـم

تعــدّد الزيــفُ ، والتوحيــدُ مــا حقــه يومــاً ستســحقه إرهاصــة القُحَــم

ثــم الشــبابُ لــه الأكفــانُ قــد نُسِــجَتْ يغشـى الكبـائرَ ، يحيـا فـي لَظَـى الجُـرُم

مَــن كــان ينشــر وحْــيَ الله مجتهــداً علــى الأنــام ، ويُزكِــي نفحــةَ الــرُحَم

اليــوم جــاثٍ علــى أعتــاب غانيــةٍ يــؤزّه العِشــقُ للغــاداتِ فــي ضَــرَمِ

حتــى المناســكُ ، هــذا الجيــلُ ضــيَّعَها كأنمــا جيلنــا فــي رقــدة الــرَجَم

فــلا صــلاةٌ ، ولا ذكــرٌ ، ولا خُلُــقٌ واليومَ صامَ الورى ، والجيلُ لم يَصُم

تغيَّــرَ الحــالُ ، أمســى الليــثُ ضــفدعة وأمَّـةَ الحـق غاصـتْ فـي دُجـى السَّـأم

وعنــدها الحــقُ ، لكــن لا يطيــبُ لهــا ترمــي الــدواء ، وتشـكو ثقلـة السَّـقَمِ

أرضٌ تضِــيعُ ، وأركــانٌ مُضــيعة والـذل عـمَّ ، وضـاعتْ نخـوة الشَّـمَم

يــا أمــةَ صُــبغتْ بالضــنك هيبتُهــا إذ أوغلــتْ سـيرَها فـي كُـدرةِ الغَمَـم

تبختــرَ الجَــورُ فــي أرجائهــا فرحــاً ليقمــعَ العــدلَ بالتســفيه والــوَغَم

وينطـقُ الزيـفُ فـي الأرحـاب دون حيـا وعُصـبةَ الحـق قاسـت شـدة الـبَكَم

طــال الرقــادُ ، ووحــيُ الله موقظَنــا والفجــرُ آتٍ يُجَلّــي دلْجَــةَ السَّــخَم

وصـــل ربِّ علـــى المختـــارِ أســـوتِنا والتـــابعين مِـــنَ الأعـــرابِ والعَجَـــم

"بعض معانى الكلمات غير المطروقة في زماننا"

الأحبـار والـنهم: جمـع نُهـام هـو الراهـب فـي الـدير. الـرنم: أي التـرنم. الإزم: أي الأزمات. أزواجه العُصُم: الكريمات المعصومات والواحدة عصماء. دعم: دعائم. أمواجـه الـبهم: أي الأمـواج السـود. الجُعلان والحَلـم: جمـع حلمـة وهـي دويبـة تأكل الجلـد. المـنهج اللقـم: أي المسـتقيم الـذي لا اعوجـاج فيـه. السـخم: السـواد. الـوغم: الحقد. الوابل الرذم: أي المطر الثجاج المنصبّ بكثرة كـاثرة. الشمم: الإبـاء. الـرجم: القبر. الرحم: جمع رحمة. العرم: الشدة. مجترم: أي مجرم. القحم: جمع قحمة وهي الأمر الشاق العسير. الشبم: البارد. الجرم: جمع جُرم. الوهَم: أي الوهْم. غمم: جمـع غمام. معتلم: أي ذو معالم وإشارات.

نهج نهج البردة 1425هـ

(قرأ معلم لغة عربية زميل قصيدتنا: نهج نهج البردة ، والتي نشرت من قبلُ في ديوان: (الأمل الفواح) سابقاً. وعلق الأستاذ الفاضل بأنها لم تكن بمستوى البيان المتصور. فوعدته بأنني سأقوم بكتابة نهج جديد للبردة في مستقبل الأيام ، وهذا إن قدر الله لي وشاء وجاءتني المَلكة الشعرية بالإيحاء والصورة. وقد كان ، فأحسست بجنين البردة يتحرك في ضميري. فأهديتُ سيدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهجاً جديدا للبردة: أتحدث إليه فيها لست متوسلاً به – معاذ الله – فهذا شرك لا يرضاه لنا رسول الله قط ، ولكن أكلمه من مشربية (السلام عليك أيها النبي ، ورحمة الله وبركاته). كما أنني لست أشكو له الحال ، فإن ذلك لا يكون إلا لله سبحانه. بل أقارن حال الأمة المسلمة اليوم بحالها بالأمس. وذلك في باقة عطرة من الجمال ، الذي يناسب الحديث إلى الرسول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وكنت قد عرضتها على الزميل الذي نقد بردة الأمس. فأخذ يمتدحها فشكرته. والحقيقة أنني غلبت فيها الواقعية ، وإنما كان الخيال في الصور والتراكيب! في مقال عنوانه: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصرف يسير: (قديماً قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه" ؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صوره الشعرية على الخيال المجنَّح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشاعري بعيدًا عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحيانًا في تلمس المعنى والخروج به إلى المتلقِّي في ثوب قد يُعرى مِن الصحة ، ويَنعكِس الإبداع فيه إلى صورة مشوَّهة يمجُّها الذوق ويَنفر منها العقل وترفضها الفِطرة السليمة ، وتلك المآخذ قد عري منها الشعر المتأدب بأدب العقيدة والتوحيد ذلك لأنه في نزعته الإسلامية تقيَّد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام لكل فرد ولكل مجتمع ، فانطلق الشاعر في صوره ومعانيه وأخيِلَته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقيَّة لا تَحتمِل التأويل والتخييل المُفرِط. ومِن خلال دراسة بعض القصائد الإسلامية ومِن خلال دراسة نظرة الإسلام وتصوُّره الشامل للحياة يُمكننا القول عن موقف الإسلام مِن الأدب بعامة ، ومِن الشعر بخاصة: إن أول ما يَحسُن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء مِن النُّظُم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدةً إبان العهد الجاهلي لتَّتضح الرؤية في تحديد موقف الإسلام مِن الأدب عامة ومِن الشِّعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام على موقف الإسلام مِن الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة ، فإن هنالك عادات ونظُمًا وتقاليد وأعرافًا وأخلاقًا درَج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقرَّ مِن هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وَفق كتاب الله وسنَّة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فمِن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج ، وعادات في

المِهَن والصناعات ، إلى جانب التمرُّس بأخلاق إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة. فمِن الأخلاق الحميدة: عزَّة النفس ، وكرْه الذلّ ، وبغْض الظلم ، والترفُّع عن أخذ الديَة ، وإكرام الضيف ، وحبُّ السلام ، وحفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفشَّت في المجتمع الجاهلي: لهْو الشباب ، وقلخ الشواب ، وابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، ومُعاقَرة الخمر ، ولعب القمار ، والدعوة إلى الثأر وتأريث العداوات. وقد خالَج هذه الأخلاقَ ألوانٌ من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله – تعالى - وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، والتأثر بالحِكم الصادقة وحب المشورة والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقرَّ مِن هذه القيم ما يلي: حب السلام ، والشجاعة، والإيثار ، والكرم ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، ومساعدة الفقراء وحسن المعاشرة ، والحلم ، والصدق والأمانة ، والوفاء، والرأفة بالحيوان ، والتكافل الاجتماعي ، ومقْت الظلم ، وحقوق المرأة ، والحقوق الزوجية ، وبرُّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدريه النثر والشعر قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدٍّ سواء. وعلى الرغم مِن أن نُقَّاد الأدب قد نادوْا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظرته إلى الأدب قد وسَّع دائرة النظرة عند النقاد فسَمَا بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يَحجب الرؤية الأدبية مِن خلال الخيال الشاعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفاسف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فلكلٍّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المَعين الأول للأدب والقيَم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام مزية تَفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تَختلِف فيها الآراء. وتلك المزية هي: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضًا غير مقصودة ، وقد يلمَح فيها القارئ - أحيانًا - شيئًا مِن الزراية بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنه منزلة العقائد ، وباب مِن أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع مِن مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرَّر في كل معرض مِن معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يُلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقَبول الحَجرِ عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد مِن معانيه التي يشرحها النفسانيون من

أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمَّد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا يَنحصِر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المُدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمُّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني مِن خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه العام - ملَكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع مِن المحظور والمنكور ، ومِن هنا كان اشتقاقه مِن مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارَد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين مِن البشر. وهذا يعني أن الأدب فنٌّ جميل قوامه العقل والعاطفة معًا ، فلا يَحسن أن يَطغى جانب أحدهما على الآخَر).هـ. وتحت عنوان: (الشوق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم -) قال محمد المنجد: (وقد اشتاق الصحابة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته وبعد مماته ، وأحبوه حباً لم يعرف التاريخ مثله ، حتى قال أنس: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْهُ). رواه أحمد ، وإسناده صحيح. وقال علي رضي الله عنه: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ). الشفاء بتعريف حقوق المصطفى. "وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ" كما يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ. رواه مسلم. وقال عدوه: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً". السيرة النبوية الصحيحة. وهكذا تغلغل حبه في قلوبهم فوصل إلى الحشايا وتعمق في نفوسهم ، فكان أحب إليهم من أموالهم وأولادهم ووالديهم والناس أجمعين ، كما قال لهم وعلّمهم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). رواه البخاري. بل كل من صدقت محبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - أحبه أكثر من نفسه ، ولذلك كان أحدهم يقول: نحري دون نحرك. وقال عمر للعباس: يا عباس والله لَإسلامك يوم أسلمت أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب - يعني أباه - لو أسلم وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم". الطبراني. وعمر رضي الله عنه لم تمنعه قوة شخصيته ولا غضبه في الحق أن يكون صاحب مشاعر حساسة وقلب مرهف تجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقد فرض لأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ثَلَاثَةَ آلافٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَفَرَضَ لابنه ثَلَاثَةَ آلافٍ ، فسأله ابنه عن ذلك فقال: لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ ، وَأُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، فَآثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ. الترمذي. وقد حكى التاريخ حبهم له ، حتى أن الملوك لا يُفعل معها كما يفعل معه ، لا من باب الذل والعبودية ، ولكن من باب التوقير ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ – يعني ما رأيت ملكاً

قط ـ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ). رواه البخاري. وكانت محبته في قلوبهم أصيلة ، وكان شوقهم إليه عظيماً ، هذا ثوبان مولاه كان قليل الصبر عنه ، يشتاقُ إليه كل يوم ، جاءه يوماً وقد رأى في وجه تغيراً فقال: (ما غير لونك)؟ فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشْتقت إِلَيْك وَاسْتَوْحَشْت وَحْشَة شَدِيدَة حَتَّى أَلْقَاك ، ووالله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك ، وإذا ذكرت الآخرة عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك! فنزل قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. الطبراني في الأوسط. وقال الألباني: صحيح بشواهده. وكان بلال يرددها قبل أن يموت ، وكان خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا ويذكر شوقه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم ـ ومن مضى من أصحابه وآله ويقول: هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحنّ قلبي ، طال شوقي إليهم. وهكذا كانت العجائز في بيوتها إذا نفشت الصوف تتذكر محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه الأخيار ، وكيف كان بكاؤهم بالأسحار. ولما قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لواحد من الصحابة: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ). قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك. رواه البخاري ومسلم. كيف لا وهو سبب منع العذاب عنهم؟ ، لأن الله قال في كتابه: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}. كيف لا وهو مصدر الوحي ، يأتيهم عبره ، كيف لا وهو قدوتهم ، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. ذو البجادين تربى في حجر عمه ، فنازعته نفسه إلى الإسلام ، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك بإسلامك فلا أراك تريد محمداً فأذنْ لي في الإسلام. فقال: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك حتى ثوبيك! فصاح لسان عزيمته: نظرة من محمد عليه الصلاة والسلام أحب إلي من الدنيا وما فيها. فجرده عمُه من كل شيء حتى الثياب فناولته أمه بجادًا لها ، فقطعه نصفين ، فاتزر نصفًا وارتدى نصفًا. وأتى رسول الله ، فقال: ما اسمك؟ قال: عبد العزى. فقال: بل عبد الله ذو البجادين". اللطائف وصفة الصفوة وحلية الأولياء. وهكذا زيد رضي الله عنه يقول للكفار: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي! الطبراني في الكبير).هـ. ومن هذا المنطلق أكتب النهج الثاني للبردة النبوية تعبيراً عن مدى حبي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشوقي إليه! والآن لنطالعها سوياً. وأعتذر عن الطولين المتعمدين: طول المقدمة وطول القصيدة! إن البردة قصيدة جميلة ، وأنا حاولتُ

جاهداً أن لا أستغيث برسول الله – صلى اه عليه وسلم – كما فعل غيري! أيضاً حاولتُ ن أغلو في المدح والإطراء للنبي – صلى اله عليه وسلم - ، وقد نهانا عنه! وإذا كان في العمر بقية أكتب نهج نهج البردة لتكون البردة الثالثة!)

مِسْكَ القريض أفضْ مِن زهركَ الفغمِ ... وابعثْ أريجك عن بُعدٍ وعن أممِ

وامنحْ عبيرَك شعراً يَستنيرُ به ... واغمرْ يراعته بنورك التمم

وهاتِ مِن جؤنة الأشعار ملحمة ... من البيان ، مَداها غيرُ مُنبهم

وضمّخ الشعر بالريْحان ، إن له ... شذىً يفوحُ ، فيفري لجة السأم

وزخرفِ اللفظ بالنسرين تهفُ له ... روحُ البديع ، فتزكو همّة الكلم

واعمدْ إلى المَندل المِعطار ، إنّ له ... في عالم الشعر نفحاً عاطر النغم

واصبغ بصَندلك الفوّاح جبهته ... لتُذهِبَ الحزَنَ المعجونَ بالألم

وبالخزامى أفضْ يا مسك في كرم ... فالجودُ بالعطر مِن بُحبُوحة الكرم

وبالبنفسج جمّرْ عذب مَبسمه ... وألقهِ بفؤادٍ فيك مُبتسم

وذوّب النرجس المحبور في ولهٍ ... فالشعرُ بالعِطر يُردي غصة الغمم

وبالقرنفل بخرْ صورة برزتْ ... تتيه فخراً بشعر نابهٍ فقِم

بالجُلّنار فخضّبْ ما أسطرهُ ... شِعراً تضلع مِن فحوى عزيز دمي

وادهنْ بعنبرك الإيحاءَ مرتقباً ... طيفَ القريض أتى مِن شيّق الحُلم

ونسّم الشعر بالكافور يَسْمُ على ... شدو البلابل في مسامع القِمم

وطيّب الحرفَ بالخطميّ في ألق ... لأن في الشعر ألواناً مِن الحِكم

وجُدْ بسوسنِك الأجواءَ عابقة ... ففي القريض يواقيتٌ مِن الشِيم

بالياســـــمين تعقـــــبْ كـــــل قافيـــــةٍ حتـــى تزيـــدَ ســـنا الترجيـــع والـــنغم

وبـــــالورود تنـــــاولْ مـــــا أبـــــوحُ بـــــهِ مِـــن القـــريض بـــلا عِـــيٍّ ولا لســـم

بـــــالزعفران تخلـــــلْ شـــــعر مُرتجـــــفٍ يغـــوصُ فـــي الـــوزر والعِصـــيان والأثـــم

وغـــــطِ بالفـــــل أبيـــــاتٍ أســـــجّلها والشـــعرُ بالصـــدق عـــفٌّ غيـــرُ مُنهـــزم

وبـــــالأراكِ فســـــوكْ ثغـــــر مُنشـــــدِهِ إن الخلـــــوفَ يُنـــــاوي لـــــذة الـــــنهم

وبالزبرجـــــد زيّـــــنْ جيـــــدَ صـــــورتهِ وزدْ نضـــــــارته بلامِـــــــع القضـــــم

وبـــــالزمُرّد طـــــرّز ثـــــوب لهجتـــــهِ بعقـــد نـــور - علـــى الأبيـــات - مُنـــتظم

وبـــــالعقيق تتبـــــعْ نـــــور عزمتـــــه حتـــــى يُفارقـــــه مُحلولـــــكُ الظلـــــم

وزركـــش الشـــعر بـــالفيروز مُحتفيـــاً بخيـــر مَـــن ســـار فـــي الـــدنيا علـــى قـــدم

وحـــل بالمـــاس - براقـــاً - مَقاطعـــهُ ومُـــجّ عِطـــرك فـــي القِرطـــاس والقلـــم

وجمّـــل الـــوزن بالمَرجـــان يُتحفـــهُ فكسْـــرُ وزنِـــك يُـــردي رقـــة الـــرنم

بـــــاللازوَرْد فـــــذهّب قـــــاع مُخملـــــهِ حتـــــى يفـــــوق ضـــــياءً طلعـــــة الـــــنجم

وافـــرشْ مِـــن الســـندس اللمّـــاع نمرقـــة وانصـــبْ خيامـــك فـــوق الأرض بالـــدعم

وبـــــاللآلئ لِـــــجْ (بحـــــر البســـــيط) ، فـــــلا تـــــدعْ حُـــــداه ، فهـــــذا بحـــــرُ ذي الهمـــــم

وضـــعْ صـــداه علـــى الـــديباج ، وارق بـــه رُقِـــــيَ مُحتســـــب بـــــالله مُعتصـــــم

لأن كاتبـــــه يُهديـــــه فـــــي شـــــرفٍ لخيـــــر خلـــــق مليـــــك النـــــاس كلهـــــم

(محمـــــدِ) الحـــــق هادينـــــا ومُرشـــــدِنا رســـــول رب الـــــورى للعُـــــرْب والعَجَـــــم

ومَـــــن بـــــه أنقـــــذ الـــــرحمنُ عالمنـــــا مِـــن الضـــلال ومِـــن ظلّـــم ، ومِـــن ظلَـــم!

نبـــــيٌّ سِـــــلم وتوحيـــــدٍ ومَعدلـــــةٍ وصـــــفوةُ الله حقـــــاً ســـــيدُ الأمـــــم

رســـولُ مرحمـــةٍ مُثلـــى ومَلحمـــةٍ ... أحيـــا الأنـــامَ بهـــذا المـــنهج اللقـــم

حـــاز المعـــاليَ ذا فـــي كـــل مَنقبـــةٍ ... أحيـــا المليـــكُ بـــه الـــدنيا مِـــن العَـــدم

جلـــتْ عـــن الوصـــف أخـــلاقٌ بـــه اقترنـــتْ ... ولا حـــدود لمَـــا يَعـــروهُ مِـــن قِـــيم

صـــلى عليـــه مليـــكُ الكـــون مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، وجـــنّ هزيـــعُ الليـــل بالســـخم

دعـــا إلـــى الله فـــي ســـر وفـــي علـــن! ... لـــم يخـــش بـــأس كفـــور القلـــب مُجتـــرم

وكـــم غـــزا لتُـــرى للحـــق عزتـــه ... فـــلا يـــذوقُ أذىً بســـيف ذي غشـــم!

وحربُـــه ســـطعتْ فـــي كـــل مُعتـــركٍ ... تُقـــيم شـــرعاً ، ولا تـــأوي لســـفك دم

فحـــرّر النـــاس مـــن أغـــلال مَـــن عبـــدوا ... غيـــرَ المليـــك مِـــن المَخلـــوق والصـــنم

عفـــا عـــن النـــاس لمّـــا صـــار منتصـــراً ... فقيـــل: أنـــت أخ يحنـــو علـــى الـــرحم

فقلـــت: يـــا قـــوم فـــي هـــذي الـــدنا انطلقـــوا ... ويســـلم اليـــومَ مَـــن يلـــوذ بـــالحَرم

ومَـــن إلـــى داره يـــأوي ففـــي دَعَـــةٍ ... فـــلا ســـبيل إلـــى ثـــأر ولا نِقـــم

ومَـــن لـــدار أبـــي ســـفيانَ يـــأو فـــلا ... يخـــافُ هضـــماً ولا شـــيئاً مـــن القصُـــم

ســـماحة لـــم تـــر الـــدنيا لهـــا شـــبهاً ... وعِفـــة تُوجـــتْ بـــالعِز والشـــمم

وقلـــبُ (أحمـــدَ) لا قلـــبٌ يُضـــارعُه ... خـــلا مِـــن الغِـــل والبُهتـــان والـــوَغم

ولقـــن الكفـــرَ درســـاً لا يُجـــاوزه ... علـــى شـــواظٍ مِـــن التوحيـــد مُحتـــدم

وأمســـك الســـيف فـــي (بـــدر) يـــذودُ بـــه ... كأنـــه أســـدٌ قـــد هِـــيج فـــي الأجـــم

وعَلـــم الأمـــة العصـــماء شِـــرعتها ... فزادَهـــا شـــرفاً بالمَنهـــل الشـــبم

وبـــات حاكمهـــا ، وبعـــدُ قاضـــيها ... أكـــرمْ بأحمـــدَ مِـــن قـــاض ومِـــن حكَـــم!

وعـــاش أســـوة مَـــن أخلاقـــة اتبعـــوا! مَـــن يتبـــع هديـــهُ الوضّـــاءَ يَســـتقم

وجـــلّ فـــي الوصـــف عـــن سُـــوآى ومَنقصـــةٍ وجَـــلّ عـــن منكـــر يُـــزري وعـــن كـــثم

رعـــى الجـــوار ، فلـــم يغـــدرْ وإن غـــدروا والغـــدرُ أخبـــثُ مـــا فـــي الأرض مـــن جُـــرُم

وبالبيـــــان تحـــــدّى كـــــل ذي أدب قـــرآنُ ربـــك بـــاري الخلـــق والنســـم

والمعجـــزاتُ علـــى يديـــه قـــد بَهـــرتْ ألبـــابَ مَـــن عقلـــوا ورؤيـــة الـــنهم

ثـــم القـــرآن أتـــى للنـــاس معجـــزة يهـــدي الأنـــام إلـــى المهـــيمن الحكـــم

ثـــم النبـــي يجلـــي كـــل غامضـــةٍ لكـــنّ شـــانئهُ عـــن الرشـــاد عمـــي

تبـــارك اللهُ مَـــن بـــالحق أيّـــدهُ فـــراح يـــدعو بـــلا ضـــعفٍ ولا وهَـــم

وبـــايع الصـــحبُ فـــي عِـــز نبـــيّهمُ أنعـمْ بهـم فـي الـورى مـن سـادةٍ لـزم!

كـــانوا الزهـــور بـــوادٍ غيـــر ذي زهـــر واللهُ بـــارك فـــي أزهـــاره الفغـــم

كـــانوا النجـــوم لســـار فـــي ديـــاجره! والصِـــيدَ إنْ وُجـــدوا فـــي شـــدة القحَـــم

هـــمُ الصـــناديدُ إن ضـــاق العـــدوّ بهـــم ذرعـــاً ، وأبـــدى لهـــم أحـــوال مُنـــتقم

ويحتمـــون بخيـــر الخلـــق فـــي ثقـــةٍ حيـــث النجـــاة لهـــم إذا الـــوطيسُ حمـــي

والكـــل يفـــدي رســـول الله مُحتســـباً إن طـــاش ســـيفٌ بَغَـــى أو بالســـهام رُمِـــي

تقبـــل الله ، يـــا جـــيلاً نتيـــهُ بـــهِ يـــا رب فـــارض عـــن الرئبالـــة الكُـــرُم

تفـــرّد الجيـــلُ بـــالقرآن تربيـــة فـــراح يرفـــلُ فـــي الأفضـــال والـــنعم

واليـــومَ يُظلـــم فـــي تقيـــيم مَـــن جهلـــوا وحولـــه نســـجتْ كـــم مِـــن فِـــرىً جُسُـــم!

يُنـــال منـــه بـــلا ذنـــب جنتـــه يـــدٌ وعنـــه تكتـــبُ أيـــدي العِيـــر والعَجَـــم

مُجلـــداتٌ تعـــاف العـــينُ رؤيتهـــا وأمســـياتٌ تُصـــيبُ الأذنَ بالصـــمم

وتُرّهـــاتٌ عـــن الأصـــحاب باطلـــة ... تُغـري العِـدا ، وتُغـذي النـارَ بـالحُمم

بـالأمس مِـن حَربـة الأعـداء مـا سـلموا ... فجرّعـوهم كـؤوس الحـرب عـن رغـم

واليـــومَ يَطعـــنهم أبنـــاءُ مِلـــتهم ... بـــالغمز واللمـــز والتجـــريح والقلـــم

بحـــرٌ يمـــوجُ بتلفيـــق ومهزلـــةٍ ... ويُزهـــق الحـــق فـــي أمواجـــه الـــبُهُم

والكيـدُ طـال نسـاءَ المصـطفى طربـاً ... ومـا تـورّع عـن فحـش وعـن لمـم

وأمّهـــاتُ نســـاء المـــؤمنين علـــى ... أوراقهـــم مِـــزقٌ طابـــت لمُلـــتهم

مِـن كـل مُهتـرئ الاخـلاق مُـرتكس ... يمـــجُ زيفـــاً عـــن الكـــرائم العُصُـــم

حتـى الـروافض مَـن ضـلوا ومَـن فسـقوا ... يُؤججـــون أوارَ الـــدسّ والوَصَـــم

تنـــاولوا بمِـــداد الإفـــك (عائشـــة) ... و(ابـن السـلول) لهـم نـارٌ علـى علـم

تطـــاولوا ، وجميـــعُ النـــاس تعـــرفهم ... وأشـــعلوا فتنـــة تعـــجُ بالضـــرم

وكـــذبوا بصـــريح الـــنص يكبـــتهم ... وبـئس قـومٌ غلـوْا مِـن فسّـق غشـم!

هـــي البريئـــة ، والقـــرآن شـــاهدُنا ... جلـتْ عـن الإفـك والتخـريص والـتهم

نحبهـــا ، ونحـــب الأمـــر تشـــرعُهُ ... وشـــمسُ سُـــؤدَدِها ، واللهِ ، لـــم تغـــم

نجلّهـــا ، ونجـــلّ القـــولَ تـــذكرهُ ... عـــن النبـــي بلفـــظٍ جـــدُّ مُحتـــرم

بنـت التقـي (أبـي بكـر) ، وذا شـرفٌ ... أكـرمْ بـه مِـن عفيـفٍ مُنفـق حَشِـم!

وحَفصـــة الخيـــر لا ننســـى مواقفهـــا ... فـــإن سِـــيرتها تـــروقُ ذا فهـــم

جلـت عـن الوصـف فـي ديـن وفـي نسـب ... وجُودُهـا فـي المعـالي لـيس بـالأمم

ويـــوم طلقهـــا (المختـــار) طلقتهـــا ... أتـاه (جبريـل) فـي مهـوىً لـدى إضـم

يُقـري السـلامَ علـى سـمع النبـي ضُـحىً ... مِـن الإلـه الـرحيم المُقسِـط الحَكَـم

راجـــعْ (حُفيصـــة) ، هـــذي نعـــم مؤمنـــة! وإنهـــا ســـاعدٌ فـــي حالـــكِ الإزم!

صـــوّامة ، حبّـــذا الصـــيام منقبـــة لـــولا اتبـــاعُ الهُـــدى والحـــق لـــم تصِـــم

قوّامـــة ، خيـــرُ مـــا تأتيـــه مُســـلمة لـــولا مجاهـــدة الشـــيطان لـــم تقـــم

فردّهـــا ، وجـــراحُ الحفـــص مـــا انـــدملتْ تبكـــي دمـــاءً ، وتُبـــدي حَســـرة النـــدم

بنـــتُ المُهـــاجر - رغـــم الكيـــد - فـــي علـــن والجـــو يعصـــفُ بالأريـــاح والـــديم

والكفـــرُ شـــمّر عـــن ســـواعدٍ حملـــتْ ســـيوفها ، ورجـــالٍ فـــي الـــوغى بُهُـــم

فقـــال: أقتـــل مَـــن يـــأتي يبـــارزني كـــالحوت يفتـــك إمـــا شـــاء بـــالبلم

أهـــاجرُ الآن لا أخشـــى صـــوارمكم وســـيفنا - فـــي الـــدواهي - غيـــرُ مُنـــثلم

وأســـتهينُ بفرســـان تُحمِّسُـــكم! لـــيَ الحيـــاة ، وأنـــتم فـــي دُجـــى العـــدم!

فـــإنْ قتلـــتهمُ ضـــاعت عـــوائلهم لقـــد يُعـــانون وخـــز الأيْـــم واليُـــتم

خـــاض الغِمـــار فـــأجلى كـــل داهيـــةٍ لأنـــه بطـــلٌ فـــي الحـــرب خيـــرُ كمـــي

ثـــم اعتلـــى (عمـــرُ الفـــاروق) دولتنـــا فوطـــد العـــدل ، يَـــروي أنجـــعَ الـــنظم

وعـــاش ليثـــاً يَـــرى الأعـــداءُ صـــولته نصـــيرُ مغتصَـــب الحقـــوق مُهتضَـــم

كـــان الـــرحيم بأهـــل السِـــلم أجمعهـــم علـــيهمُ قلبُـــه يفـــيض بـــالرُحُم

وكـــان عـــون أبـــي بكـــر إذا انـــدلعتْ نـــارُ الخـــلاف بـــرأي غيـــر مُنصـــرم

للهـــمّ فـــارض عـــن (الفـــاروق) إنّ لـــه فضـــلاً علـــى جيلنـــا مُستشـــرق العِظـــم

يـــا رب وارض عـــن الصـــدّيق مـــا اكتحلـــتْ عـــينٌ بغمـــض وفـــي الأحـــداق قطـــرُ دم

قـــد آمَنـــا برســـول الله ، وامتـــثلا ليُـــدخل الله كـــلاً جنـــة السَـــلم

كـــذا (علـــيٌ وعثمـــانٌ) وآلهـــمُ ... أنعـــمْ بهـــم وبـــأهليهم وبالخـــدم!

يـــا رب وارض عـــن الأصـــحاب مـــا بقيـــت ... نفـــسٌ تتـــوق إلـــى شـــفاعة الهَشِـــم

علـــى العدالـــة هـــم ، رغـــم الألـــى انحرفـــوا ... ومَـــن يدسّـــون أعتـــى السُـــم فـــي الدســـم

اختـــارهم ربنـــا عونـــاً لأســـوتنا ... كـــانوا البـــدور تُجَلـــي شِـــدة العشـــم

أهـــدي إليـــك ســـلاماً يـــا نبـــيُ ، وبـــي ... شـــوقٌ إليـــك ، ولـــي شـــيء مِـــن العَشـــم

بـــأن تكـــون شـــفيعي عنـــد خالقنـــا ... فـــي يـــوم بعـــث الـــورى مِـــن رقـــدة الـــرُجُم

لـــم نتبعْـــك كمـــا تحـــبُ أنـــت لنـــا ... ولـــم نحـــافظ علـــى آل ولا ذِمَـــم

وقطعـــتْ - بيننـــا - الأرحـــامُ فـــي وضَـــح ... يـــا ويـــح فرقتنـــا مُســـودة العَـــرَم!

ولـــم تُحَكّـــم كتـــاب الله أمتنـــا ... حتـــى اســـتهانت بـــوحي الله والحُـــرُم

والشـــرعُ يَعصِـــمُ مَـــن يحيـــا يطبقـــهُ ... ومَـــن قـــلاه فمـــا للغِـــر مِـــن عِصَـــم

وفـــي الـــديار منـــاطيقٌ فلاســـفة ... وعنـــد حـــق يُصـــابُ الكـــل بـــالبكم

فـــي كـــل صُـــقع قـــوانينٌ مُحكّمـــة ... رغـــم التقـــارب فـــي البُلـــدان والـــتخم

وللزنـــا والخنـــا فـــي الـــدار قـــد بُنِيـــتْ ... شـــتى الصـــروح ، وفيهـــا أفســـقُ النســـم

أمـــا الربـــا فلـــه البنـــوك رافعـــة ... لـــواءَ حـــرب علـــى الجبـــار كـــالعلم

إنـــي لأقســـم أن الـــدار قـــد فســـقتْ ... ولســـتُ أحنـــث إن أقســـمتُ فـــي القســـم

أكـــادُ أقطـــع أن الأمـــة انحـــدرتْ ... إلـــى الحضـــيض ، وعانـــت جيفـــة الـــرمم

ولـــو رآهـــا رســـول الله أنكرهـــا ... ولا يـــرى أن هـــذي أمـــة السَـــلم

لأنهـــا بـــدّلت أحكـــام خالقهـــا ... حتـــى تـــداعتْ عليهـــا أكفـــرُ الأمـــم

فأرخصـــتْ عِرضـــها وأهـــدرتْ دمهـــا ... لـــولا تنكرهـــا للحـــق لـــم تُـــرَم

تعيـــدُ ذكـــرى ثمـــودٍ فـــي تكبّرهـــا ... وتأخـــذ البطـــر الممقـــوتَ عـــن إرم

تناســـتِ المجـــد يســـري فـــي حواضـــرها ... وبالمعاصـــي زهـــاءُ المجـــد لـــم يَـــدم

واليـــوم قســـمتِ الـــديارُ بـــين قـــوىً ... تلـــوكُ ثروتهـــا ، أبـــئسْ بـــذي القِسَـــم!

وقـــد تـــداولها الـــذؤبانُ فـــي شـــره ... كمـــا تـــداول قطعانـــاً مِـــن الغـــنم

إذ تنـــاول ليـــثٌ عـــن مكانتـــه ... لقـــد يلـــوذ بهـــا حشـــدٌ مِـــن الحَلـــم

كنـــا جهابـــذة فـــي كـــل مُعتـــركٍ ... والبـــأسُ يصـــحبُنا فـــي كـــل مُصـــطدم

يحـــدّث النـــاسَ عنـــا مـــا نمارسُـــه ... مِـــن مبـــدأ ـ فـــي المعـــالي ـ غيـــرِ مُنكـــتم

والفـــرسُ والـــرومُ خـــافوا مِـــن كتائبنـــا ... كـــم أنزلـــت بهـــمُ مِـــن أشـــرس القصُـــم!

كانـــت صـــياقلنا فـــي الحـــرب ماضـــية ... منهـــا يـــذوق العِـــدا مُحلولـــك السُـــدم

وفـــي العلـــوم ضـــربنا خيـــر أمثلـــةٍ ... كنـــا نـــرى الجهـــل أخـــزى مَرتـــع وخـــم

فـــي الطـــب كانـــت لنـــا أبحـــاثُ كوكبـــةٍ ... وفـــي البحـــار وفـــي الأفـــلاك والأكـــم

وفـــي الحســـاب لنـــا مباحـــثٌ حفظـــتْ ... والغـــربُ ينهـــلُ فـــي حِـــرص وفـــي نهـــم

وفـــي التـــداوي ســـبقنا مَـــن يناوئنـــا ... فـــي درب علـــم عجيـــب الســـر مُعـــتلم

وفـــي الســـلاح خبرنـــا كيـــف نصـــنعه ... والفضـــلُ يرجـــع للمنـــان ذي الـــنعم

كنـــا نطبّـــقُ شـــرع الله نحرسُـــهُ ... حبـــلُ المليـــك لنـــا مِـــن خيـــر مُعتصـــم

ننفـــى الشـــريك عـــن الـــرحمن نعبـــدُهُ ... ونخلِـــص الـــدين ، نرعـــى بيضـــة القـــيم

عفـــواً رســـولَ الهُـــدى ، فالشـــعرُ شـــجعني ... وانهـــال فـــوقي كمثـــل الوابـــل الـــرَذِم

إنـــي إلـــى الله أشـــكو حـــال أمتنـــا ... تعـــيش فـــي كُـــرَب تزجـــي الأســـى دُهُـــم

كـــالعِيس تحمـــل مـــاء المُـــزن ظامئـــة ... يـــا عِـــيسُ فلتشـــربي مـــن مائـــكِ الشـــبم

أو كالنيـــــاق وفيهـــــا المـــــاءُ مُـــــدخرٌ ... تشـــكو الظِمـــاء ، فيـــا للأنيـــق الرُسُـــم!

يـــا أمتـــي دونـــكِ القـــرآن فـــاتبعي ... ألـــمْ يقـــل غيرُنـــا هـــذا مِـــن القِـــدم؟

صـــلاحُ أمـــركِ فـــي الإســـلام لـــيس سِـــوى ... فـــيمَ التشـــاغلُ بالأغنـــام والـــنعم؟

والشـــرعُ يقصـــم غربـــاً بـــات يســـحَقنا ... كيـــف التقلـــبُ فـــي أهوائـــه القصُـــم؟

عـــذراً رســـولَ الهُـــدى ، فالأمـــة انتكســـتْ ... تـــئن خائفـــة فـــي ثـــوب مُنهـــزم

تحتـــاجُ شِـــعر فتـــىً فـــذٍ يُـــذكّرها ... أنعـــمْ بشـــعر فتـــىً فـــذٍ ومُعتـــزم!

شـــط القـــريضُ ، فصـــيغتْ منـــه ملحمـــة ... فيهـــا الجيـــادُ تحـــدتْ شِـــدة الشُـــكُم

وطـــرزتْ بـــالجوى أجـــراسُ قافيـــةٍ ... مثـــلَ الأســـاور فـــي الأقـــدام والعُصُـــم

وكنـــتُ أنـــوى قصـــيداً فـــض جُؤنتـــه ... يكـــاد يُـــروى إذا شـــم العبيـــرَ ظمـــي

يُهـــدى إلـــى المصـــطفى فـــي بُـــردةٍ شـــرفتْ ... جهيـــرة اللفـــظ ، لا تشـــكو مـــن الـــبَكَم

رطيبـــة الجـــرْس لا إقـــواءَ يُزعجهـــا ... ولا تُبـــالغ فـــي تصـــويرها القصَـــم

ولا تُجـــرّحُ مُعْوجـــاً ، فيَحرقهـــا ... ولا تخمّـــشُ جُرحـــاً غيـــرَ مُلتـــئم

لكنهـــا خرجـــت - بـــالرغم - مُشـــهرة ... صمصـــامة النقـــد والتقيـــيم بـــالقلم

تبـــيّن الحـــق ، فالتوضـــيحُ ديـــدنها ... مـــن بعـــد نكبتـــه علـــى يـــد العِمَـــم

وأغلـــبُ النـــاس لا يـــدري معالمـــه ... ونـــورُه غـــاب عنـــد العالـــة الـــوَثم

وكنـــتُ حبّـــرتُ بـــالعطور مَطلعهـــا ... حتـــى تبـــدّد مـــا فـــي الـــنفس مـــن بَشَـــم

أردتهـــا غـــادة تطغـــى شـــبيبتها ... ولا تغالـــب أوجاعـــاً مـــن الهِـــرم

أردتهـــا غضـــة تزجـــي الحبـــور لنـــا ... لكـــي تُصـــارع مـــا فـــي القلـــب مـــن وَجـــم

أنـــا المقصّـــرُ فـــي تعتيـــق زبـــدتها ... حتـــى بـــدا شـــكلها لحمـــاً علـــى وضـــم

شَـــتان بـــين القـــريض العـــذب ينســـجُه ... مَـــن يســـتعير لـــه مِـــن فنـــه العَمـــم

وبـــين آخـــرَ لـــم تخـــدمْ مَقاطعـــه ... أمـــارة روعـــة الفحـــوى علـــى الخِـــدَم!

شـــتان بـــين الجـــواد الفحـــل تُلجمُـــه ... وآخـــرٍ يُعتلـــى قهـــراً بـــلا لجُـــم!

والشـــعرُ إن تســـقِه سَـــبكاً وتجربـــة ... يُـــذهبْ مِـــن الـــنفس فـــوراً سَـــوْرة الســـدم

إن جـــل لفـــظ علـــى الإيضـــاح فســـره ... لفـــظ تمطـــى علـــى بعيـــره الســـنم

بعـــضُ القـــريض غـــذاءُ الـــروح مِـــن ســـغب ... وبعضـــــه كطعـــــام غيـــــر مؤتـــــدم

طـــــوراً يُمـــــدك بالآمـــــال مُشـــــرعة ... وفجـــــأة يُـــــدخل الإنســـــان فـــــي الأدَم

وقـــد تـــراه لمَـــا يُضـــنيك منتحبـــاً ... تبكـــي ســـرائرُه مِـــن شـــدة الجشـــم

وقـــد تـــراه لمَـــا يُشـــجيك فـــي مـــرح ... يفـــوق فـــي شـــدوه ترجيعـــة الـــرُنم

يـــذوب ـ وَجْـــداً ـ إذا يلقـــاك مُكتئبـــاً ... يبـــدو بوجـــهٍ مـــن الأحـــزان مضـــطرم

يطيـــر ـ فـــي الجـــو ـ صـــداحاً بأجنحـــةٍ ... أمضـــى إذا انطلقـــت تســـمو مِـــن الـــرَخَم

يُغـــرد الـــدهرَ إن كانـــت بُلهنيـــة ... ويســـتقرّ علـــى الآفـــاق والـــرَكَم

ويحمـــل الســـيف فـــي الهيجـــا إذا انـــدلعتْ ... أنعـــمْ بســـيفِ قـــريض قاصـــل خـــذم!

وقـــد يُريـــقُ دم الأعـــداء مُنســـكباً ... فـــوق البطـــاح ، كنهـــر فـــاض فـــي الـــدلم

وقـــد يحـــن إلـــى مـــاض فيـــذكره ... حنـــين طفـــل يُعـــاني لوعـــة اليُـــتم

يَهـــيمُ فـــي ذكريـــاتِ الأمـــس قاطبـــة ... حلـــتْ لديـــه ، وإن لـــم تحـــلُ لـــم يَهـــم

والـــذكرياتُ غِـــذاء الشِـــعر إن صـــدقتْ ... وإن تـــردتْ فهـــذي مِعـــول الهَـــدَم

والشـــعر يصـــفو إذا مـــا الـــذكرياتُ صـــفتْ ... وإن تكـــــدرتِ اســـــتولى علـــى الســـــحم

تخبـــو الفنـــونُ ، وشـــعرُ العـــرب مســـتبقٌ ... نحـــو الـــذرى فـــوق هـــذي الأرض كـــالهرم

ديـــوانُ عُـــرْب حـــوى شـــتى وقـــائعهم ... مـــذ كـــان ســـادُنهم يحثـــو لـــدى الـــزلم

وكـــان يـــدخل فـــي أرحـــاب خندمـــةٍ ... خلـــف الـــتلال ، وعبْـــر الرمـــل والـــتلم

فـــلا يخـــاف جحـــيم المـــوت يَقطفـــه ... ولا يهـــاب ســـعير القـــيظ والـــتهم

فينقـــل الحـــرب مِـــن بـــين الســـيوف دَمـــا ... حتـــى تســـطر ـ فـــي القرطـــاس ـ بـــالقلم

شِـــعراً صـــدوقاً لـــه التـــاريخ مُنتصـــتٌ ... عنـــد الخـــلاف ، يُـــداوي كـــل مُحـــتكم

أهـــدي الســـلام إلـــى المُختـــار مُختتمـــاً ... والسِـــلم أفضـــلُ مَبـــدوءٍ ومُختـــتم

صـــلى المليـــكُ علـــى الحبيـــب أســـوتنا ... وأفضـــل الخلـــق مِـــن عُـــرْب ومِـــن عَجَـــم

والتـــابعين لهـــم فـــي الـــدين أجمعهـــم ... إلـــى لقـــاء المليـــك الواحـــد الحكـــم

بعض معاني المفردات غير المطروقة

أمم: قرب. القريض: الشعر. أريج: رائحة العطر. جؤنة: قنينة. المندل والصندل والبنفسج والنرجس والقرنفل والعنبر والجلنار والخطمي والسوسن والريحان والنسرين والياسمين والزعفران والفل: كل هذه الأشياء زهور أو ورود لها عطر مميز. الزبرجد والزمرد والعقيق والفيروز والماس والمرجان واللازورد واللؤلؤ: هذه الأشياء إما أحجار كريمة أو معادن نفيسة. الديباج والسندس: أي الحرير. الغمم: ج غمه أي شدة الحزن. فقم: زكي عبقري. الشيم: الخلال الكريمة. الرنم: أي النغم والترنم. النجم: ج نجمة. الدعم: هي الدعائم والقواعد ، ج دعامة اللسم: أي الصمت عيا أو عن حياء. الأثم: هو الإثم. النهم: الشغف الشديد بشيء ما. القضم: ج قضيمة وهي قطعة الفضة. الحُداء: الغناء الحزين. المنهج اللقم: أي الواضح المستقيم. المنقبة: هي المزية. السخم: شدة السواد. مجترم: شديد الإجرام والشر.

معترك: مكان المعركة. العجم: أي العجماوات والسوائم. الحُمم: الأبخرة النارية المتكاثفة تسبق البركان. الحشم: الأهل ومن يمت للعائلة بصلة. الأمواج البُهُم: أي السوداء المظلمة البهيمة. اللمم: صغائر الذنوب. العُصُم: ج عصماء وهي الشريفة العفيفة الحَصان. الوَصَم: العار والشنار. غشم: أي شديدو الغشم والبطش. لم تغم الشمس: أي تغرب. الحَشِم: ذو الأخلاق والقيم الرفيعة. إضم: وادٍ بالمدينة ليس بالبعيد عنها. الإزم: ج أزمة وهي المُعْضلة. الديَم: مفردها ديمة وهي العاصفة الشديدة. رجال بُهُم: شجعان صناديد. لم ترم: أي لم تقصَد. القِسَم: جمع قسمة من تقسيم الشيء. الحُلم: جمع حلمة ، وهي دويبة معروفة تأكل الجلد. القصُم: ج قاصمة وهي الداهية الشديدة. السُدم: الظلمات. مرتع وخم: شديد السوء. الأكم: ج أكمة وهي الصخرة العظيمة ومنه قول العرب: وراء الأكمة ما وراءها! معتلم: ذو معالم. ذو النعم: صاحب العطايا والهبات. الوابل الرذم: المطر الشديد. كروب دهم: أي كروب عاتية. الماء الشبم: البارد الصافي. الأينق الرسُم: النوق الفارهة. النعم: أي الأنعام والماشية. الأهواء القسم: أي المُحمّلة بالهموم والصعاب. الشمم: الإباء. القصم: ج قاصمة وهي الداهية. الوغم: الحقد. جرُم: جرائم. شواظ محتدم: أي اللهب لا دخان فيه. الأجم: أحراش الغابة. الكثم: النقص في الخلق أو الحسب. النهم: ج نهام وهو الراهب. الوَهَم: هو الوهم. سادة لزم: أرباب الفصل في القضايا. أزهار فغم: ج فغوم ، وهي صيغة مبالغة من فغم فلانا أي ملأه به وملأ به خياشيمه منه. القحم: هي الأمور الشاقة العظيمة. الرئبالة: ج رئبال وهو الأسد. فرىً جُسُم: أكاذيب جسيمة. البَلم: صغار السمك. اليتم: أي اليتيم. السلم: الإسلام. الرُحُم: ج رحمة أي رحمات. الهشِم. أي الهاشمي. الغسم: سواد الليل. العشم: الطمع. الرجم: القبور. العرَم: هو الشدة. الحُرُم: الحرُمات. عِصَم: ج عصمة وهي النجاة من النار. التخم: أي التخوم والحدود بين البلاد. القسم: هو اليمين. انتكست: أي هبطت إلى الحضيض. العصم: ج معصم. الشكم: ج شكيمة وهي القطعة من الحديد توضع في فم كل حصان. العمم: ج عمة. الوثم: القليل من الناس. البشم: الحزن: الوجم: الوجوم والسكوت. الخدم: ج خدمة. لجُم: ج لجام. السَدَم: الهم مع الندم. الجشم: شدة الأمر. السنِم: أي المسنم المرتفع السنام. الأدم: القبر. الرنم: المغنيات. الرَخم: طائر. الركم: السحاب المتراكم. قاصل: ماض جدا. الدلم: مفيض مصب الوادى. الهدم: الهدم. السحم: السواد. الزلم: الأزلام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية الأولى. التلم: الأخدود في الأرض. التهم: شدة الحر ومنه تهامة. عَجَم: جمع عجمي. خندمة: معركة. ديوان عرب: إشارة إلى أن الشعر ديوانُ العرب ، والمعنى: فيه كل مآثرهم وأمرهم.

القصيدة المحمدية

(إنني أكتب (القصيدة المحمدية) لأهديها أولاً للنبي العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم -. وفكرتها مقتبسة من الشاعر البوصيري (صاحب البردة). وهي بمثابة المعارضة الشعرية له. إذ إن أحد طلابي وهو حذيفة أشرف من أهل ليبيا يدرس في مدرسة أم القرى الخاصة بأم القيوين بدار غربتي ، كان قد أطلعني على (القصيدة المحمدية البوصيرية). وكان الفتى الذي هو في الصف السابع قد أنكر ما في هذه القصيدة البوصيرية من الغلو في النبي - صلى الله عليه وسلم – . والأصل أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كره من يغلو في إطرائه ، ونهى عن ذلك إذ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله). وأعلن ذلك من يوم بعثته إلى قيام الساعة التي هو أول أشراطها وعلاماتها! قَالَ ابْنُ الجوزيِّ: بَقِيَ (صلى الله عليه وسلم) ثَلَاثَ سِنِينَ يَتسَتَّر بالدَّعْوةِ ، ثُمَّ نزل عَليه: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ). فَأعلنَ الدُّعاءَ. فَلَمَّا نزَل قولُه تعالىَ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. خَرَجَ رَسُول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حَتَّى صَعِدَ الصَّفا ، فَهتفَ: "يَا صَبَاحَاهُ" فَقَالُوا: مَنْ هذا الَّذي يهتِفُ؟ قَالوا: مُحمَّد! فاجْتمعُوا إليه فقال: "يَا بَنِي فُلانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ المطَّلِبِ" فَاجْتمعُوا إليه فَقال: "أَرَأَيْتُم لَوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" قَالوا: ما جرَّبْنا عَليك كَذِبًا. قال: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ". فَقَالَ عمُّه أبُو لَهب: تَبًّا لك! أما جَمَعْتَنَا إِلَّا لهذا؟! ثُمَّ قَامَ ، فنزَل قولُه تَعالى:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} إِلى آخرِ السُّورَةِ. متفقٌ عليْهِ. وأخبر صلى الله عليه وسلم أن بعثته دليل على قرب الساعة ، وأنه نبي الساعة ، ففي الحديث عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بأصبعيه فيمدهما). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين ، قال: وضم السبابة والوسطى). وعن قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرفوعاً (بعثت في نسم الساعة). فأول أشراط الساعة بعثة المصطفي صلى الله عليه وسلم ، فهو النبي الأخير فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابة الوسطى ، وليس بينهما إصبع آخر، أو كما تفضل إحداهما الأخرى ، ويدل على ذلك رواية الترمذي (بعثت أنا والساعة كهاتين – وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى – فما فضل إحداهما على الأخرى). وفي رواية مسلم: قال شعبة: وسمعت قتادة يقول: (في قصصه كفضل إحداهما على الأخرى فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة. قال القرطبي: (أولها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه نبي آخر الزمان ، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي. قال تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). وظل

أتباعه كذلك من بعثته إلى اليوم! والأمر هكذا إلى قيام الساعة! وطلب مني حذيفة أن أرد على البوصيري. فقلت: الشعر ملكة وتجربة وشعور وإحساس يا بُني. فقال: ربما أنت تقول ذلك لأنك لم تقرأها أو تسمع بها من قبل ، فدعني أسمعكها ، وعندما قام (حذيفة) بقراءة الأبيات البوصيرية المخالفة للسنة ولمنطق المسلمين والتي تفترض أن النبي خلق من النور (من نور نبيك يا جابر!) وهذا محض كذب! والتي أورد منها:

محمـــــدٌ رُويَـــــتْ بـــــالنور طينتـــــه محمـــد لـــم يـــزل نـــوراً مـــن القِـــدم

محمـــــد ضـــــاحكٌ للضـــــيف مكرمـــــة محمـــــد مصـــــدر الإنعـــــام والحكـــــم

محمـــــد زينـــــة الـــــدنيا وبهجتهـــــا محمـــــد كاشـــــف الغمـــــات والظلـــــم

فلما استمعت إلى هذه الأبيات التي جعل البوصيري فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – نوراً من القدم وأن طينته مروية بالنور ، وأنه مصدر الإنعام والحكم ، وأنه زينة الدنيا وبهجتها ، وأنه كاشف الغمات والظلم ، تلك الأوصاف التي لو كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حياً لأنكرها على البوصيري ، ولربما حثا في وجهه التراب! فقمتُ بإعداد المعارضة وجاعلاً إياها في ستين بيتاً. على أن أبيات البوصيري لم تبلغ العشرين. وذلك إجلالاً لمقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، ثم استجابة لطلب حذيفة ، إذ إنه صاحب الفكرة ابتداء فأنشدت من شعري مصححاً للبوصيري معترفاً له بالفضل:)

محمـــــدٌ صـــــنعة المهـــــيمن الحكَـــــمِ محمـــــدٌ مِنحـــــة المليـــــك ذي الـــــنعمِ

محمـــــد رحمـــــة للعـــــالمين أتـــــتْ محمـــــد أفضـــــلُ الأعـــــراب والعَجـــــم

محمـــــد أعظـــــم الرجـــــال مِـــــن مُضـــــر محمـــــد خيـــــر مـــــن ســـــعى علـــــى قـــــدم

محمـــــد فـــــاتحٌ باســـــم الإلـــــه قَـــــرىً محمـــــد مـــــا غـــــزا كـــــلا لســـــفك دم

محمـــــد كـــــان فـــــي الأخـــــلاق مدرســـــة محمـــــد قلبُـــــه قـــــد فـــــاض بالسّـــــلم

محمـــــد صـــــاحب الرشـــــاد جامعـــــه محمـــــد تـــــاجُ رسْـــــل الله كلهـــــم

محمـــــد صـــــادقُ الأقـــــوال محســـــنُها محمـــــد مَـــــن يَحُـــــز أقوالـــــه يَهـــــم

محمـــــد طيّـــــب الأفعـــــال متقنهـــــا محمـــــد لـــــيس - فـــــي التقـــــوى - بمـــــتهم

محمـــــد لـــم يـــزل يُزكِـــي مدينتـــه محمـــد بيتـــه والقبـــر فـــي إضـــم

محمـــــد زاننـــــا بسُـــــنة عظمـــــتْ محمـــد فـــي الـــورى مستشـــرفُ العِظـــم

محمـــد لـــم يـــزل فـــي الكـــون بـــدرَ دُجـــىً محمـــد شـــرعُه المِفضـــال ذو حِكـــم

محمـــــد معـــــدنٌ طابـــــت ســـــريرته محمـــد مـــا لـــه ـ فـــي العـــالمين ـ ســـمي

محمـــــد دينُـــــه نـــــورٌ لمتبـــــع محمـــد نهجُـــه المنـــارُ فـــي الظلـــم

محمـــــد مرســـــلٌ يعتـــــز تابعُـــــه محمـــد نعمـــة مِـــن بـــارئ النســـم

محمـــــد ســـــيدُ الســـــادات قِمـــــتهم محمـــــد قـــــدْره فـــــي ذروة القمـــــم

محمـــــد خصّـــــه بالنصـــــر خالقـــــه محمـــد ـ رغـــم بـــأس الكيـــد ـ لـــم يُضـــم

محمـــــد رضـــــيَ الإســـــلامَ ، بلّغـــــه محمـــد خيـــر مـــن دعـــا الـــورى بفـــم

محمـــــد صـــــفوة الـــــرحمن أرشـــــدنا محمـــــد أخـــــرج الـــــدنيا مـــــن العـــــدم

محمـــــد أنبيـــــاءُ الله تُكبِـــــره محمـــد قـــد ســـمى فـــي العـــز والكـــرم

محمـــــد فـــــاق بالأمّيّـــــة العُلمـــــا محمـــد عِلمـــه فـــي الخلـــق ذو شـــمم

محمـــد حـــاز فصـــل القـــول أجمعِـــه محمـــد قـــد نـــأى عـــن ظلـــة الـــتهم

محمـــــد خـــــاتمٌ للأنبيـــــاء سَـــــوا محمـــــد ـ بـــــين رسْـــــل الله ـ كـــــالعلم

محمـــــد قـــــد أتـــــى بالـــــذكر معجـــــزة محمـــــد هديُـــــه القـــــرآن ذو الشـــــيم

محمـــــد ذنبـــــه الغفـــــار أذهبَـــــه محمـــد خُـــصّ فـــي القـــرآن بـــ (اســـتقم)

محمـــــد شـــــافعٌ مُشـــــفعٌ أبـــــداً محمـــــد شـــــافع للبـــــر ذو النـــــدم

محمـــــد دعـــــوة مـــــن الخليـــــل لنـــــا محمـــــد الحـــــق بُشـــــرى كـــــل ملتـــــزم

محمـــــد بـــــالنبي والرســـــول دعِـــــي محمـــــد طهّـــــر الـــــدنيا مـــــن الـــــرّمم

محمـــــد غيـــــرُه نبـــــي قريتـــــه محمـــــد مرســـــلٌ لأجمـــــع الأمـــــم

محمـــــد أيّـــــد المـــــولى نبوتـــــه محمـــــد شـــــرعُه يمحـــــو دُجـــــى الظلـــــم

محمـــــد خيلـــــه بالرعـــــب قـــــد نصـــــرتْ محمـــــد قولـــــه جوامـــــعُ الكلـــــم

محمـــــد جُـــــوده ـ فـــــي النـــــاس ـ منتشـــــرٌ محمـــــد جاءنـــــا بـــــالمنهج اللقـــــم

محمـــــد حطـــــم الأوثـــــان قاطبـــــة محمـــــد لـــــم يَـــــذر فـــــي الأرض مِـــــن صـــــنم

محمـــــد ســـــحق الأعـــــداء ، جنـــــدلهم محمـــــد لـــــم يكـــــن ـ كـــــلا ـ بمنهـــــزم

محمـــــد قـــــد أقـــــام الـــــدين محتســـــباً محمـــــد قـــــد هـــــدى للخيـــــر والقـــــيم

محمـــــد يســـــتجيب الله دعوتـــــه محمـــــد هديُـــــه يحمـــــي عُـــــرى الحُـــــرم

محمـــــد كـــــان ـ للتقـــــاة ـ مَرحمـــــة محمـــــد كـــــان – للأعـــــداء ـ كـــــالحُمم

محمـــــد كـــــان لمّاحـــــاً بفطرتـــــه محمـــــد فـــــاق فهـــــم الحـــــاذق الفهـــــم

محمـــــد جعـــــل الرّعـــــاء كوكبـــــة محمـــــد صـــــيّر العُتـــــاة كالخـــــدم

محمـــــد صـــــحبُه ـ فـــــي الكـــــون ـ أنجمُـــــه محمـــــد جعـــــل العـــــادين كـــــالغنم

محمـــــد تخـــــذ التوحيـــــد منهجـــــه محمـــــد لـــــم يكـــــن حاشـــــا بمجتـــــرم

محمـــــد مخلـــــصٌ للصـــــحب ، مُكـــــرمُهم محمـــــد مهّـــــد الســـــبيل للهمـــــم

محمـــــد ســـــطعتْ نـــــوراً رســـــالته محمـــــد قـــــد قضـــــى علـــــى لظـــــى القُصُـــــم

محمـــــد ـ فـــــي الـــــورى ـ ذكـــــراه يانعـــــة محمـــــد عـــــز فـــــي أزواجـــــه العُصُـــــم

محمـــد لـــم يُخـــادعْ مَـــن يُخادعُـــه محمـــد لـــم يكـــن يميـــل للجُـــرُم

محمـــد كـــان للأبـــرار قـــدوتهم محمـــد أســـوة فـــي الخيـــر والـــرحُم

محمـــد لـــم يكـــن يـــدعو لمخبثـــةٍ محمـــد قـــد دعـــا لأطهَـــر الـــنظم

محمـــد أنـــذر الـــدنيا وبشّـــرها محمـــد حـــذر الصـــرعى خطـــى إرم

محمـــد أشـــرقتْ خيـــراً نبوتـــه محمـــد عِلمُـــه أردى لظـــى الســـخم

محمـــد أعلـــن التقـــوى شـــريعته محمـــد قـــد تـــلا القـــرآنَ كـــالنغم

محمـــد مـــلأ الأصـــقاع مَعدلـــة محمـــد قـــد ســـعى للغيـــر بالـــذمم

محمـــد لـــم يخـــن عهـــداً تعهـــده محمـــد مـــا انتـــوى شـــيئاً مـــن اللمـــم

محمـــد نحـــن نفديـــهِ بأنفســـنا محمـــد نحـــن نفـــدي جاهـــه بـــدم

محمـــد نحـــن خُـــدامٌ لسُـــنته محمـــد نصـــرُه قـــد خُـــط بـــالقلم

محمـــد ربـــه كفـــاه مَـــن ســـخروا محمـــد ربـــه يُملـــي لمنـــتقم

محمـــد ربـــه أعـــز ســـنته محمـــد ربـــه أوحـــى لـــه: (اعتصـــم)

محمـــد ربـــه أجـــلّ ســـيرته محمـــد ربـــه الجَبـــار ذو الـــنقم

اللهم صل على محمد

(يقول الله عز وجل: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً). وروى أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات). وروى الطبراني من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من صلى عليّ بلغتني صلاته ، وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات). وخرج البزار بإسناده من حديث عمار بن ياسر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله وكل بقبري مَلكاً أعطاه أسماع الخلائق ، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: فلان بن فلان قد صلى عليك). وروى الترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة). وأورد أستاذنا المحترم الفاضل / محمد عبد العاطي بحيري – حفظه الله – في كتابه الرائع (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) ، وتحديداً في أدبه الثاني والذي عنوانه (الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) أورد الأستاذ استهلالاً ص 33 جاء فيه: (ذلكم النبي الذي أخرجه ربه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الأرومات مغرساً ، ومن الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه. عِترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتتْ في حرم ، وبسقتْ في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، وهو سراجٌ لمع ضوؤه ، وشهاب سطع نوره. سيرته القصد ، وسنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل. أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، فترة ضل الناس فيها رشادهم ، ومجّدوا عقولهم ، وملأوا الأرض جَوْراً وظلماً ، حتى استغاثت الأرض بالسماء. فلطف الله بعباده فأرسله ربه رحمة للعالمين ، فكان أعدل الناس ، وأصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة ، وأشجع الناس وأكرمهم. اعترف له مجاوروه وأعداؤه ، وكان أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم عن الكبر ، كان أوفى الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم شفقة ورأفة ، وأحسنهم عشرة وأدبا. كان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم. كان لا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يحسد غنياً لغناه ، كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، طويل الصمت مستغرق السكوت يتكلم بجوامع الكلم ، يُعظم النعمة وإن دقت ، ويشكر إن كثرتْ أو قلت. يؤلفُ أصحابه ولا يُفرّقهم ، يُكرم كريم كل قوم ، ويُوليه عليهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم. كان خلقه القرآن بل كان وكأنه قرآن يمشي على الأرض ، كان أجود الناس

بالخير ، كان أشد الناس حياءً وأطيبهم كفاً وأزكاهم رائحة). وصفه شاعره الصحابي الفذ والشاعر حسان بن ثابت – رضي الله عنه - الذي هو أعجوبة زمانه وأيقونة عصره فقال:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأحلى منك لم تلد النساءُ
خلقت مبرَّأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

لقد زكى الله - عز وجل عقله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (ما ضل صاحبكم وما غوى) ، وزكى بصره فقال عز وجل: (ما زاغ البصر وما طغى) ، وزكى قلبه فقال: (ألم نشرح لك صدرك؟) وزكى ذِكْره فقال: (ورفعنا لك ذكرك) ، وزكى عِلمه فقال: (علمه شديد القوى) ، وزكاه كله فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم).هـ. ومن هذا المنطلق رحتُ أصلي في هذه القصيدة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر العدول الميامين والأبطال المحجّلين ، وعلى رأسهم الأربعة الخلفاء الراشدين ، وتابعيهم بغير تبديل إلى يوم الدين. وصغتُ صلاتي تلك شعراً هذه المرة ، وذلك لأن تحية الشعراء يجب أن تكون شعراً! وإنما أقول ذلك عنه – صلى الله عليه وسلم – لعظم مكانته وكبير امتنانه! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم. وهو أفضل النبيين والمرسلين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَاناً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ». متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوْراً وَمَسْجِداً ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». أخرجه مسلم. وقال الله تعالى مبيناً عظيم فضل رسوله – صلى الله عليه وسلم -: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}. وقال: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. وقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. وهذا كله من فضل الله عليه – صلى الله عليه وسلم – ومن عظيم فضله علينا أن هدانا لدينه القويم واتباع هدي نبيه عليه أفضل

الصلاة وأتم التسليم! والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – عبادة من العبادات ، وشعيرة من الشعائر!)

صلّ يا ربي على خير الورى ... وعلى آلٍ وصحبٍ في الذرى

وعلى (الكبرى) التي أنوارُها ... طلعتْ بدراً على أم القرى

وعلى (الزهراء) مَن أخلاقها ... هذبتْ قلباً سليماً نيّراً

وعلى الصافي (عليٍّ) مَن سَما ... فوق وصفي دون شكٍ أو مِرا

وعلى (السبْطين) إذ كانا معاً ... جحفلاً يغتالُ آسادَ الشرى

وعلى الأتباع حتى المُنتهى ... كلما ليلٌ تبدّى أو سرى

وعلى الصِدّيقة الفضلى التي ... بُرِّئت مِن كل إفكٍ مُفترى

وعلى (الصدّيق) مولانا الذي ... كان - في الغار - رفيقاً خيّرا

إنهم باعوا النفوسَ حِسبة ... وكذا الأموال ، واللهُ اشترى

زمرة جلت ، فلو قيل اشهدوا ... قلتُ: هم - والله - ساداتُ الورى

أسلموا لله ، هذا مَجدُهم ... ثم صانوا الدين صوناً والعُرى

واستساغوا البذل في نصر الهُدى ... لم يعودوا - في الجهاد - القهقرى

وأقاموا الدينَ والدنيا معاً ... باجتهادٍ كان حقاً مُثمرا

قد تأسَّوْا بالنبي المصطفى ... وبآل البيت باتوا أطهرا

وبأصحاب كِرامٍ أيقظوا ... عالم الإنس ، فجافاه الكرى

كل فذٍ كم له مِن موقف ... لاح كالصبح إذا ما أسفرا!

صلّ يا ربي على من صاغهم ... مثلما الصائغ صاغ الجوهرا

يا رسول الحق هذه مِدحتي ... ما احتوتْ أبياتها زيفاً يُرى

مِـــن فـــؤادي صـــغتها أرجـــو بهـــا رحمـــة المـــولى ، ودمعـــي قـــد جـــرى

بـــاذلاً فـــي نقشـــها مـــا يُشـــتهى مـــن أحاســـيسَ تســـلي مَـــن قـــرا

مُســـتعيراً كـــل لفـــظٍ مُـــبهج فـــاق - إن مـــس اللســـانَ - الســـكّرا

كـــن شـــفيعي عنـــد ربـــي عنـــدما يشـــهدُ العبـــدُ الضـــعيفُ المَحْشـــرا

واســـقني المـــاء الـــذي يـــروي الظمـــا حيـــث أعطـــاك المليـــك الكـــوثرا

لـــو شـــربتُ يومهـــا مـــاء الـــدنا مـــا ارتويـــتُ ، لـــو عَبَبْـــتُ الأنهـــرا

يـــا إلهـــى فـــيّ شـــفعه غـــداً إذ أذاقتنـــي خطايـــايَ الثـــرى

إن يكـــنْ ذنبـــي عظيمـــاً مُفرطـــاً فالرجـــا - فـــي الله - أمســـى أكبـــرا

اللهيميد وأنواره

(كتب الأستاذ / سليمان بن محمد اللهيميد كتاباً أسماه: (الأنوار في سيرة النبي المختار– صلى الله عليه وسلم) ويقع في 608 سؤال وجواب. وأرى أن يقتنيه كل مرب وطالب علم. وصدق جون راسكين عندما قال: (إذا كان الكتاب جديراً بالقراءة فإنه جدير بأن يُقتنى). وصدق الجاحظ في قوله عن الكتاب وقيمته في حياتنا: (الكتاب وعاءٌ مليءٌ علماً ، وظرف حُشي ظرفاً ، وإناء شُحن مزاحاً. ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء. لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة). وصدق العتابي إذ قال: (من قرض شعراً ، أو وضع كتاباً ، فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن إلا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى وقليلٌ ما هم!).هـ)

كلمـــا طالعـــتُ الضـــيا ازددتُ رُشـــدا ... وحَبَتنـــي (الأنـــوارُ) عِلمـــاً ومَجـــدا

والتمســـتُ فيهـــا جوابـــاً لسُـــؤلي ... فوجـــدتُ الجـــواب فـــي السِـــفر شَـــهدا

(واللهيميـــدُ) جـــاد بـــالعِلم جُـــوداً ... واعتلـــى مـــتنَ التفاصـــيل فـــردا

تـــارة يُـــدلي باختصـــار ، وأخـــرى ... يســـردُ الأحـــداثَ الدقيقـــة ســـردا

والســـؤال يُفضـــي لأحلـــى جـــواب ... شَـــكرَ اللهُ سِـــفرَه والجُهـــدا

طالـــبُ العلـــم لليواقيـــت يســـعى ... يُحسِـــن البـــذلَ والخُطـــا والقصـــدا

والعلـــومُ تُهـــدي المحبـــين حبـــاً ... إذ تلاقـــي مـــنهم قبـــولاً وودا

والعلـــومُ تُضـــفي علينـــا بهـــاءً ... يســـتحق شـــكراً ومـــدحاً وحمـــدا

يبلـــغ المـــرءُ بـــالعلوم الثريـــا ... والجَهـــولُ بالجهـــل يســـكنُ لحـــدا

والتقـــيّ يـــزدادُ بـــالعلم تقـــوى ... والرشـــيدُ يـــزداد بـــالعلم رشـــدا

مـــا اســـتوى عبـــدٌ بـــالعلوم تحلّـــى ... وجهـــولٌ فـــي جهلـــه يتـــردى!

يـــا (ســـليمان) اقبـــلْ تحايـــا مُحـــب حُبّـــــه ـ فـــــي أشـــــعاره ـ يتبـــــدى

مِـــن جمـــال (الأنـــوار) أثنِـــي عليهـــا! وإليهـــــا ـ جســـــرَ المحبـــــة ـ مَـــــدا

إنهـــا عـــن أعلـــى النبيـــين قـــدراً كـــل ذكْـــرى ـ منهـــا ـ تـــذرّ الســـعدا

الهجرة النبوية نقطة تحول!

(في ذكرى الهجرية النبوية - على صاحبها أتم الصلوات وأزكى التسليم – وهنا في (المدرسة الوطنية بعجمان ، طلب مني الأستاذ محمد عبد الحكم من كِرام أهل (ظفر) ، معلم التربية الإسلامية بالمدرسة ، أن أنشد الشعر في ذكرى الهجرة النبوية. فاعتذرت بادئ ذي بدء لأنني لست شاعراً صانعاً يمتطي جواد شعره أينما أراد ووقتما شاء ، كما أنني لست شاعر احتفالات أو خطيب مناسبات كلما عنت مناسبة امتطى صهوة جوادها وركب موجتها لينشد أو ليخطب! وإلا فسيكون الشعر تقطيعاً وأوزاناً كما قال الشاعر. فألحّ الأستاذ عبد الحكم للمرة الثانية فاعتذرت! وفي المرة الثالثة غلبني بإلحاحه حيث أحرجني بقوله: (اكتب لخاطر النبي – صلى الله عليه وسلم -)! فأنشدت هذه المعلقة في ذكرى الهجرة المباركة إجلالاً لمقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فداه أبي وأمي وولدي ومالي وشعري وما ملكت يدي! وكان أن ارتجلت أبيات عشرة فقط لأن موعد إذاعة الأستاذ بعد نصف يوم من كلامه معي! الأمر الذي لا يكاد يكفي حتى لتصفح الديوان للإتيان بقصيدة عن الهجرة! فاخترت لنفسي أن أمتحن قدرتي على الإنشاد بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعد أن سلمت الأبيات العشرة للأستاذ استحيت من نفسي ، إذ إنني أنشدت الكثير والكثير ، فكيف بي لا أزيد على عشرة أبيات في هجرته – صلى الله عليه وسلم -؟ ثم مرّت أيام علي في هذا العتاب وذلك التأنيب ، حتى جاد الله عليّ بستين أخرى ليكتمل عدد أبيات القصيدة سبعين ، ولله الحمد والفضل والمنة ، ومنه السداد والتوفيق ، وأسأل الله أن يأجرني عليها شفاعة نبيه في وفي أهلي أجمعين يوم العرض الأكبر! إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه. وتحت عنوان: (الهجرة دروس وعبر) يقول الأستاذ سامي بن خالد الحمود بتصرف بسيط: (ومن مكة تنطلق ركائب المهاجرين ، ملبيةً نداء ربها ، مهاجرةً بدينها ، مخلفةً وراءها ديارها وأموالها. ويهم أبو بكر بالهجرة فيستوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً. وعلى الجانب الآخر تشعر قريش بالخطر الذي يهدد كيانها بهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، فتعقد مؤتمراً عاجلاً في دار الندوة (برلمان مكة) للقضاء على محمد قبل فوات الأوان. ويحضر الشيطان معهم على صورة شيخ نجدي! قال بعضهم: احبسوه في الحديد حتى يموت ، وقال بعضهم: أخرجوه وانفوه من البلاد ، وبعد أن قوبل هذان الاقتراحان بالرفض تقدّم فرعون هذه الأمة أبو جهل برأي خبيثٍ ماكر فقال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً جليداً نسيباً ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً ، فيضربون محمداً ضربة واحدة فيقتلوه ، فيتفرق دمه في القبائل. فأعجب القوم بهذا الرأي حتى إن الشيطان الذي لم يستطع الإتيان بمثله أيده وقال: القول ما قال الرجل

هذا الرأي لا أرى غيره. ووافقت القبائل على هذا القرار الغاشم بالإجماع وبدأوا في التنفيذ. (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). وينزل جبريل فيخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتلك المؤامرة ويقول: يا محمد لا تبِت في فراشك الليلة. وفي بيت أبي بكر كان أبو بكر جالساً مع أهله في الظهيرة ، إذ أقبل النبي عليه الصلاة والسلام متقنعاً مغطياً رأسه ففزع أبو بكر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأتيهم في تلك الساعة. ويدخل النبي عليه الصلاة والسلام فيقول: يا أبا بكر أخرج من عندك. قال أبو بكر: إنما هم أهلك يا رسول الله. قال: فإني قد أذِن لي في الخروج. قال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. فقال: نعم. فبكى أبو بكر. وروي عن عائشة أنها قالت: فما شعرتُ أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ. قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت وأمي يا رسول الله - إحدى راحلتي هاتين. فقال له صلى الله عليه وسلم: بالثمن. ثم يعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته ويعرّف علياً بالأمانات التي عنده ليؤديها إلى أهلها. وفي ظلمة الليل يجتمع المجرمون ويطوقون منزله عليه الصلاة والسلام. وفي هذه الساعة الحرجة يأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يبيت في فراشه وأن يغطي رأسه ببُرده الحضرمي. ويفتح النبي عليه الصلاة والسلام الباب ، ويخترق صفوف المجرمين ، ويمشي بين سيوفهم وهم مع هذا لا يرونه ، ثم يأخذ من تراب الأرض ، ويذرّه على رؤوسهم الواحد تلو الآخر ، ثم يمضي بحفظ الله ورعايته ، وبات علي - رضي الله عنه - في فراشه صلى الله عليه وسلم وغطى رأسه والمجرمون ينظرون من شق الباب ، يتهافتون أيهم يضرب صاحب الفراش بسيفه. وفي الصباح يكتشف المجرمون فشلهم ، فيعودون وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم. وسمعت قريش بالخبر فجُن جنونها ، وثارت ثائرتها ، فوضعت جميع طرق مكة تحت المراقبة المشددة ، وأعلنت عن جائزة كبيرة قدرها مائة ناقة لمن يعيد محمداً أو أبا بكر حيين أو ميتين. وفي بيت أبي بكر كان آل أبي بكر على موعد مع حدثين. أما الحدث الأول فقد انطلق نفر من قريش إلى بيت أبي بكر فقرعوا الباب ، فخرجت إليهم أسماء فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده فلطم خدها لطمة شديدة حتى سقط قرطها من أذنها. وأما الحدث الثاني فقد كان أبو بكر خرج بكل ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقبل والده أبو قحافة ، وكان شيخاً قد ذهب بصره ، فدخل على أسماء وقال: والله إني لأراه فجعكم بماله مع نفسه (يعني ولده أبا بكر). فقالت أسماء: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أحجاراً ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده وقالت: ضع يدك على هذا المال. فلما وضعها قال: إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن قريشاً ستجدّ في الطلب شمالاً باتجاه المدينة. فاتجه هو وصاحبه جنوباً إلى غار ثور على طريق اليمن ،

ولما انتهيا إلى الغار روي أن أبا بكر دخل الغار وسد جحوره بإزاره حتى بقي منها اثنان فألقمهما رجليه. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام في حِجر أبي بكر. وبينما هو نائم إذ لُدغت رِجْلَ أبي بكر من الجحر فتصبّر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه ، لكن دموعه غلبته ، فسقطت على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستيقظ ليرى صاحبه قد لدغ قال: يا أبا بكر مالك. قال: لدِغتُ فداك أبي وأم. فتفل صلى الله عليه وسلم على رجله فبرأت في الحال. وأما عن دور عبد الله بن أبي بكر فهو شاب ذكي نبيه بطل من أبطل الصحابة. كان يصبح مع قريش فيسمع أخبارها ومكائدها ، فإذا اختلط الظلام تسلل إلى الغار ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر ، فإذا جاء السحَر رجع مصبحاً بمكة. وكانت عائشة وأسماء يصنعان لهما الطعام ، ثم تنطلق أسماء بالسُفرة إلى الغار ، ولما نسيت أن تربط السفرة شقت نطاقها فربطت به السفرة ، وانتطقت بالآخر فسميت بـ (ذات النطاقين). ولأبي بكر راعٍ اسمه عامر بن فهيرة ، فكان يرعى الغنم ، حتى يأتيهما في الغار فيشربان من اللبن ، فإذا كان آخر الليل مر بالغنم على طريق عبد الله بن أبي بكر عندما يعود إلى مكة ليخفي أثر أقدامه. واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً كافراً اسمه عبد الله بن أريقط وكان هادياً خرّيتاً ماهراً بالطريق ، وواعده في غار ثور بعد ثلاث ليال. وأعلنت قريش حالة الطوارئ وانتشر المطاردون في أرجاء مكة ، كلهم يسعى للحصول على الجائزة الكبيرة (مائة ناقة). وصل بعض المطاردين إلى الجبل وصعدوه ، حتى وقفوا على باب الغار ، فلما رآهم أبو بكر قال: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. لو أن أحدهم طأطأ بصره لرآنا. فقال له صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا). مكث عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ولما خَمَدت نار الطلب جاءهما عبد الله بن أريقط في الموعد المحدد ، فارتحلوا وسلكوا الطريق الساحلي. وفي مشهد من مشاهد الحزن ، يقف عليه الصلاة والسلام بالحَزْوَرة على مشارف مكة ليلقي النظرة الأخيرة على أطلال البلد الحبيب. بلد الطفولة والذكريات. يخاطب مكة ويقول (على فرض صحة الحديث): أما والله إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ ، وأكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. وفي الطريق يمر عليه الصلاة والسلام بديار بني مدلج ، وإذا سُراقة بن مالك جالس في مجلس من مجالس قومه ، فيقول أحدهم: إني رأيت أَسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. ففطن سُراقة للأمر ، لكنه أراد أن يستأثر بالجائزة فقال للرجل: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً. ثم لبث سراقة قليلاً ، ثم قام إلى منزله ، ولبس سلاحه وانطلق مسرعاً في أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه. ويبصر سراقة النبي صلى الله عليه

وسلم وصاحبه ، فيدنو منهما ، ويسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ولا يلتفت. يلتفت أبو بكر فيرى سراقة فيقول: يا رسول الله أُتِينا. يرفعُ النبي صلى الله عليه وسلم يديه وهو ماضٍ في طريقه لا يلتفت ويقول: اللهم اكفناه بما شئت ، اللهم اصرعه. وكان سراقة يجري بفرسه على أرض صلبة فساخت قدما فرسِه في الأرض ، وكأنما هي تمشي على الطين ، فسقط عن فرسه ، ثم قام وحاول اللحاق بهما ، فسقط مرة أخرى ، فنادى بالأمان فتوقف عليه الصلاة والسلام ، وركب سراقة فرسه حتى أقبل عليه وأخبره خبر قريش ، وسأل النبي عليه الصلاة والسلام أن يكتب له كتاباً فأمر عامر بن فهيرة أن يكتب له وقال له: أَخفِ عنا. فرجع سراقة كلما لقي أحداً ردّه وقال: قد كفيتم ما ههنا. فكان أول النهار جاهداً على النبي صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مدافعاً عنه! فسبحان مغير الأحوال. وفي الطريق يمر الركب المبارك بخيمتي أم معبد فيسألها النبي صلى الله عليه وسلم الطعام فتقول: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب والسنة شهباء! يلتفت عليه الصلاة والسلام وإذا شاة هزيلة في طرف الخيمة فيقول: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فتقول له: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم! قال: أتأذنين أن أحلبها. قالت: نعم إن رأيت بها حلباً. فدعا صلى الله عليه وسلم بالشاة ، فمسح على ضرعها ودعا ، فتفجرت العروق باللبن فسقى المرأة وأصحابه ثم شرب صلى الله عليه وسلم ، ثم حلب لها في الإناء وارتحل عنها. وفي المساء يرجع أبو معبد إلى زوجته ، وهو يسوق أمامه أعنزه الهزيلة. يدخل الخيمة وإذا اللبن أمامه ، فيتعجب ويقول: من أين لك هذا؟ فتقول له: إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. وفي المدينة سمع الأنصار بخروجه عليه الصلاة والسلام ، فكانوا لشدة تعظيمهم له وفرحهم به وشوقهم لرؤيته يترقبون قدومه ليستقبلوه عند مدخل المدينة ، فيخرجون بعد صلاة الفجر إلى الحرة على طريق مكة في أيام حارة ، فإذا اشتد حر الظهيرة عادوا إلى منازلهم. فخرجوا ذات يوم ثم رجعوا عند الظهيرة إلى بيوتهم. وكان أحد اليهود يطل في هذه الأثناء من أطم من آطامهم ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصاحبه مقبلين نحو المدينة ، فلم يملك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح وكان يوماً مشهوداً ، وسمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف ، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه وتلقوْه وحيوه بتحية النبوة وأحدقوا به مطيفين به ، والسكينة تغشاه ، والوحي ينزل عليه (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير).هـ. لقد كانت هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإسلام والمسلمين! وتم بعدها تثبيت دعائم دار الإسلام ، وأعز الله الإسلام والمسلمين عزة كانوا يفتقدونها في عصر الاستضعاف المكي! وأرى أن الكتاب والأدباء والشعراء ما وفوها حقها من

الكتابة عنها من منظور عقدي وتوحيدي ، بل كان جُل ما كتب عن هجرة خير الأنام – عليه الصلاة والسلام – من قبيل السرد التاريخي القصصي! وأرى أن يشمر هؤلاء عن سواعد الجد ويتناولوا الهجرة النبوية في مقالاتهم وكتاباتهم وقصائدهم من ناظرين إليها مشربية العقيدة والتوحيد! وليحتسبوا الأجر عند الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً! إن الاحتساب عمل قلبي ، لا محل له في اللسان ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأن النية محلها القلب... وأنت أيها الشاعر عندما تكتب تحتسب الأجر من الله ذلك يعني أنك تطلبه منه تعالى ، والله عز وجل لا يخفى عليه شيء قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ}. والعمل لا بد فيه من النية. فالذي يحتسب وينوي بعمله وجه الله فهو لله ، والذي ينوي بعمله الدنيا فهو للدنيا فالأمر خطير جداً. فإن نويت الله والدار الآخرة في أعمالك الشرعية حصل لك ذلك ، وإن نويت الدنيا فقد تحصل وقد لا تحصل. قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}. وإذن فمن الناس من يعطى ما يريد من الدنيا ومنه من يعطى شيئاً منه ومنهم من لا يعطى شيئاً أبدا. وهذا معنى قوله تعالى: {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}. أما قوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً}. فلا بد أن يجني هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة. ولعل قصيدتي هذي تكون أول الغيث! وبعدها تكون انطلاقات الأدباء والكتاب والشعراء إن شاء الله تعالى!)

هـــاجرتَ باســـم الله مِـــن أم القـــرى ... ترجـو انتصـار الحـق يـا خيـرَ الـورى

والصـــحبُ حولـــك ينصـــرونك حِســـبة ... وكتائـــبُ الصـــرعى تعـــودُ القهقـــرى

وإذا المدينـــة - بالأهـــازيج - انتشـــتْ ... وتبختـــرتْ فرحـــاً ، وزايلـــتِ الكـــرى

وربـــوعُ مكـــة ودّعـــتْ أحبابهـــا ... بالـدمع فـي عـين المـودّع قـد جـرى

والغـارُ أرسـلَ - فـي الظـلام - سـكينة ... يـا سـعدَ (ثـوْر)! ثـم مـا أحلـى (حِـرا)!

غـــاران - بالعـــدنان - زادا عِـــزة! ... وتشـــرّفا - بالمصـــطفى - وتعطـــرا

وإذا تـــرى الصـــديقَ يبســـمُ ثغـــرُه ... ثقـــة بنصـــر الله ، خيـــراً مـــا تـــرى

فيقـــولُ (أحمـــدُ): يـــا أبـــا بكـــر أدمْ ... ذكـــر المليـــك ، وآنَ أنْ تستبشـــرا

يـــا رب أكرمْنـــا بصـــحبة (أحمـــدٍ) ... فـــي جنـــة الفـــردوس ، يـــا رب الـــورى

أنـــا يـــا رســـول الله أنظـــمُ مِـــدحتي ... شـــعراً ، وحُـــق لمِـــدحتي أن تفخـــرا

شـــرُفتْ بـــك البطحـــاءُ خيـــرَ مهـــاجر ... ومدينـــة الإســـلام خيـــرٌ مَهجـــرا

هـــاجرت تُعلنهـــا نهايـــة حِقبـــةٍ ... كانـــت عـــلـــى الدنيـــا أضـــلّ وأغبـــرا

وعـــقـــرت بعـــلَ الجـــاهـــليـــة مُوقنـــاً ... أن الحـــنـــيـــفـــة صـــخـــرة لـــن تكْســـرا

وجهـــرت بـــالحق المبـــين مُبَلغـــاً ... عـــن ربـــك الـــرحمن هـــدياً نيّـــرا

وصـــدعت - بالإســـلام - تختصـــرُ المَـــدى ... وغـــدوت - فـــي أهـــل البســـيطة - مُنـــذرا

وهـــدى بـــك الـــديانُ قومـــاً أوغلـــوا ... فـــي الجاهليـــة والضـــلالة والمِـــرا

وســـطعت بـــدراً فـــي ظـــلام حيـــاتهم ... وأزلـــت جهـــلاً - فـــي القلـــوب - ومُنكـــرا

وأخـــذت - بالأيـــدي - لخيـــر هدايـــةٍ ... والجيـــلُ - بـــالقرآن - أصـــبح خيّـــرا

ورآك أهـــلُ الحـــق أشـــرفَ مُرســـل ... جـــاء الخليقـــة هاديـــاً ومُبشـــرا

وطفقـــت تُوســـعُهم بكـــل فضـــيلةٍ ... والكـــل عظـــم مـــا تقـــولُ ، وأكبـــرا

وصـــنعت - بـــالقرآن - جـــيلاً صـــالحاً ... مِـــن كـــل مِقـــدام لنصـــرتك انبـــرى

قـــومٌ - بهـــذا الـــدين - عَـــزوا فـــي الـــدنا ... وتســـنموا – بالسِـــلم - أنجـــادَ الـــذرى

بـــاعوا - لـــرب النـــاس - أنفســـهم ، ومـــا ... ملكـــوا مـــن الـــدنيا ، وربُهـــمُ اشـــترى

وتتبعـــــوا الأعـــــداء دون هـــــوادةٍ ... هـــم فـــي المعـــامع مثـــلُ آســـاد الشـــرى

هـــذا (علـــيٌ) ، لا تســـل عـــن عزمـــه ... وشـــجاعة فـــي الحـــق لـــن تتكـــررا

مستبســـلاً ضـــحّى الصـــبيّ بنفســـه ... فـــي موقـــفٍ أمســـى أضـــرّ وأخطـــرا

ومشـــى الهُـــوينى نحـــو مَخـــدع (أحمـــدٍ) ... مســـتخفياً ، وعلـــى الفـــراش تـــدثرا

وأتـــى إليـــه الظـــالمون عِصـــابة ... وتجمّعـــوا - حـــول المُمَـــدّد - حُضّـــرا

و(أبـــو تـــراب) لـــم تُخِفـــه جمـــوعُهم ... كـــلا ، ولا هـــو - فـــي البليّـــة - أدبـــرا

حتـــى إذا تركـــوه قـــام إلـــى الحِمـــى ... ليـــردّ للنـــاس الحقـــوقَ مُشـــمّرا

ويُعيـــدُ مـــا أتمنـــوا عليـــه المصـــطفى ... فنبينـــا أوحـــى إليـــه بمـــا جـــرى

وأشِـــيدُ بـــالمغوار (عـــامر بـــن فهيـــرة)! ... وأكيـــلُ مـــدحي وافـــراً ومُحَبّـــرا

فالســـــابقون الأولـــــون نُجلّهـــــم ... ونعيـــبُ خوانـــاً لجُهـــدهمُ ازدرى

كـــم ســـاوموه علـــى العقيـــدة ، مـــا انثنـــى ... وتعقبـــوه فمـــا اســـتكان ، ولا امتـــرى!

وشـــهودُه بطحـــاءُ مكـــة والحطيـــ ... ـــمُ وزمـــزمٌ ، حتـــى اســـتحالَ غضـــنفرا

حيـــاك ربـــك مِـــن أمـــين مُخلـــص ... فـــي كـــل عارفـــةٍ ســـما ، وتصـــدّرا

مـــولى أبـــي بكـــر رعـــى أغنامَـــه ... وأزال آثـــاراً بـــدتْ فـــوق الثـــرى

وغـــدا رفيقـــاً للنبـــي وخِلـــه ... ورديـــفَ صِـــدّيق الهُـــدى بـــين القـــرى

وتوجّـــه الركـــبُ المبـــاركُ قاصـــداً ... نحـــو المدينـــة داعيـــاً مُستبصـــرا

ولـــئن نســـيتُ فلســـتُ أنســـى فـــذة ... كانـــت بمـــا تأتيـــه – صِـــدقاً - أبصـــرا

(أســـماءُ) ضـــحّتْ بـــالكثير ، وأخلصـــتْ ... وتحمّلـــتْ مُـــرّ العـــذاب مُقنطـــرا

هـــذا (أبـــو جهـــل) يُـــدَمّي وجههـــا ... بـــالكف تقتـــنصُ الجبـــينَ الأنـــورا

و(أبـــو قحافـــة) جـــاء ينعِـــي حظهـــم ... فـــي والـــدٍ لـــم يُبـــق مـــالاً أو قِـــرى

فتقـــول أبقـــى ، ثـــم تصـــنعُ حِيلـــة ... نـــدّتْ - علـــى أذهاننـــا - أن تخطـــرا

وإذا تراهـــا فـــي نِطـــاقيْ غـــادةٍ ... وبســـالةٍ فاقـــت (صُـــهيباً) و(البَـــرا)

قلـــتُ: الأميـــرة ناصـــرت ركْـــبَ الهُـــدى ... حتـــى يكـــون الظعـــنُ بعـــدُ مُيَســـرا

فســـل المدينـــة عـــن دواعـــي بشْـــرها ... بالركـــب مُشـــتاقاً إليهـــا قـــد ســـرى

سَـــلها عـــن التحنـــان يغمـــرُ أهلهـــا ... بالصِـــيد قـــد ركبـــوا الجيـــادَ الضـــمّرا

وأتـــوْا إليهـــا تـــاركين ديـــارهم! ... ودمـــوعُ معظمِهـــم تفـــوقُ الأنهُـــرا

هـم هـاجروا – فـي الله – رغـم أنـوفهم ... حيـث الأذى ، والحـالُ بعـدُ تعسـرا

واستبشـعوا نـار الـبلاء تحـوطهم ... وتبيـدُ يـابسَ أرضِـهم والأخضـرا

وقـد اسـتحال العـيشُ فـي أصـقاعهم ... والكـل يسـألُ: مـا الجريمـة يـا تـرى؟

ويغـادر المختـارُ (مكـة) مُكرَهـاً ... والـدمعُ - مِـن عـين الحبيـب - تحـدّرا

ويقـولُ: أنـتِ أحـبُ أرض ، والـذي ... رفـع السـما ، ولأنـت خيـرٌ مَخبَـرا

واللهِ لـولا أن قومـك أخرجـو ... نـي مـا خرجـتُ - مـن الـديار - مُكَـدّرا

والناقـة (القصـواءُ) أسـرعتِ الخطـا ... وكأنهـا رَشـدتْ ، وشـبتْ مُعْصِـرا

فيقـول: هـذي ناقـة مـأمورة ... فـالحق ، كـل الحـق ، أن تُسـتأمرا!

حتـى إذا بركـتْ (أبـو أيـوبَ) أد ... ركَ مـا تريـدُ فسُـر بعـدُ ، وكبّـرا

وقـد استضـاف المصـطفى مُتشـرفاً ... ومُـبجّلاً ومُكرّمـاً ومُـوقرا

وهنـاك قامـت دولـة وحضـارة ... أزرتْ بكسـرى يزدجـرد وقيصـرا!

فيهـا تسـاوى النـاسُ دون تميّـز ... والجيـلُ مِـن أسْـر الهـوان تحـرّرا

وإلـى الأمـام تقـدمتْ زمَـرُ الهُـدى ... وتراجعـتْ زمَـرُ الضـلال إلـى الـورا

وتقـدّم الإسـلامُ يسـتبقُ الخطـا ... نحـو القيـادة ، دون أن يتـأخرا

حتـى يسـوسَ العـالمين ، يُريـدُهم ... إمـا اهتـدوا - بـين الخلائـق - أطهـرا

ويقـودُهم - نحـو الرشـاد - أماجـداً ... حتـى يكـون العـيشُ حُلـواً مُزهِـرا

حتـى يصـيروا - للمهـيمن - أعبُـداً ... إذ حُـق للأصـنام أن تتكسّـرا

إن الرسـول أقـام أسـمى دولـةٍ ... كانـت تضـارعُ فـي السـمُو المُشـترى

جعلـتْ علـوَ الـدين أنبـل غايـةٍ ... حتـى اسـتطاعت أن تلـي وتعمّـرا

هـيَ طبقـت شـرعَ المليـك تعبّـداً ... فـإذا بنصـر الله جـاء مُـؤزرا

وازيّنـــــتْ دُنيـــــا الأنـــــام لأهلهـــــا لكـــنْ غـــدتْ - لجنـــان ربـــك - مَعْبـــرا

يـــــا رب بلغنـــــا شـــــفاعة (أحمـــــدٍ) حتـــــى نشـــــاركَه الهنـــــا والكـــــوثرا

يـــــا رب وارض عـــــن الأشـــــاوس آلـــــه وصـــــحابةٍ فـــــاقوا الســـــنا والجـــــوهرا

وعـــن الـــذين بـــه اقتـــدوا ، مـــا أشـــرقتْ شـــمْسٌ أو اصـــطدمَ الســـحابُ فـــأمطرا!

إنا كفيناك المستهزئين

(إن أغلب أعداء هذه الأمة من داخلها من الأئمة المضلين! قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهّ زَوَى لي الأرضَ ، فرأَيتُ مشارقهَا ومَغارِبَها ، وإن مُلكَ أمَّتِي سيبلغ ما زُوِي مِنْهَا ، وإِنِّي أعْطِيتُ الكنزَين الأحْمَرَ والأَبيضَ ، وإني سأَلتُ ربي أَن لا يُهْلَكُوا بِسَنَةٍ بِعَامَةٍ ، ولاَ يُسَلِّطَ عليهم عدوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَستَبِيح بَيْضَتَهُمْ ، وإنَّ رَبي عَزَّ وَجَلَّ قال: يَا محمدُ إني إذا قضيتُ قِضاءَ فإنَّه لا يُرَد ، وإني أعْطَيْتُكَ لأمتك أنْ لاَ أَهْلِكَهُم بِسنة عَامة ، ولا أسَلِّطَ عليهِمْ عدواً من سِوَى أنفسِهم فَيَستبيحَ بَيْضَتَهُمْ ، ولو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقطَارِهَا ، أَو قال مَنْ بِأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً ، ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وإنَّما أَخَاف عَلى أمتِي الأئمة المُضِلِّينَ ، وإذا وُضِعَ في أمتي السيفُ لَم يَرْفَعْ عنهم إلى يَوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تَلْحَقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين ، وحتى تَعْبُد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلٌّ يزعمُ أنَّه نَبِي ، وأَنا خاتمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيّ بَعْدِي ، ولا تَزَال طائفة من أمتي ظاهرين على الحَق لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله عَزَّ وَجَلّ). رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي ، عن أبي أسماء عمرو بن مزيد ، عن ثوبان بن محمد بنحوه ، وقال الترمذي حسن صحيح. وإنه عندما عاد (الأعمى) من تمثيلية (السوربون) في باريس ، احتفل به علية القوم في الجامع الأزهر. ووقف الخطيب في خطبة الجمعة يشيد به وبرأس القوم فقال: (وأقسم غير حانث أن الملك ما عبس وما تولى أن جاءه الأعمى) ، موازنا بين النبي - صلى الله عليه وسلم – وعبد الله بن مكتوم - رضى الله عنه – وبين رأس القوم وعميله! وسورة (عبس) فيها قصة ابن أم مكتوم كما نعلم. فلما صلى الناس ، قام الشيخ (محمد شاكر) - رحمة الله عليه – في الناس خطيباً فقال: (أيها الملك ، أيها الناس: أعيدوا صلاتكم ، فإن الإمام الخطيب قد كفر ، لأنه عرّض بجاه وجناب الرسول – صلى الله عليه وسلم -.) ، فأعاد الملك والناس صلاتهم. ويحكي الشيخ (محمود محمد شاكر) عن أبيه أنه حدثه (والعهدة عليه في الرواية) ، ويورد الابن عن أبيه أنه أي الأب قد رأى ذلك الخطيب المرتزق وهو يتسول من الناس ويحمل نعليه. وذلك بعد أن كان أفقه فقهاء عصره وأعلمهم بالخطابة فلقد كان أخطب الخطباء. وأما محمد شاكر يومها فقد كان قاضي القضاة الشرعيين في مصر. إن النص القرآني القاطع (إنا كفيناك المستهزئين) ، والذي عنونا به لهذه القصيدة ليدل على أن كفاية الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -

المستهزئين ، إنما تكون على سبيل الإطلاق أي في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميع المستهزئين ، وبعد مماته وعلى مدار التاريخ. وخاصة في عصرنا هذا ، والذي أنا شاهد على كل ما يدور فيه من الهجمات الشرسة الضارية على الإسلام والقرآن والنبي والصحابة والقيم والأخلاق والمُثل والمناقب والفضائل. إن هذه الهجمة سيتولى الرد عليها وكبت أهلها وإلحاق الهزائم بهم ، الله رب العالمين تبارك وتعالى ، الذي له الخلق والأمر. نعم الخلق المستهزئون خلقه ، والأمر – ومن الأمر أمر الانتقام منهم – أمره: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين). وإنّ من محبّة الله جلّ وعلا محبّةَ رسوله – صلى الله عليه وسلم ـ ، قال ابن تيمية: "فإنّ الرسولَ – صلى الله عليه وسلم ـ إنما يُحَبّ لأجل الله ويطاع لأجل الله ويُتَبَّع لأجل الله ، كما قال جلّ وعلا: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ. فمحبّةُ الله جلّ وعلا لا تنفكّ عن محبّة رسولنا محمّد صلى الله عليه وسلم ـ ، في صحيحِ البخاريّ عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (ثلاثٌ من كُنّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان) ، ومنها: (أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما). وحينئذ فمحبّةُ سيِّد الخلق وأفضلِ البشر وإمامِ الرّسُل أصلٌ عظيم من أصولِ الدين وقاعِدَة مهمّة من قواعِدِ الإيمان ، كيف وقد قال ربُّنا جلّ وعلا: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، قال العلماء: وهذه الأولويّةُ تتضمَّن أن يكونَ الرسول أحبَّ إلى العبدِ من نفسِه ، وأن لا يكونَ للعبد حكمٌ على نفسه أصلاً ، بل الحكمُ لله وللرسّول وهديِه وشَرعه وسنّته. في الصحيحين من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: (لا يؤمِن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). ألا إن محبّةُ سيّدنا محمّد عاقبتُها خيرٌ عظيم وفضل عميم ونعيم مُقيم ، فمن أحبَّ رسولَ الله مؤمنًا بالله عزّ وجلّ موحِّدًا محقِّقًا له التوحيدَ كان مع رسولِ الله في جنّاتِ النعيم برحمةٍ من الله وفضلٍ وإحسان. عند البخاريّ أنّ رجلاً قال للنبيِّ: يا رسولَ الله ، متى الساعة؟ قال: (وماذا أعددتَ لها؟) قال: ما أعددتُ لها من كثيرِ صلاةٍ وصوم وصدقة ، أي: ما زِدتُ على الواجباتِ من نوافل ، ثم قال: ولكني أحبُّ الله ورسولَه ، فقال النبيّ: (أنت مع من أحببت) ، قال أنس رضي الله عنه وهو الصحابي الجليل: فأنا أحِبّ النبيَّ وأبا بكر وعُمر وأرجو أن أكونَ معهم بحُبِّي إيّاهم وإن لم أعمَل بمثلِ أعمالهم. يقول الحسن البصري رضي الله عنه في فهم هذا الحديث: "فمن أحبَّ قومًا اتَّبع آثارَهم ، ولن تلحقَ بالأبرار حتى تتّبِع آثارَهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم ، وتصبح وتمسي وأنت على منهجهم ، حريصًا أن تكونَ منهم ، فتسلك سبيلَهم ، وتأخذ طريقَهم ، وإن كنت مقصِّرًا في العمل". وإن محبةُ رسول الله تقتضي تعظيمَ النبيّ وتوقيرَه والأدَبَ معه وفقَ المأذونِ وحسبَ المشروع في كتابِ الله جلّ وعلا وسنّةِ رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام. تعظيمٌ مشروعٌ يقتضي التعظيمَ بالقلبِ باعتقادِ كونِه رسولاً ، رسولاً مصطفي مخصوصًا بأعلى المقدار

وأرفعِ الأذكار دونَ غلوٍّ أو جفاء ، وبدون وقوعٍ في محذورٍ. تعظيمٌ باللسان وذلك بالثناءِ عليه بما هو أهلُه وبأفضلِ ما يوصَف به خيرُ البشر، وحينئذ فالواجبُ البُعد والحذَر في مقام النبوّة من الجفاءِ ، كترك الصلاة عليه لَفظًا وخطًّا ، أو الاستهانة بهديِه وسنّته ، أو قلّة المبالاةِ بها ، أو إهمال مطالعةِ سيرتِه ومذاكرةِ هديه. كان محمد بن المنكَدِر وهو من أعلامِ التابعين ، إذا سئل عن حديثٍ من أحاديثِ رسول الله بَكَى حتى يرحَمه الجالسون إجلالاً وتوقيرًا لرسولِ الله! قال ابن العربي: "حُرمةُ النبيِّ ميتًا كحُرمتِه حيًّا ، وكلامه المأثورُ بعد موته في الرِّفعة مثل كلامِه المسموع في لفظه ، فإذا قُرِئ كلامُه وجب على كلّ حاضرٍ أن لا يرفعَ صوتَه عليه ، ولا يعرض عنه. إلى أن قال: وله مِنَ الحرمة مثلُ ما للقرآنِ ، إلاَّ معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه". فواجبُ المسلم اختيارُ أحسنِ الألفاظ وأهذبها وأرقِّ المعاني وألطفِها في الحديث عنه ، وتجنُّب كلِّ ما فيه جفاءٌ أو إساءَةُ أدبٍ مع مقامه. فأين (الأعمى) وأتباعه من هذا الكلام؟ وإن كتابات الرجل شاهدة! أما آل شاكر فيستحقون هذه القصيدة المتواضعة! وذلك مني احتراماً لمقام هذه العائلة المباركة ولجهودهمُ الميمونة في نصرة الإسلام والمسلمين. فكم كتبوا ، وكم نقحوا ، وكم دافعوا ، وكم حققوا ، وكم دققوا. فإذا بالعلم المصفى ، الخالي من الشبهات والشهوات ، والمصفى من الأقوال الشاذة والأحاديث الموضوعة والباطلة التي لا تصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم -. وهي دعوة مني للشعراء والأدباء من المؤمنين الموحدين أن ينصروا آل شاكر بشعرهم. والله نصير من ينصره وينصر نبيه!)

رجّعْ نشيدك في القطيع الشاردِ ... وامزجه باللحن الرطيب الخالدِ

واجهر بصوت لم يُهادن لحظة ... وارو القصيدة بالأداء الصامد

لم تتخذ لغة تجامل من طغى ... فاصفع بكل الحق صولة حاقد

نافحتَ وحدك رغم بأس مَن اعتدى ... فرآك كل الناس أفضل ذائد

وفجَرْت يَنبوع الحقيقة صائلاً ... ولذا انتصرت على السفيه الحاقد

لم تخش بأس أولي العلوّ وحزبهم ... إذ أنت عبدٌ للمليك الواحد

والله وفقهم لطاعة ما ترى ... سبحان ربك مِن قدير ماجد

جبَلَ النفوس على الإطاعة والهوى ... شتان بين مُخذل ومجاهد!

مـــنح العـــزائم: تلـــك تعبـــد ربهـــا وعزيمـــــة تحيـــا بفقـــهٍ حائـــد

لمّـــا صـــدقتَ مـــع المليـــك بـــك اهتـــدوا لـــم يســـتجب قـــوم لمثـــل الراشـــد

وعلـــى ســـبيلك ســـار شـــبلك (أحمـــد) إذ إنـــه - فـــي العلـــم - أصـــدق رائـــد

وأخـــوه (محمـــود) توشـــح بالهُـــدى فليـــرحم الـــرحمنُ أكـــرم والـــد

إنـــي لأحســـبكم طليعـــة جيلنـــا والعلـــم فـــي الأســـفار تطبـــع شـــاهدي

وعلـــى الإلـــه الحـــق لســـتُ مزكيـــاً أحـــداً ، وهـــذا ســـمتُ كـــل قصـــائدي

يـــا آل شـــاكر ، يـــا مصـــابيح الـــدجى يـــا مـــن قصـــمتم كيـــد كـــل معانـــد

يـــا مـــن أبنـــتم مِـــن حـــديث المصـــطفي وكـــذاك فصّـــلتم بهـــيج عقائـــد

يـــا مـــن كتـــاب الله بـــارك ســـعيَكم! فـــي (عُمـــدة التفســـير) خيـــرُ فرائـــد

يـــا آل شـــاكر ، حـــبكم قربـــى إلـــى رب الخلائـــق ذي الجـــلال الواجـــد

وعلـــيّ هـــذا الحـــب دَيْـــنٌ عاجـــلٌ ووفـــاؤه بالشـــعر يَكبـــت حاســـدي

أنـــا لســـتُ أملـــك غيـــر شـــعري عُـــدة هـــذي القصـــائد صُـــحبتي وخرائـــدي

فتقبلـــوا منـــي القـــريض مضـــمّخاً بالياســـمين علـــى شـــهيِّ موائـــدي

إنك ميت وإنهم ميتون

(لفرط حبهم للنبي - ﷺ - لم يكن بعض الصحابة يتصور أنه سيموت. وهذا عمر الفاروق يوم توفي النبي - ﷺ - يُعلنها: إنه ذهب كما ذهب موسى لميقات ربه وسيعود ، ألا من زعم أن رسول الله قد مات ، أضرب عنقه بسيفي هذا. حتى هدأتْ سَوْرةُ عمر عندما خطب الصديق الناس واستهل بقوله: أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا ، فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت. وتلا الصديق الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين). عند ذلك يهدأ الفاروق ويقول: لكأني بهذه الآية قد نزلت لتوها. وإذن ، فكل مصيبة بعدك يا رسول الله هيّنة لا تقارن بمصاب الأمة المسلمة فيك يوم فارقتها. حديثٌ للنبي - ﷺ - معناه: أنَّ مَنْ أرادَ أنْ تَهُون عليه مصيبتُه فليتذكرْ مصيبتَه فيَّ. أي: فِيه ﷺ. ولـمَّا كانتْ إصابتي في مُقلتي تذكرت المصاب الأعظمَ الذي هُو موتُ النبي - ﷺ -. ثمَّ عِشْتُ مع أبيات للشاعر العملاق العظيم حسان بن ثابت شاعر الرسول - رضي الله تعالى عنه - ، يرثي فيها النبي – عليه السلام – رثاء لاعجاً دامعاً باكيا ، يتحفنا فيه بقوله:

مـا بـالُ عينِـك لا تنَـامُ كأنّهَـا ... كُحلـت مآقيهـا بكُحـل الأرمَـدِ
جَزَعًا على المَهْديِّ أصبحَ ثاويًا ... يا خيرَ مَنْ وَطِئَ الحصَى لا تبعد
وجْهـي يقيـك التَّـرْب ، لهفـي ، ... غُيِّبْـتُ قبلَـك فـي بقيـع الغَرقَـد
بـأبي وأمـي مَـنْ شـهدتُ وفاتَـه ... فـي يـوم الاثنين النبـي المُهْتَدِي
وظللـتُ بعـد وفاتـه متبلِّـدًا ... متلـددًا ، يـا ليتنـي لـم أولَـد
أأقـيمُ بعـدكَ بالمدينـة بَيْـنَهُم؟ ... يـا ليتنـي صـبِّحت سُـم الأَسْـود!
أوْ حَـلَّ أمـرُ الله فينـا عـاجلاً ... في رَوْحَـةٍ مِنْ يومنـا أو فـي غَد
فتقـوم سـاعتنا ، فنلقـى طيبًـا ... مَحضًـا ضـرائبه كـريم المحتـد
يـا بِكـر آمنـةَ المبـارك بِكرُهـا ... ولدتْـهُ مُحْصَـلَةً بسَـعْد الأَسْـعَد
نُـورًا أضـاءَ علـى البريـة كلهـا ... مَـنْ يُهْـد للنّـور المبـارك يَهْتَـد
يَـا ربِّ فاجمعْنـا معًـا ونبيَّنَـا ... فـي جنـة تثنـي عُيـونَ الحُسَّـد
فِـي جنـة الفـردوس فاكتبْهـا لنـا ... يـا ذا الجـلال وذا العلا والسؤددِ

وعندما تذكرت هذا المقطع مِنْ دَاليَّة حسان تحركَتْ في نفسي هذه الخاطرة ، وتذكرت النبي – صلى الله عليه وسلم – عند وفاته ، وكيف آثر الرفيق الأعلى ،

وعبر شريط سمعته منذ عشرين سنة للشيخ القطان عن وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم - يقول في مطلعه: (إنه نداءٌ إلى من عظمت مصيبته في موت حبيب من أحبابه ؛ ليذكر مصيبته في المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، يوعك عليه الصلاة والسلام كوعك رجلين ، ومع ذلك ما يمنعه ذلك من أن يمتثل أمر ربه في أن يودع أصحاب البقيع ويستغفر لهم ، النبي صلى الله عليه وسلم يودع أهل البقيع ويستغفر لهم ، ولا يمنعه مرضه من أن يوصي أمته بوصايا مهمة في مرض موته ثم بعد ذلك يختار الرفيق الأعلى ، وقد قرت عينه بإبلاغه لأمته الوصايا المهمة في دين الله. يَخْرُج النبي - صلى الله عليه وسلم - في جوف الليل وتتبعُه أم المؤمنين عائشة ، ويتبعه خادمه أبو مويهبة قائلاً: (إلى أين يا رسول الله؟ فيقول: أُمِرْتُ أن أستغفر لشهداء وموتى البقيع ، ويصل إلى مواقع الشهداء ويرفع يديه إلى الله يدعو دعاءً طويلاً في ظلام الليل ، ثم يقول: لِيَهْنِكُم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه) ، يهنئ الشهداء بما أصبحوا ، أصبحوا وأرواحُهم في حواصل طير خضر ، ترتع في أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، هناك عند أرحم الراحمين: (لِيَهْنِكُم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه...). بماذا أصبح الشهداء؟! (للشهيد عند الله سبع خصال: يُغْفَر له عند أول دفعة من دمه. ويرى مكانه في الجنة. ويُجار من عذاب القبر. ويأمن الفزع الأكبر. ويُوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها. ويُزَوَّج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين. ويُشفَّع في سبعين من أقاربه). (... أقْبَلَت الفتن كقطع الليل المظلم - وهو يدعو للشهداء يحدث من حوله- أقْبَلَت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرُها أولَها ، وآخرُها شر من أولِها ، يا أبا مويهبة! إنني خُيِّرت بين الخلود في الدنيا وكنوزها ، وبين لقاء الله والجنة ، فاخترتُ لقاء الله...). إن الذي يريد أن تهون عليه مصيبته وكأنها لم تكن ، فليتذكر البلية العظمى التي كل مصاب دونها فهو جلل ، إنها موت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -. قال صاحب الظلال في التعليق على الآية: (كل نفس ذائقة الموت) ما نصه: (هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء. فما أجدر الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي ، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). والابتلاء بالشر مفهوم أمره. ليتكشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ، ومدى ثقته في ربه ورجائه في رحمته. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان. إن الابتلاء بالخير أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير. كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة

والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع ، وما يثيرانه من شهوات وأطماع!).هـ. لقد تذكرتُ وفاة النبي – عليه السلام - فتولد في أساريري فوراً هذا المطلع الحزين ، وداعبتْ خاطري هذه الكلمات ، وأكملتُ بعدها هذي القصيدة:)

أَبَـــا الزَّهْـــراءِ قَـــدْ أنَّ التِيَـــاعِي ... وعَينِـــي هزهـــا ألـــمُ الـــوداعِ
ويَكْفِينِـــي مُصَـــابي فيـــكَ حقّـــا ... ودمـــعُ العـــين مـــن بعـــض انطبـــاعي
ودينُـــكَ نُـــورُ عَيْنِـــي ، بـــلْ حَيَـــاتي ... وسُـــنة (أحمـــدٍ) زاد الجيـــاع
يُهَـــوِّنُ مِـــنْ ذِهَـــابِ العَـــيْن عنـــدي ... ذِهَـــابُ (مُحَمَـــدٍ) ، هـــذا اقتنـــاعي
أُحِبُّـــكَ ، يـــا نَبِـــيَّ الله حقّـــا ... فِـــدَاكَ أبـــي وأُمِّـــي خَيْـــرَ داع
وإنِّـــي مـــا رَثَيْتُـــكَ فـــي قريضـــي ... لأنّـــك فـــوقَ تـــأْلِيفِ اليَـــرَاع
بِمِثْلِـــكَ لَـــمْ أُصَـــبْ أبَـــدًا ، وربِّـــي ... بَكيتُـــك طالَمَـــا صـــاعًا بصـــاعِ
وموتُـــكَ يـــا رســـولَ اللهِ كَـــرْبٌ ... بُليـــتُ بِـــهِ ، كَمَـــا بُلِيَـــتْ بِقَـــاعي
وسُـــنّةَ رَبِّنَـــا مَـــوْتُ البَرايَـــا ... لكُـــمْ فـــي عِلـــم ذلـــكَ خَيْـــرُ بَـــاع
سَـــيُدْرِكُنَا المَـــوَاتُ ، ولـــو بَعُـــدنا ... وإنْ كُنّـــا بـــأبراجِ القِـــلاَع
ومـــا دُمْـــتَ ابـــنَ آدمَ سَـــوفَ تَمْضـــي ... وتَنْعِيـــكَ الـــديارُ ، وَكُـــلُّ نَـــاع
مُصَـــابِي فيـــكَ أذهـــبَ حُـــزنَ عيْنِـــي ... لِفَقْـــدكَ قَـــدْ حَيِينَـــا فِـــي ضَـــيَاع
رَسُـــول اللهِ ، لِسْـــتُ إليـــكَ أشْـــكُو ... ولـيسَ الشّـرْكُ ـ قَطْعًا ـ مِـنْ طِبـاعي
وَقَـــدْ عَلّمْتَنِـــي أدْعُـــو إلَهِـــي ... وذلـــك ديـــدَنِي مُنْـــذَ الرَّضَـــاع
حَـــدِيثُك هَـــزَّ أعْمـــاقِي فَجَـــادَتْ ... شـــموسُ الشِّـــعْرِ تَسْـــرِي كالشُّـــعَاع
عليـــكَ سَـــلامُ مولانـــا تعـــالى ... كثيـــرًا دائمًـــا دُونَ انْقِطَـــاع
ونَـــوِّرْ يَـــا إلَـــهَ الخَلْـــقِ عَيْنِـــي ... وَتَـــوِّجْ بالهَنَـــا كُـــلَّ المَسَـــاعي

[جريدة الوحدة العربية - 1996/1/2 م]

ثلاثة أقمار ، وأنت رابعتهن

(روى الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد وافقه الذهبي على تصحيحه أن عائشة – رضي الله عنها - قالت: رأيت في المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي ، فقصصتْ ذلك على أبي بكر - رضي الله عنه – فلما دفن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال أبو بكر: هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها. وفي رواية للطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل بإسناد صحيح أن أبا بكر زاد: يا عائشة إن تصدق رؤياك يدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة. فلما قُبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال لها أبو بكر: يا عائشة هذا خيرُ أقمارك ، وهو أحدها).هـ. أقول وبالله التوفيق ومنه العون والسداد - وأعتذر عن طول هذه المقدمة نسبياً -: ليست هذي المرة التي أكتب عن أمي وأم المؤمنين أجمعين التي هي حبيبة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – والصديقة بنت الصديق عائشة. لقد كتبت عنها عدة مرات سبقت هذه المرة. وهذه القصيدة ذات شأن خاص. إنها أي الصديقة عائشة - رضي الله عنها – معلمة الرجال والأجيال ، والتاريخ يشهد بأن أجلاء الصحابة كانوا يرجعون إليها ويستفتونها ويأخذون بالذي تراه. وأستدل على ذلك بشواهد منها: روي مسلم من حديث عبيد بن عمير قال: بلغ عائشة – رضي الله عنها - أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن (أي يحللن ضفائر الشعر). فقالت: يا عجباً لابن عمر هذا. يأمر النساء أن ينقضن رؤوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات.هـ. وروى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - رأت عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما - قال: من أهدى هدياً (أي ما يهدى للبيت) حُرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر هديه. فقالت عائشة: ليس كما قال ابن عباس ، أنا فتلت قلائد هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيدي ثم قلدها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيديه ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم شيء أحله الله حتى نحر الهدي.هـ. وأورد ابن حجر في فتح الباري من طريق عبد الله بن عمر أن عائشة كانت تقول: لا بأس بأن يمس الطيب عند الإحرام. قال عبد الله بن عمر فدعوت رجلاً وأنا جالس بجانب عمر (أي عمر بن الخطاب أبيه) ، فأرسلته إليها وقد علمتُ قولها. ولكن أحببت أن يسمعه أبي (أي عمر) ، فجاءني رسولي فقال: إن عائشة تقول: (لا بأس بالطيب عند الإحرام فأصب ما بدا لك). فسكت ابن عمر.هـ. إن عائشة الصديقة بنت الصديق هي أم عبد الله (الموفقة) كما سماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى جبريل بصورتها في قطعة من حرير ،

وقال: هذه امرأتك ، وفي رواية أخرى: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. وزوجه الله تعالى إياها من فوق السبع الطباق. نعم ـ تزوجها وهي ابنة ست ، وأدخلت ـ رضي الله عنها ـ عليه وهي ابنة تسع ومكث عندها تسعاً. وهي حبيبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهي أحب نسائه إليه. وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة. ولم ينزل عليه من قرآن إلا في بيتها. ودعا لها النبي – صلى الله عليه وسلم ـ فقال: اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر. وكان يسترضيها ويعتذر لها في بعض الأحوال. وكانت إن هويت شيئاً تابعها عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان يخصها بالمسايرة في السفر. وأعطاها ناقة خاصة بها وأوصاها بالرفق بها. ولم يتزوج بكراً غيرها من نسائه. ولما افتقدها في بعض أسفاره قال: (واعروساه). ولما نزلت آية التخيير بدأ بعائشة. واختار أن يُمرض في بيتها. واجتمع ريقه وريقها بعد أن مضغت سواك أخيها عبد الرحمن فأعطته للنبي – صلى الله عليه وسلم ـ. وقال للذي دعاه إلى الطعام. (وعائشة؟) فقال: لا! فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا) مرة ومرة وفي الثالثة قال: (نعم). ورجّلت شعر النبي وهو معتكف غير مرة. وطيبته بيدها لإحرامه وحله. واغتسلت والنبي في إناء واحد. وصلى على الفراش وهي عليه بينه وبين القبلة. ونامت ورسول الله في لحاف واحد وهي حائض. وسابقته وسابقها. وكان يؤثر يوم عائشة خشية أن تستوحش إذا استيقظت. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم: كُمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وأيضاً سلم جبريل عليها وذلك في أكثر من حديث ، ففي لفظ البخاري من حديث عائشة أنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوماً: هذا جبريل يقريك السلام ، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. وأيضاً أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات. خرّج الترمذي في سننه من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه ـ قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط فسألنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلا وجدنا عندها منه علماً. قال الحافظ عبد الغني وغيره: روت عائشة عن رسول الله – صلى الله ليه وسلم ـ ألفاً وعشرة حديث اتفقنا منها على مائة وأربع وسبعين حديثاً وتفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين. وعن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ، ولا بحلال ولا بحرام ، ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة ، وهذا الأثر أخرجه أبو عمر. وأخرج أبو القاسم الدمشقي وأبو عمر عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: ما رأيت أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ـ رضي الله عنها ـ. وخرج أبو عمر عن الزهري قال: لو جُمع علم عائشة ـ رضي الله عنها ـ بعلم جميع أزواجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر. وعن عطاء قال: بعث

معاوية إلى عائشة - رضي الله عنها - بطبق من ذهب فيه جوهر قوم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -! ووالله لو ظللت أكتب عن صفات أم المؤمنين ومناقبها لاستغرقت الكثير. وهذا على كل حال تقديم لقصيدة شعرية وليس ترجمة لها. وأسأل الله أن يهلك من تنقصها ولو ببنت شفة! وأكتفي!)

مناقـــبُ فـــي الـــورى كـــالمعجزاتِ ... خُصصـــتِ بهـــنّ خيـــرَ الأمهـــاتِ

وأخـــلاقٌ عُرفـــتِ بهـــا ، وســـمْتٌ ... وحســـنُ الطبـــع مـــن خيـــر الهبـــات

وطِيبـــــة مَحْتـــــدٍ بلغـــتْ ذراهـــا ... وطيـــبُ الأصـــل مـــن أحلـــى الســـمات

وآيـــــاتُ المكـــــارم قـــــد تجلـــــتْ ... ونبـــلُ الـــنفس مـــن أنـــدى الصـــفات

وبـــــذلٌ للخيـــــور بـــــلا حســـــاب ... وبـــذل الخيـــر أرجـــى التضـــحيات

ونصـــــحٌ للخلائـــــق مســـــتنيرٌ ... علـــى التقـــوى يُقـــيم البيّنـــات

وتعلـــيمٌ لمـــن جهلـــوا وزلـــوا ... فـــإن العلـــم أســـمى الأعطيـــات

وصـــبرٌ فـــي مواجهـــة المنايـــا ... وعنـــد الله أجـــر الصـــابرات

وحلـــمٌ مـــا لـــه أبـــداً مثيـــلٌ ... وإن الحلـــم دأبُ الصـــالحات

وحســـنٌ فـــي معاملـــة البرايـــا ... وهـــذا مـــن عظـــيم المَكرُمـــات

ولـــينٌ فـــي الأمـــور إذا استشـــاطتْ ... وحـــزمٌ إن دعـــا داعـــي الثبـــات

ونجـــدة مَـــن إليهـــا جـــاء يشـــكو ... لتـــدحَر عنـــه كيـــدَ العائـــدات

وإخـــلاصٌ لـــدين الله ســـام ... يفـــوق جميـــع بـــذل المخلصـــات

وإخبـــاتٌ بهـــا بلـــغ الثريـــا ... وبـــارك ربنـــا فـــي المُخبتـــات

وصـــدقٌ فـــي الفعـــال وفـــي النوايـــا ... ومَـــن فـــي النـــاس مثـــلُ الصـــادقات؟

وطيِّبـــة لهـــا الإحســـان طبـــعٌ ... وســـمتٌ ، تلـــك أم المحصـــنات

ومُقبلـــــة علـــــى الله احتســـــاباً وإن الله مـــــــولى المُقـــــــبلات

وداعيـــــة بعلـــــم واصـــــطبار يُزخـــــرف درب كـــــل الـــــداعيات

ووالـــــدة تنـــــال رضـــــا بنيهـــــا وربِّـــــي ، تلـــــك خيـــــر الوالـــــدات!

ومُحصـــــنة ، ويكفـــــر مَـــــن رماهـــــا وســـــيرتها تســـــر الطيبـــــات

عبادتهـــــا لـــــرب النـــــاس شـــــرعٌ تنـــــال بـــــه ثـــــواب العابـــــدات

ومؤمنـــــة لهـــــا التقـــــوى ســـــبيل ودمـــــعٌ قـــــد تحـــــدّر فـــــي الصـــــلاة

وصـــــومٌ لا يقاومـــــه ســـــواها بـــــه فاقـــــت جميـــــع الصـــــائمات

وجـــــودٌ بالـــــدراهم والعطايـــــا فهـــــذي قـــــدوة المتصـــــدقات

وأم المـــــؤمنين ، ونعـــــم أمـــــاً وأمَّ هـــــذي للمؤمنـــــات

ليـــــرض الله عـــــن أم وآل لهـــــم رُصـــــدتْ جميـــــعُ المعجـــــزات

ومـــــن قلبـــــي أزرُّ الحـــــب شـــــعراً وأمســـــك باليراعـــــة والـــــدواة

أزفّ تحيتـــــي بالشـــــعر فخـــــراً بخيـــــر العابـــــدات الفضـــــليات

وأنتخـــــب الكـــــلام لهـــــا احترامـــــاً وأوغـــــل فـــــي رطيـــــب تـــــأملاتي

وأُولِـــــي (عـــــائشَ) الخيـــــراتِ وُدي وأهـــــدي الشـــــعر تـــــاج الخيّـــــرات

لهـــــا حـــــبٌ بقلبـــــي لا يُبـــــارى وأفـــــديها - رضـــــيّاً - بالحيـــــاة

وعنهـــــا أدفـــــع العـــــادين دفعـــــاً وأدْحـــــضُ مـــــا افتـــــروْهُ مـــــن أذاة

وأُبطـــلُ ســـحر مَـــن فـــي الشـــعر غـــالوا وســـاروا فـــي دهـــاليز الغـــواة

وأعمِـــلُ فـــي الغثـــا ســـيف انتقـــامي لكـــي أجتـــث ألســـنة الطغـــاة

وأردعُ بـــالقريض غـــرور قـــوم رعاديـــدٍ دهاقنـــةٍ عُتـــاة

وأَخمِـــدُ فتنـــة هاجـــت وماجـــت وأطفـــئ بالقصـــيد الشـــائعات

وأوهـــن كيـــد مَـــن كـــالوا الـــدنايا وغاصـــوا فـــي خِضـــم الموبقـــات

وأَرخـــص للبريئـــة جُـــل شـــعري وآمـــالي وآلامـــي وذاتـــي

أقـــول لهـــا: فـــداكِ اليـــوم نفســـي وشِـــعرٌ مـــن ســـويدا القلـــب آت

ورؤيـــاكِ الجليلـــة محـــضُ صـــدق وفيهـــا يزدهـــي عبـــقُ العظـــات

فقَـــرّي بالـــذي عاينـــتِ عينـــاً ففـــي الرؤيـــا أريـــجُ الأمنيـــات

وفيهـــا مـــن علـــوم الغيـــب بُشـــرى مُحمّلـــة بعـــذب الـــذكريات

سيؤنسُـــك الحبيـــب ، وإن يُـــوارَي وحيـــداً مســـتجيباً للوفـــاة

ســـيبقى فـــي جـــوارك ، فاســـتريحي ولا تصـــغي لآهـــات النعـــات

وهـــذا أول الأقمـــار حقـــاً رســـولُ الله ســـلطانُ التقـــاة

وثانيهـــا أبـــوك بـــدون شـــكٍ أبـــو بكـــر دفـــينٌ بالوصـــاة

رفيـــق للنبـــي مـــدى حيـــاة كـــذاك رفيقـــه بعـــد الممـــات

وثالثهـــا (الفـــاروق) بـــلا جـــدال شـــريكُهما ونبـــراس الأبـــاة

ومـــن أبلـــى بـــلاءً لا يبـــارى فبعـــد أبيـــك ذا خيـــر الرعـــاة

ورابعـــة أراك لهـــم ، وهـــذا لأنـــك مـــن خيـــار المســـلمات

حبيبـــة قلـــب (أحمـــدنا) ، ويكفـــي رضـــاهُ عنـــكِ خيـــر القانتـــات

مجاهـــدة لهـــا رأيٌ وشـــورى وراشـــدة تخـــوض المُعضـــلات

وبعـــدُ فقيهـــة فـــي ديـــن ربـــي ويَصـــحبنا التفقـــهُ للنجـــاة

وتطـــرح مـــا تيســـر مـــن دليـــل ... لتقنـــع مَـــن يجـــادل فـــي أنـــاة

لهـــا فـــي العلـــم مـــذهبُ مـــن تربّـــتْ ... علـــــى التقـــــوى وآيٍ بينـــــات

وســـــنة (أحمـــــدٍ) ، فلهـــــا رواة ... فأجمـــــلْ بالروايـــــة والـــــرواة

وثـــم طبيبـــة تصِـــف التـــداوي ... لمـــن أضـــنته مَلهبـــة الشـــكاة

وعاشـــت كالمنـــارة وســـط قـــوم ... تناصـــح بالوصـــايا النيـــرات

وتكلـــؤهم بعطـــف وافتخـــار ... وهـــم لـــلأم مـــن خيـــر الحُمـــاة

لهـــا رقَّـــوا ، ومـــا طلبتـــه لبّـــوْا ... وإن تنطـــقْ يلـــوذوا بالســـكات

وصـــانوا ودّهـــا فـــي كـــل حـــين ... ومـــا افتتنـــوا بأهـــل الترهـــات

وكيـــف ينـــال (عائشـــة) لئـــامٌ ... بســـوءٍ لـــم يكـــن فـــي الأوليـــات؟

ألا خـــاب الـــروافض مـــن عشـــير ... يشـــوّه صِـــيت خيـــر المحســـنات!

ينـــال مـــن العفيفـــة دون حـــق ... ويطعـــن عِـــرض أطهـــر مبـــتلاة

وهـــم قـــد كـــذَبوا قـــرآن ربـــي ... بـــذلك أصـــبحوا أشـــقى الجُنـــاة

فآيـــاتُ البـــراءة شـــاهداتٌ ... لعائشـــةٍ بطهـــر المحصـــنات

وإنـــي اليـــوم أنصـــرها بشـــعري ... وأنصـــح بالقصـــيدة للـــدعاة

علـــيكم بـــالروافض أفحِمـــوهم ... ولا تخشَـــوْا أباطيـــل الغفـــاة

وقولـــوا الحـــق مهمـــا كـــان مُـــراً ... ومهمـــا صـــدّ جبـــارٌ وعـــات

ومَـــن يقبـــلْ بســـوء مِـــن ذويـــهِ ... ســـواءً فـــي البنـــين أو البنـــات

فهـــلْ يرضـــى لعائشـــةٍ بســـوءٍ؟ ... معـــاذ الله رب الكائنـــات!

حراء

(عام 1994م كنت عند غار حراء ، ولم يعجبني سلوك بعض المسلمين حيث يتمسحون بالحجارة التي لا تضر ولا تنفع عند حراء! وأنكرت على بعضهم فلامني البعض الآخر متعللاً أنها من أثر الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم! فقلت: يا ناس الضار والنافع هو الله تعالى! فكتب أنكر عليهم هذا التبرك بالحجر ودعاء غير الله! أتيحتْ لي الفرصة أن أصعد جبل النور ، وهناك وقفت أعلاه قبالة غار حراء ووجدت جموعاً كثيرة غفيرة ، كل مرادها من حراء التبرك والدعاء والصلاة فيه والتمسح بصخوره من الداخل ، نعم وقفوا كل يأخذ دوره كأنه المنسك ويزيد ، فتذكرتُ الأوائل بعلمهم وإقبالهم ووقوفهم على الدليل الحق ، وقارنتهم بكثير من الأواخر حيث الانصراف والإعراض والتولي عن الحق وأهله ، وانتظرتُ دوري ، ونزلت إلى الغار ، وجلست فيه بعض الوقت وعندها أخذتني الذكريات ، فأخذت أناجي حراء وجبل النور بلسان المشفق وبإشفاق اللسان في لوعة الشعر ، وكذلك في شعر اللوعة إلى أن نزلت من الجبل ، وكان صعودي قد استغرق خمساً وأربعين دقيقة ، بينما استغرق نزولي ربع الساعة! وعدت إلى الكعبة المشرفة. وإنما كان صعودي وهبوطي ومعاينتي لحراء الوقوف على الذكريات لا التبرك ولا الدعاء ولا الصلاة هناك! يقول الدكتور راغب السرجاني عن غار حراء ما نصه بتصرف: (تفكر رسول الله في غار حراء وكان صلى الله عليه وسلم من هذا المكان يُشاهد الكعبة ؛ ذلك البيت المقدَّس الذي يعلم ـ كما يعلم كل العرب ـ أنه بيت الله الحرام ، وأن له مكانة عند الله وحرمة لا يُدانيها أي مكان آخر في الدنيا ، ولعلَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يتفكَّر – أيضًا ـ في هذا الغار في طريقة إصلاح هذا المجتمع الفاسد ، الذي انتشرت فيه عادات قبيحة كثيرة كان من أهمها السجود للأصنام من دون الله عز وجل ، وكذلك طغى كثير من العادات القبيحة على معاملات الناس ، فظهر الظلم ، والجور ، والإباحية ، وشرب الخمور ، وإهانة طوائف كثيرة من طوائف المجتمع الضعيفة. ومع أن هذا الاختلاء كان يُريح نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من الواقع البغيض الذي كانت تعيشه مكة ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل ذلك طوال السنة ؛ إنما كان يفعله في أوقات معينة ، وكما تقول الروايات أنه كان يختلي بنفسه شهرًا في السنة ، وهو شهر رمضان ، وبعد البعثة المباركة لم يَعُدِ الرسول صلى الله عليه وسلم يختلي في غار حراء ؛ ولكنه عاد إلى هذا الاختلاء بشكل مخفَّف في المدينة عندما بدأ سُنَّة الاعتكاف ، وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: "المُسْلِمُ الذي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ، خَيْرٌ مِنَ المُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ". ولكن في الوقت ذاته ينبغي للدعاة أن يكونوا حريصين على الاختلاء بأنفسهم ، ولو أيامًا معدودة في السنة ؛

لكي يُصلحوا من أحوالهم ؛ لكي تكون لهم القدرة بعد ذلك على إصلاح أحوال الناس. وقبل أن نغادر هذه النقطة لا بُدَّ لنا من وقفة مع موقف خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهي كانت تُساعده فيها ؛ مع أن الأمر مستغرب في مكة ، وليس معتادًا بين الناس ، ومع أنها رضي الله عنها لا شك كانت متضررة بغيابه ؛ فزوجها يتركها شهرًا كاملاً ، لا يعود إليها إلا بضع ساعات يتزوَّد فيها لرحلة جديدة ، ومع أنه من الطبيعي أن تخاف عليه ، وهو في ذلك المكان الموحش ، فإنها كانت تُشَجِّعه وتُسانده ، وهذه ـ في الحقيقة ـ صفة من أهم صفات الزوجة الصالحة ، حيث تقف مع زوجها فيما يحبه ، وتُؤَيِّده وتُشَجِّعه ، وتكون عضدًا له في اختياراته ؛ فهذا ـ لا شكَّ ـ من أقوى الأمور التي تجعل الرابطة بين الرجل وزوجته من أقوى الروابط مطلقًا.)هـ وأشكر الدكتور السرجاني استنباطاته وتعليقاته الظريفة التي ألفناها وعهدناها فيه ، وأعود لحراء فأقول:)

يـــا حـــراء القلـــب يـــا عـــذب الأرجْ ... يـــا أليفـــاً وســـط عشـــاق الخَمَـــجْ

فـــي ضـــميري أمنيـــاتٌ تكتـــوي! ... فـــي فـــؤادي الحـــر جـــرحٌ يَعـــتلج!

إنمـــا الإســـلامُ فـــي أيامنـــا ... بـــات يشـــكو علـــة ، لا تنفـــرج

بـــات يشـــكو أهلـــه فـــي حُرقـــةٍ ... كيـــف ضـــاعوا فـــي متاهـــات الهَمَـــج؟

كيـــف شـــمسُ العـــز باتـــت تنـــزوي ... ثـــم نـــور الكـــون ولـــى ، والـــوَهَج؟

كيـــف جيـــل الحـــق أرداه الهـــوى ... ثـــم راح الحُمـــق يســـري ، والهَـــوَج؟

كيـــف (فـــاروق) المعـــالي لـــم يثـــر؟ ... إن هـــذا الخطـــب يســـتدعي الـــزعَج

أيـــن (صـــدّيق) التحـــدي ، إنهـــا ... ردةٌ ســـادت ، وفســـقٌ قـــد بـــرج؟

أيـــن (مقـــدادٌ وســـعدٌ والبـــرا)؟ ... أيـــن صـــبحٌ للتســـامي ينـــبلج؟

أيـــن (ســـيفُ الله) والجنـــدُ الألـــى ... قوَّمـــوا بالســـيف مَـــن يبغـــي العِـــوَج؟

أيـــن (قعقـــاعٌ) لـــه بـــأس المضـــا ... و(الطفيـــل) خلفـــه؟ يـــا للحـــرج!

أيـــن (عمـــرو) الحـــق؟ قـــد شـــط النـــوى ... واللظـــى فـــي القلـــب يجتـــاح الحُجُـــج

والمثنى أين؟ أدماني الجوى ... إن شوق لقائه حلو الأرج

ثم (زيدٌ) أين؟ أين حديثه؟ ... إن سُؤلي في فؤادي يرتعج

كيف هذا الهَدي أضحى لا يُرى؟ ... ما لهذا الخطب حل يندرج؟

ثم باتت أمتي تشكو الغثا ... في جحيم الكرب أمست تختلج

إيه يا هذي الأسيرة في الدنا ... إن قيد الأسر بالبلوى امتزج

ما لهذا الأسر حدٌ ، يا ترى؟ ... ما لهذا الضيق يوماً من فرج؟

يا صخور النور عزّي غارنا ... دمري في النفس بركان العَرَج

واسكبي فحوى التسامي في النهى ... واركبي متن العبير المبتهج

سائلي التاريخ ، دقي بابه ... مزقي ستر التردي والخلج

واهتكي الأوهام ، لا تستكتمي ... إن ظل الوهم فينا قد خرج

وارجمي الشيطان في أصقاعنا ... أم سيبقى في ربانا المنبلج؟

كم تصبرت كثيراً ، فطغى ... واستباح الحق بالكيد السمج!

لم تكوني للتجني مرتعاً ... قد حفظت العهد في بطن الحِجَج

كم توارى في حراءٍ (أحمدٌ) ... يذكر الرحمن ، يدعو ، يبتهج!

لم تدُلي عنه شيطاناً طغى ... فلماذا الصمت في هذي اللجَج؟

نحن - عبر الخوف - ولتْ ريحُنا ... بينما كم في الصحاري من مُهَج!

لم تمت ، في حين قد مات الورى ... حية في صمتها عبر الأبج

أغلب الأقوامُ ضلوا يا حرا ... كل دار فوقها رمز الخَمَج

كيـــف عـــم الزيـــف هـــذا أرضـــنا؟ كيـــــف بالإســـــلام زورٌ ينـــــدمج؟

ليـت شـعري مـا الـذى عنـا اختفـي؟ إن حـــول الشـــر ســـور منـــزلج

كيـــف قـــانون الأعـــادي عمَّنـــا؟ كيـــف ظلـــم هـــا هنـــا لا ينـــزعج؟

كـــل درب فيـــه ألـــوان الهـــوى والـــدنا غصـــت بأصـــناف الهـــزج

والغنـــاء المُـــر يغشـــى ســـاحة والخنـــا ، بـــل والربـــا ، يـــا للـــدُجُج!

إن فـــي الغيـــب المـــواتي فِرقـــة تمـــلأ الأفـــاق نـــوراً ينـــبلج

تنصـــر المَهـــديَ تعلـــي مِلـــة وتزيـــد النـــور فـــي القلـــب الـــبَهِج

بعضُ معانى الكلمات غير المطروقة

الخمج : الفتور وفساد الدين والخلق. يعتلج: يضطرب. الهمج: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير. الوهج: الاشتعال. الهوج: التهور والطيش معاً. الزعج: القلق والاضطراب. برج: تقول العرب ، برج هذا الأمر إذا ظهر واتسع. ينبلج: من قولهم بلج الصبح إذا أضاء وأشرق. الحجج: أي الجراح المسبورة. الأرج: ريح الطيب. يرتعج: أي يرتعد. يختلج: أي يضطرب بشدة. الخلج: أي الفساد. سمج: من قولهم رجل سمج أي قبيح.

في رحاب الهجرة

(إنه لا شك في أن الهجرة النبوية كانت نقطة تحول كبيرة في حياة المسلمين. وليست هذه المرة الأولى التي أنشد فيها من شِعري عن الهجرة ، ولن تكون المرة الأخيرة بالطبع! وتحت عنوان: (من دروس الهجرة النبوية) للأستاذ محمد بن ابراهيم الحمد نجده يستنبط عشرين درساً من هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث يقول ما نصه بتصرف بسيط: (إن الناظر في الهجرة النبوية يلحظ فيها حكماً باهرة ، ويستفيد دروساً عظيمة ، ويستخلص فوائد جمة يفيد منها الأفراد ، وتفيد منها الأمة بعامة. فمن ذلك على سبيل الإجمال: * أولاً: ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله: ويتجلى ذلك من خلال استبقاء النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وأبي بكر معه ؛ حيث لم يهاجرا إلى المدينة مع المسلمين ، فعليّ رضي الله عنه بات في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه صحبه في الرحلة. ويتجلى كذلك في استعانته بعبدالله بن أريقط الليثي وكان خبيراً ماهراً بالطريق. ويتجلى كذلك في كتم أسرار مسيره إلا من لهم صلة ماسّة ، ومع ذلك فلم يتوسع في إطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم ، ومع أخذه بتلك الأسباب وغيرها لم يكن ملتفتاً إليها ، بل كان قلبه مطوياً على التوكل على الله عز وجل. * ثانياً: ضرورة الإخلاص والسلامة من الأغراض الشخصية: فما كان عليه الصلاة والسلام خاملاً ، فيطلب بهذه الدعوة نباهة شأن ، وما كان مقِلاً حريصاً على بسطة العيش ؛ فيبغي بهذه الدعوة ثراء. * ثالثاً: الاعتدال حال السراء والضراء: فيوم خرج عليه الصلاة والسلام من مكة مكرهاً لم يخنع ولم يذل ، ولم يفقد ثقته بربه ، ولما فتح الله عليه ما فتح وأقر عينه بعز الإسلام وظهور المسلمين لم يطش زهواً ، ولم يتعاظم تيهاً ؛ فعيشته يوم أخرج من مكة كارهاً كعيشته يوم دخلها فاتحاً ظافراً وعيشته يوم كان في مكة يلاقي الأذى من سفهاء الأحلام كعيشته يوم أطلت رايته البلاد العربية ، وأطلت على ممالك قيصر ناحية تبوك. * رابعاً: اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين: فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أن الدعوة إلى زوال واضمحلال. ولكن الهجرة في حقيقتها تعطي درساً واضحاً في أن العاقبة للتقوى وللمتقين. فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلّم بسيرته المجاهد في سبيل الله الحق أن يثبت في وجه أشياع الباطل ، ولا يهن في دفاعهم وتقويم عوجهم ، ولا يهوله أن تقبل الأيام عليهم ، فيشتد بأسهم ، ويجلبوا بخيلهم ورجالهم ؛ فقد يكون للباطل جولة ، ولأشياعه صولة. * خامساً: ثبات أهل الإيمان في المواقف الحرجة: ذلك في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه لمّا كان في الغار: {ما ظنّك باثنين الله ثالثهما}. فهذا مثل من أمثلة الصدق والثبات ، والثقة بالله ،

والاتكال عليه عند الشدائد ، واليقين بأن الله لن يتخلى عنه في تلك الساعات الحرجة. هذه حال أهل الإيمان ، بخلاف أهل الكذب والنفاق ؛ فهم سرعان ما يتهاونون عند المخاوف وينهارون عند الشدائد. * سادساً: أن من حفظ الله حفظه الله: ويؤخذ هذا المعنى من حال النبي صلى الله عليه وسلم لما ائتمر به زعماء قريش ليعتقلوه ، أو يقتلوه ، أو يخرجوه ، فأنجاه الله منهم بعد أن حثا في وجوههم التراب ، وخرج من بينهم سليماً معافى. وهذه سنة ماضية ، فمن حفظ الله حفظه الله ، وأعظم ما يحفظ به أن يحفظ في دينه ، وهذا الحفظ شامل لحفظ البدن ، وليس بالضرورة أن يعصم الإنسان ؛ فلا يخلص إليه البتة ؛ فقد يصاب لترفع درجاته وتقال عثراته ، ولكن الشأن كل الشأن في حفظ الدين والدعوة. * سابعاً: أن النصر مع الصبر: فقد كان هيناً على الله عز وجل أن يصرف الأذى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة ، ولكنها سُنة الابتلاء يؤخذ بها النبي الأكرم ؛ ليستبين صبره ، ويعظم عند الله أجره ، وليعلم دعاة الإصلاح كيف يقتحمون الشدائد ، ويصبرون على ما يلاقون من الأذى صغيراً كان أم كبيراً. * ثامناً: الحاجة إلى الحِلم ، وملاقاة الإساءة بالإحسان: فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى في مكة قبل الهجرة من الطغاة والطغام أذىً كثيراً ، فيضرب عنها صفحاً أو عفواً ، ولما عاد إلى مكة فاتحاً ظافراً عفا وصفح عمن أذاه. * تاسعاً: استبانة أثر الإيمان: حيث رفع المسلمون رؤوسهم به ، وصبروا على ما واجهوه من الشدائد ، فصارت مظاهر أولئك الطغاة حقيرة في نفوسهم. * عاشراً: انتشار الإسلام وقوته: وهذه من فوائد الهجرة ، فلقد كان الإسلام بمكة مغموراً بشخب الباطل ، وكان أهل الحق في بلاء شديد ؛ فجاءت الهجرة ورفعت صوت الحق على صخب الباطل. * حادي عشر: أن من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه: فلما ترك المهاجرون ديارهم وأهليهم وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم ، أعاضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا. * ثاني عشر: قيام الحكومة الإسلامية والمجتمع المسلم. * ثالث عشر: اجتماع كلمة العرب وارتفاع شأنهم. * رابع عشر: التنبيه على فضل المهاجرين والأنصار. * خامس عشر: ظهور مزية المدينة: فالمدينة لم تكن معروفة قبل الإسلام بشيء من الفضل على غيرها من البلاد ، وإنما أحرزت فضلها بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها. * سادس عشر: سلامة التربية النبوية: فقد دلّت الهجرة على ذلك ؛ فقد صار الصحابة مؤهلين للاستخلاف ، وتحكيم شرع الله ، والقيام بأمره ، والجهاد في سبيله. * سابع عشر: التنبيه على عظم دور المسجد في الأمة: ويتجلى ذلك في أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة ، حيث بنى المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت ، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المسلم برب العالمين ، وليكون منطلقاً لجيوش العلم ، والدعوة والجهاد. * ثامن عشر: التنبيه على عظم دور المرأة: ويتجلى ذلك من خلال الدور

الذي قامت به عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما حيث كانتا نعم الناصر والمعين في أمر الهجرة ؛ فلم يَخذلا أباهما أبا بكر مع علمهما بخطر المغامرة ، ولم يُفشيا سرّ الرحلة لأحد ، ولم يتوانيا في تجهيز الراحلة تجهيزاً كاملاً ، إلى غير ذلك مما قامتا به. * تاسع عشر: عظم دور الشباب في نصرة الحق: ويتجلى ذلك في الدور الذي قام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة. ويتجلى من خلال ما قام به عبدالله بن أبي بكر ؛ حيث كان يستمع أخبار قريش ، ويزوّد بها النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر. * عشرون: حصول الأخوة وذوبان العصبيات).هـ. أشكر الأستاذ الحمد على هذي الدروس الفذة!)

حَـــدَثٌ أجـــلّ مـــن الجمـــال وأطيـــب ... ومناســـــباتٌ تُســـــتطابُ وتُرغـــــبُ

ومَعَـــزة فـــي القلـــب يبعـــث شـــجوَها ... ترنيمـــــة تـــــأتي ، وأخـــــرى تـــــذهب

وتَجلـــة فـــي الـــنفس تغمرُهـــا صـــدىً ... حتـــى تـــداعبَ مـــا تعـــيشُ ، وتطـــرب

وشـــرافة تُهـــدي اليـــراعَ مِـــدادَه ... فنـــراه يَسْـــطرً مـــا احتـــواه ويكتـــب

لمَقـــام خيـــر المرســـلين جلالـــة ... وكرامـــــة ، فهـــو البهـــي الأهيـــب

وإذا تـــــراه مهـــــاجراً متخفيـــــاً ... فتخالـــه يخشـــى الظهـــورَ ، ويرهـــب

وهـــو الـــذي بمليكـــه مُستعصـــمٌ ... يـــدعو ، ودمـــعُ فـــؤادِه يتصـــبب

ورفيقـــه الصـــديقُ يعصِـــرُه الأســـى ... فرَقـــاً عليـــه ، وقلبُـــه يتحـــرّق

ونبينـــا أهـــداه أعظـــمَ نصـــحِه ... ومضـــى لخـــاطره الكســـيرِ يُطيّـــب

يـــا ثـــانيَ اثنـــين اتئـــدْ ، واضـــرع إلـــى ... رب يقـــدّر مـــا يريـــدُ ، ويرقـــب

ويقـــول: لا تحـــزن ، فـــإن إلهنـــا ... معنـــا ، ولـــيس عليـــه أمـــرٌ يَصـــعُب

واللهِ لـــن يصِـــلوا إلينـــا ، فابتشـــرْ ... إنـــا اســـتعنا بالـــذي لا يُغلـــب

مهمـــا بـــدا لـــك مِـــن عـــدوّك كيـــدَه ... فـــالله مُـــوهنُ كيـــدِه إذ يغضـــب

أوَمـــا تـــراهم كُبكبـــوا فـــي هـــوّةٍ وتجنـــدلوا إذ لـــيس ثمـــة مهـــرب؟

فـــي غـــار ثـــور آيـــة ودلالـــة أن العقيـــدة نصـــرُها لا يُحجـــب

وإذا تـــرى (أســـماءَ) تحمـــل زادهـــا لنبيهـــا وأب ، ألا فـــاز الأب!

(ذات النطـــاقين) التـــي هـــي دُرّة! كانـــت لخـــلاق الـــورى تتقـــرب

أخفـــتْ دفـــين الســـرّ دون وصـــيةٍ حتـــى تُضـــلل طغمـــة تتعقـــب

دَورٌ يُتـــرجمُ للنســـا سُـــبُل الهُـــدى فمَـــن التـــى ودّ التقيـــة تخطِـــب؟

ومَـــن التـــي تســـعى لنصـــرة دينهـــا فـــي غيهـــب أمســـى يُســـيئُ ، ويُعطـــب؟

الهجـــرة الزهـــراء نصـــرٌ مُـــؤذن ببدايـــة الحـــق الـــذي لا يُســـلب

والحـــق منتصـــرٌ علـــى أعدائـــه والشـــرقُ مُنقـــادٌ لـــه والمغـــرب

جـــلّ المليـــكُ لـــه الخلائـــقُ أذعنـــتْ واللهُ منـــه العـــونُ قطعـــاً يُطلـــب!

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

(أورد ابن القيم في (جلاء الأفهام) قوله: (إن عموم العالمين قد حصل لهم النفع برسالة النبي – محمد – صلى الله عليه وسلم. أما أتباعه: فقد نالوا بها كرمة الدنيا وشرف الآخرة. * وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عُجّل قتلهم فموتهم خيرٌ لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة. وقد كتب الله تعالى عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر. * وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له ولا شك. * وأما المنافقون فحصل لهم إظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامه وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراة وغيرها. * وأما الأمم النائية عنه: فإن الله رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين الخير والأمن العام برسالته - صلى الله عليه وسلم).هـ. صدقت يا ابن القيم وعليك من الله رحمته الواسعة. ولقد أهديتُ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم – قصائد شتى ، أذكر منها معارضتي للبوصيري في بردته ببردتين سلفتا ، وأوردتهما في ديوان السليمانيات حباً وكرامة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهما وغيرهما ليستا من باب الإطراء ولا من باب التبرّك به ودعائه والتوسل إليه - حاشا لله - بل هو من باب (توقيره التوقير المناسب له ، واحترامه الاحترام اللائق به). قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعًا ثم جعل يتلو: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، وجعل يكررها ويقول: "وما الفتنة؟" ثم يجيب فيقول: "الكفر ، قال الله تعالى: {والفتنةُ أكبرُ من القتلِ}. فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ ، فيزيغ قلبه فيهلكه. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به في الكتاب أولم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه" (اهـ). وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كان من أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم). وستشهد أمة محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأمم أن الرسل بلغتها الرسالات ، وهذا معنى كونهم شهداء على الناس كما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يوم الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: له هل بَلَّغْتَ؟

فيقول نعم يا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ما جَاءَنَا من نَذِيرٍ فيقول: من شُهُودُكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ، ثُمَّ قَرَأَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ، وفي رواية لأحمد وابن ماجه: «يجيء النبي يوم الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ وأَكْثَرُ من ذلك فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لهم: هل بَلَّغَكُمْ هذا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيُقَالُ له: هل بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فيقول: نعم! فَيُقَالُ له: من يَشْهَدُ لك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ! فَيُقَالُ لهم: هل بَلَّغَ هذا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نعم. فَيُقَالُ: وما عِلْمُكُمْ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قد بَلَّغُوا». أنشد من الوافر هذه القصيدة اللامية!)

رســـــولَ الله يـــــا نـــــوراً تـــــلالا ... فبـــــدّدَ ـ فـــــي مـــــدائنا ـ الضـــــلالا

ويـــــا شمســـــاً تعقبـــــتِ الـــــدياجي ... وبـــــارك نورَهـــــا المـــــولى تعـــــالى

ويـــــا بـــــدراً توشّـــــحَ بـــــاللآلي ... ورب النـــــاس قلـــــدك الجمـــــالا

بُعثـــــتَ فكنـــــتَ للـــــدنيا نجـــــاة ... فناولـــــت المبـــــادئ والكمـــــالا

وأرشـــــدت الأنـــــامَ لكـــــل خيـــــر ... وكنـــــت ـ لكـــــل عارفـــــةٍ ـ مِثـــــالا

وأنقـــــذت الخلائـــــقَ مِـــــن دمـــــارٍ ... يُكلـــــف ـ مَـــــن يُخـــــامرُه ـ النكـــــالا

وأرســـــلك المليـــــكُ ـ لنـــــا ـ بشـــــيراً ... فعُلمنـــــا الرشـــــادَ والاعتـــــدالا

وبـــــالقرآن جئـــــتَ ، فخيـــــرُ ذخـــــرٍ ... نتيـــــه بـــــه اعتـــــزازاً واختيـــــالا

وسُـــــنتك العظيمـــــة خيـــــرُ زادٍ ... بهـــــا اكتملـــــتْ ســـــعادتنا اكتمـــــالا

وسِـــــيرتك الجليلـــــة خيـــــرُ نبْـــــع ... لمـــــن يرجـــــو الهُـــــدى مـــــاءً زلالا

وشِـــــرعتك المنيـــــرة لا تبـــــارى ... فليـــــت النـــــاسَ تمتثـــــل امتثـــــالا!

ببعثتـــــك اســـــتفاد الكـــــل قطعـــــاً ... فمـــــن تبعـــــوك قـــــد شـــــدّوا الرحـــــالا

إلـــــى جنـــــات عـــــدن بعـــــد ســـــعي ... ونـــــالوا منـــــك ـ فـــــي المـــــأوى ـ الوصـــــالا

ومَـــــن عـــــادَوْك كنـــــت بهـــــم رحيمـــــاً ... وإن بـــــدأوا المعـــــامعَ والنـــــزالا

فـــإن مـــاتوا فخيـــرٌ مِـــن حيـــاةٍ بهـــا اشـــتغلوا - بكفـــرهمُ - اشـــتغالا

ومـــن عاهـــدت كنـــت لهـــم ظهيـــراً فمـــا عـــانوْا ضَـــياعاً أو قتـــالا

ومـــن هـــم نـــافقوا فقـــد اســـتفادوا فقـــد أمِنـــوا العـــذابَ إذا تـــوالى

بـــدعوة (أحمـــدٍ) خيـــر البرايـــا لأمتـــه ، لـــذا أمِنـــوا الوبـــالا

فصـــلّ اللهُ مولانـــا عليـــهِ وصُـــن عِـــرض النبـــيّ مِـــن أن يُنـــالا

دعَوْنـــا الـــرب نأمـــلُ كـــل خيـــر ونحْـــنُ إليـــه نبتهـــلُ ابتهـــالا

دمعة عند الكعبة

(عام 1994م وأثناء رحلة الحج (حج الفريضة) حزنتُ على بعض ممارسات بعض المسلمين عند الكعبة ، فمن تعلق بأستارها وبكاء وعويل ونحيب وأوراد بدعية ما أنزل الله بها من سلطان ، وأذكار فيها شركيات وتوسل بغير الله! وبرغم أن الأيدي فيها نشرات توعوية وكلام عن التوحيد وإنذار عن الشرك! وبعض النساء يبكين سرقة حُليهن! وهذا أعجب ما رأيت من أناس كان يفترض أن تدمع عيونهم وقلوبهم عند الكعبة فإذا بهم يسرقون ويعتدون! فأحسست بأن الكعبة تبكي معي على هؤلاء الناس وعلى ممارساتهم! والدموعُ في المواقف المؤثرة سمتُ المؤمن الموحد ، وإن لم تسكب العبرات عند الكعبة ، فأين تسكب؟ الكعبة بيت الله الحرام الذي طاف حوله آدم ونوح ، ورفع قواعده إبراهيم وإسماعيل. يقول الله – عز وجل - في معرض الحديث عن الكعبة: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم). الكعبة ذلك المكان المقدس العظيم. (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهُدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم. ومن دخله كان آمناً. ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. ومن كفر فإن الله غني عن العالمين). وكانت مفاجأة حلوة جداً لي وأنا في المدرسة الراشدية في دار غربتي أن اقترح بعضُ الزملاء العمرة في نصف العام فشاركت. وكانت عمرة رائعة برفقة الأساتذة : علي عامر ومحمد عبد المنعم ونزيه الشماط وعبد الرحمن حرصي وعلي سعد. وهناك عند الكعبة يذرف الموحد العبرات ويسكبها في وعاء تقصيره وتفريطه وخطاياه ، لعل المولى يغفر له ما قد سلف. وذات يوم من أيام عمرتي ، رحت أنظر إلى بيت الله الحرام ، نظرة متأثرة بواقع المسلمين ، الذين تنتهك أعراضهم ، ويُذلون في كل صُقع من أصقاع المعمورة. ورأيت هذا الكم الهائل من الزائرين والمعتمرين ، الذين يعلم أقلهم عن دينه حقيقته ، ويجهل الأكثرون تلك الحقيقة التي علمها الأقلون ، فاستعبرت باكياً على هذه الأحوال. وتذكرت الصحابة وما كانوا عليه ، فرحت أرثيهم في قصيدتي تلك ، وأحسست أن الحرم المكي يبكي معي ، وينتحب على أحوال المسلمين المتدنية! وأحسست كذلك أن الكعبة تجفف دموعي التي ذرفتها عندها ابتغاء وجه الله تعالى. ذلك أنني تذكرت من خلال رؤيتي لكل أطياف المسلمين وأجناسهم ، إذ كانوا يتوحدون عند هذه الكعبة ، وهم يعبدون رباً واحداً ، ويتبعون نبياً واحداً ، ويتجهون إلى كعبة واحدة ، مؤدين نسكاً واحداً! وتساءلت في نفسي: لماذا لا يتوحدون كما توحدوا بالأمس القريب؟ وكما توحدوا عند الكعبة التي هي قبلتهم وقبلة آبائهم وأجدادهم ، لماذا لا يوحدهم ذلك الدين؟ هل الخلل في الدين؟ حاشا لله!

إنما الخلل خلل المسلمين في تطبيق ذلك الدين. الأمر الذي يحول بينهم وبين الوحدة التي تخيف عدوهم وتجعله يعمل لهم ألف حساب وحساباً! ومن هنا أحسست أن الحرم بات يشكوهم إلى الله تعالى ، ويطلب إليهم أن يعودوا لسابق مجدهم وعزهم وصلاحهم! فطفقت أبتهل داعياً الله أن يرضى عنهم وأن يلحقنا بهم غير خزايا ولا فاتنين ولا مفتونين: آمين.)

يـــا أيهـــا الحـــرمُ الكئيـــبُ المرتعـــدْ ... إنـــي عليـــك أســـيرُ دمعـــي ، أرتعـــدْ

إنـــي أراكَ بـــأرض مكـــة باكيـــاً ... مـــا مـــن بكائـــك فـــي ديـــار القـــوم بُـــد

تبكـــي الـــديارَ وأهلهـــا ورجالهـــا ... ودمـــوعُ وجـــدك تشـــتكي ، والأمـــرُ جـــد

وأســرتَ فــي البلــواء يــا حــرم الهُـدى ... وأصـــابع الأعـــداء لمَّـــا تبتعـــد

وذيــول قيصــرَ فــي الربــوع كمــا اللظــى ... تحثـــو التـــراب علـــى انفعـــالات الأسَـــد

أمـــا نعـــاة ضـــلالهم فهـــمُ النـــدى ... يُـــردي الهدايـــة فـــي ثنيّـــات الأمـــد

وتنكـــــروا للحـــــق أي تنكـــــر ... وتقلبـــوا فـــي جُـــود مـــن هـــو يســـتبد

هـــم طوعـــوا آي الكتـــاب لباطـــل ... وقيامـــة صـــغرى لمـــن هـــو ينتقـــد

هـــم أوقـــدوا نـــاراً لكـــل موحـــدٍ ... حتـــامَ يأخـــذ ربنـــا أهـــلَ الوقـــد

لـــم ينقمـــوا إلا صـــحيح عقيـــدة ... يـــا عِـــز مـــا تـــرك الأوائـــل للولـــد

قـــد أشـــمتوا فـــيهم عتـــيَّ عـــدوهم ... والصـــف بـــات لكـــل صـــدق يفتقـــد

أكلـــوا بـــآي الـــذكر حلـــو طعـــامهم ... لمَّـــا يعيشـــوا فـــي غيابـــات الوبَـــد

أبيـــات (عُتبـــة) فـــي المجاهيـــل اختفـــتْ ... ومضـــى الزمـــان ، كـــذا الجـــواري والحفـــد

وكـــذاك (شـــيبة) قـــد تـــولى رهطـــه ... والكـــأس ، والخمـــار ، حتـــى والخُـــرُد

وديـــار (عُقبـــة) و(الوليـــد) تغيـــرتْ ... وإســـاف ، والأوثـــان ولـــت ، والحُنُـــد

حتـــى أبـــو جهـــل بصـــيحة كفـــره ... ولـــى ، ولـــم تبـــكِ الســـماء علـــى الـــردُد

وكـــذا (أبـــو لهـــب) صـــريع حميّـــةٍ والـــزوج يلفـــح جيـــدها حبـــلُ المســـد

ومضـــى (أميـــة) فـــي بقيـــة مـــن طغـــى والمـــوتُ فـــوق الكـــل ســـيف مُحتفِـــد

أنـــا ســـائلٌ إيـــاك أســـئلة أيـــا حـــرمَ الهُـــدى ، عشـــراً ، وعشـــراً بالعـــدد

كيـــف الســـبيل لنصـــرة الإســـلام فـــي هـــذي النفـــوس؟ وهـــل ترانـــا نتحـــد؟

هـــل مـــن ســـبيل تحفـــظ الأعـــراض فيـــه عزيـــزة ، ليســـت تخـــاف أذى أحـــد؟

كيـــف النجـــاة مـــن المخـــازي هـــذه؟ كيـــف الخـــروج ، وأمرنـــا اصـــطحب العقـــد؟

كيـــف الرحيـــل مـــن الســـقوط وأهلـــه؟ ضـــل الرفيـــق ، وثـــمَّ قـــد ضـــل البلـــد!

مـــاذا وراء الخطـــب هـــذا ، يـــا تـــرى؟ مـــاذا يخبـــئ غيـــبُ قيـــوم صـــمد؟

مـــاذا هنالـــك والتـــردي عـــمّ أر حـــاب الـــدنا ، والـــزور ينخـــر فـــي الجســـد؟

أيـــن الرجـــال ، ألـــم يعُـــد إلا النســـا؟ مـــن ذا يعـــين علـــى الرشـــاد ويجتهـــد؟

أيـــن الرجـــال ، وقـــد عـــدمتُ صـــحابتي؟ وبحـــق مـــن رفـــع الســـماء بـــلا عمـــد!

أيـــن الإبـــاء اليعربـــيّ وقـــد عدمـــ ـــتُ مثيلـــه فـــي المســـلمين ، فـــلا مـــدد؟

مـــا مـــن مُقيـــل عثرتـــي ، وترنحـــي إنـــي الكســـير ، ولـــيس لـــي إلا الأحـــد

حرمـــي الحبيـــبَ أطلـــتُ شـــعر محطـــم يهـــوى الحيـــاة بشـــرطِ يعلوهـــا الرشـــد

ومشـــاعر الحـــزن الأليـــم تهزنـــي وأرانـــيْ فـــي الأحـــزان لســـت المقتصـــد

هـــذا القـــريض أزفـــة شـــوقاً إليـــ ـــك ودمعتـــي ، ويكـــاد قلبـــي ينفصـــد

حزنـــاً عليـــك ، علـــى الكســـيرة كعبتـــي مـــا عـــاد فـــي نفســـيْ الأســـيفة مـــن جَلـــد

اليـــوم هامـــت حولنـــا الأصـــنام شتـــ ـــى ، والـــديارُ تنصـــلت ، فهـــي الزبـــد

شـــكل الـــديار وأهلهـــا الإســـلام ، لـــ ـــــكنْ ثـــمَ فـــرقٌ بـــين زور والســـدد

حتـــى الخيـــام ، فـــلا تُـــرى كخيـــامهم وكـــذا النســـاء بكـــل قـــبح تنفـــرد

وثغـــور كعبتنـــا تســـمر عنـــدها مـــن كـــان للشـــيطان ردءاً والســـند

صَـــدوا عـــن الخيـــر العمـــيم مريـــدَه يـــا ليـــت شـــعري مـــن أمـــور كالبَـــدد

أحسســـت يـــا حرمـــي بقلبـــك باكيـــاً مـــن أجـــل ذلـــك قلـــتُ: إنـــك ترتعـــد

بعض معانى الكلمات غير المطروقة

الأمد: الغاية والمنتهى. الجلد: الصبر والمثابرة معا. الحفد: الخدوم. سيف محتفد: سريع القطع. السدد: الاستقامة. الحند: جمع حنود وهي الإحساء أو الآبار. رشد: الرشد هو مرادف الهداية. الخرد: جمع خريدة وهي البكر الحيية التي لم تمس. الردد: القباح والحثالة من الناس. مسد: الحبل من المسد أي من الليف والنار معا. السند: هو ما قابلك من الجبل وعلا من السفح. يَنفصد: أي يتشقق. الوبد: أي شدة العيش وشظف الحياة. الوقد: النار.

لو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه!

(كلما طالعتُ حديث هرقل مع أبي سفيان – رضي الله عز وجل عنه – في صحيح مسلم ، أدركتُ أن الهداية بيد الله وحده ، وليست بالذكاء ولا بالفطنة ولا بالجهد ولا بالبحث فقط! إنما في أولها وآخرها بيد الله ، ولسوف أذكر حديث هرقل على طوله لإمتاع القارئ ، ثم أذكر القصيدة التي أهديتها لهرقل ولكل من صرفه صاحبه أو ماله أو عزه أو سلطانه عن الحق ، والتي عنونتها بجزء من مقالة هرقل عظيم الروم: (لو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه) ، ألا ما أروعها عبارة يُجل فيها نبي الله محمداً – صلى الله عليه وسلم -. روى الإمام مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه – أن أبا سفيان – رضي الله عنه – أخبره من فيه إلى فيه ، قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل. وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصرى إلى هرقل. فقال هرقل: هل ها هنا أحدٌ من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم. فدُعيتُ في نفر من قريش. فدخلنا على هِرَقل ، فأجلسنا بين يديه. فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا. فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بترجمانه ، فقال له: قل لهم إني سائل عن هذ الرجل الذي يزعم أنه نبي. فإن كذبوني فكذبوه. فقال أبو سفيان: وايم الله لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبت. ثم قال هرقل لترجمانه: سله ، كيف حسَبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو حسب. قال: فهل من آبائه ملك؟ قلت: لا. قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: ومن يتبعه أأشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون؟ أم أنهم ينقصون؟ قلت: لا ، بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطاً له؟ قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم ، يصيب منا ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيء غير هذه. قال: فهل قال هذا القول أحدٌ قبله؟ قلت: لا. فقال الترجمان: قل له إني سائلك عن حسبه ، فزعمتَ أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وكنتُ سألتك: هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب مُلك آبائه. وسألتك عن أتباعه هل هم ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك: هل يرتد أحد عن دينه بعد أن يدخله سخطة له؟ فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب. وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حين يتم. وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قد

قاتلتموه ، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً: هو ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك: هل يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله. ثم قال : بم أمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف. قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنه منكم ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن مُلكه ما تحت قدمي. ثم دعا هرقل بكتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقرأه ثم فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ، إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ، وأمر بنا فأخرجنا. فقال أبو سفيان لأصحابه حين خرجوا: لقد أمِر أمْرُ ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه ملِك بني الأصفر. ثم قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام. ورضي الله عن أبي سفيان ، وصلى الله وبارك على نبيه ورسوله محمد.)

هـل ـ فـي كـلام هِرَقـلَ ـ شـيء يَعجُـمُ؟ أم أنـــه ـ بـــالقول هـــذا ـ أعلـــمُ؟

طـــرَقَ الحقيقـــة: رسْـــمَها ومَعينَهـــا مـــا كـــان يهـــذي قـــط ، أو يتـــوهم!

ولـــه ـ بتعريـــف النبـــي ـ بصـــيرة ولـــــه بتحليـــــل الكـــــلام تفهّـــــم

ويُعـــالجُ الأحـــداث ، لـــم يـــكُ هـــازلاً وهِرَقـــلُ ـ فـــي رصـــد الحقـــائق ـ ضـــيغم

عقليـــة فـــي الســـلم والهيجـــا ربـــتْ وقريحـــــــة أفعالهـــــــا تـــــــتكلم

لكنمـــــا الشـــــيطانُ مـــــارسَ دَوْره فأضـــــلها ، ومضـــــى يَـــــؤزّ ويُجْـــــرم

وعبيـــدُه ـ فـــي الأرض ـ طـــوْعُ بنانـــه وعلـــى امتـــداد الـــدرب خلـــقٌ جُـــثم

فـــي كـــل قلـــب أفـــرغ الشـــيطان ســـ ـــم سُـــعاره ، بـــئس الطريـــدُ الأظلـــم!

ويُزخـــرف العِصـــيان ، هـــذا وعـــده والوعـــد ـ مِـــن رب الســـماء ـ جهـــنم

وهِرَقــلُ يــدري مِــن أحاديــث الســما ... لكنمـــــا الكِبْـــــر المَقيـــــتُ مُخـــــيّم

هــذا الحــديث ـ علــى الــذكاء ـ قرينــة ... فـــي كـــل حـــرف نظـــرة ، أو مَعْلـــم

ورواه غضـــــاً يانعـــــاً بتمامـــــهِ ـ ... مُترفعـــاً عـــن كـــل عيْـــب ـ (مُســـلم)

وحكـــاهُ حبـــر المســـلمين ، وتـــاجُهم ... ذاك ابـــن عبـــاسِ البهـــيّ المُكْـــرم

فهرقـــلُ يســـأل ، والقطيـــع مُتـــابع ... وأبـــو معاويـــةٍ يُجيـــب فـــيُفحَم

والترجمـــانُ ـ لكـــل حـــرفٍ ـ مُنصـــتٌ ... فـــي التـــو يلـــتقط الصـــدى ، ويُتـــرجم

فهْـــو الأمـــينُ علـــى الكـــلام وصُـــنعه ... فـــي الـــرأس علـــمٌ ، والأنامـــلِ مِـــرقم

يـــا ترجمـــانَ القـــوم: دونـــك مـــا تـــرى ... وعلـــى رؤوس القـــوم أنـــت القـــيّم

فتحـــرّ مـــا تلقـــي علـــى الأســـماع مـــن ... زبَـــد الكـــلام ، فـــإن هـــذا المَغـــنم

أنـــت الـــذي ترجمـــت ، مـــا خنـــت الأمـــا ... نـــــة ، إن تضـــــييعَ الأمانـــــة يَحْـــــرُم

لـــم ترتـــزقْ بالترجمـــات تلوكُهـــا ... لـــوْكَ الأجيـــر ، ولـــم يُـــذلك درهـــم

وأراك مـــا ترجمـــت أصـــناف الخنـــا ... وعلـــى الغوايـــة لـــم تكـــن تتـــرنم

وهرقـــلُ يســـمع مـــا تُتـــرجم خاشـــعاً ... والقـــومُ ـ فـــي قعـــر التـــوجس ـ نـــوّم

فلكـــل حـــرفٍ ـ فـــي الحـــوار ـ حقيقـــة ... ولكـــــل إمعـــــان رؤىً ، أو طلســـــم

يســـتقرئ الغيـــب الـــذي نطقـــتْ بـــه ... رهبـــانهم: ظهـــرَ النبـــيُ القـــيم

وزوالُ مُلـــك الـــروم أوشـــك حينُـــه ... وهرقـــلُ ـ فـــي يـــوم اللقـــاء ـ ســـيُهزم

والفـــرْسُ يـــذهب فـــي الـــدنا سُـــلطانهم ... للكفـــر يـــومٌ ـ فـــي المَعـــامع ـ أيْـــوم

والصـــينُ بعـــدُ ، فمســـتباحٌ مُلكهـــا ... ويـــدور ـ فـــي أرض الهنـــود ـ المـــأزم

وســـيُهزم الإغريـــق شـــرّ هزيمـــة ... وشـــــرابُهم يـــــوم الكريهـــــة عَلقـــــم

ويَـزول بـأسُ الشـرك فـي دنيـا الـورى ... ومُحمـــــدٌ - بالعـــــدل فـــــيهم - يَحكـــــم

وكتابُـــه القـــرآن شـــرعته الهُـــدى ... وعقيـــــدة التوحيـــــد ديـــــنٌ قـــــيّم

ولســوف ينتشــر الســلامُ ، فــلا تــرى ... حربـــاً تـــدور يَضـــيع فيهـــا الأيّـــم

ولســوف ينتشــر التكافــلُ فــي الــدنا ... ويســـود عـــدلٌ - فـــي الـــدنا - وتـــرحّم

ولســوف يغمرنــا الوئــامُ ، فــلا تــرى ... عبـــداً يجـــوعُ وســـيداً يتـــنعم

فالكـــل ممتثـــلٌ هدايـــة ربـــه ... واللهُ - فـــوق العـــرش - ربٌ مُـــنعم

وهدايـــة الإســـلام نـــورٌ ســـاطعٌ! ... لا شـــيء - فـــي هـــذي العقيـــدة - مُـــبهم

والأرضُ تغمرُهـــا المحبـــة كلهـــا ... ويقـــودُ عامرَهـــا الكتـــابُ المُحكـــم

والعبـــدُ يُصـــبح - بالحنيفـــة - ســـيداً ... ويـــزول ســـيده الكفـــورُ الغيشـــم

وتســـود أخـــلاقٌ بعيـــدٌ وصـــفها ... قـــيمٌ ســـتعلو - فـــي الـــورى - وتُكـــرَّم

ويُـــدك صـــرحُ الـــدعر دون هـــوادةٍ ... والعُـــريُ - رغـــم أنوفنـــا - يتحشـــم

والعنصـــرية ســـوف يُـــدحَر ظلهـــا ... مـــا بالنـــا بالأصـــل ذاك المُعـــتم؟!

وشـــريعة الغابـــات تلـــك ســـتنتهي ... ومَـــن ابتغـــى - فـــي النـــاس - ظلمـــاً ينـــدم

ومبـــادئ الغوغـــاء تلـــك إلـــى الفنـــا ... وســـيَغمر القـــومَ النظـــامُ الأحـــزم

ودعايـــة التثليـــث يمحوهـــا الهُـــدى ... فمليكنـــا المعبـــودُ فـــردٌ مُـــنعم

وجحافـــلُ الرهبـــان يُمحـــى جمعُهـــم ... ولســـوف يُمحـــق مـــا ارتـــأوْه ويُهـــزم

وكتائـــبُ الطـــاغوت يمحقهـــا الـــردى ... وإمامهـــا التوحيـــد نهـــجٌ يَعصـــم

واللهُ يشـــهد أننـــي أرشـــدتكم ... وأبنـــتُ ، درب النـــور يـــا قـــوم افهمـــوا

أنـــا لا أقـــول بـــأن هـــذي رؤيتـــي ... أو بالخيـــال - علـــى المَـــلا - ارتجـــز الفـــم

أو أدَّعـــي علـــم الكهانـــة والعَـــرا ... فـــة والتســـحّر ، إن نطقـــيَ أجـــزم

أن لا أخـــرّفُ ، إننـــي متعقـــلٌ ... أزن الكـــلامَ ، يعـــي حـــديثي الأبكـــم

هـــذا الـــذي نطقـــتْ بـــه الرهبـــان والأ ... حْبـــار قبلـــي فـــي الـــورى ، فلتعلمـــوا

عـــارٌ علـــيّ الزيـــفُ ، لســـتُ أخـــافكم ... وفـــداءُ مـــا قـــد قلـــتُ نفســـي والـــدم

لـــو كنـــتُ عنـــد محمـــدٍ ورجالـــه ... وعشـــيره ، ذاك العشـــيرُ الأعظـــم

لغســـلتُ عـــن قدميـــه شـــائبة الأذى ... وتبعتـــه ، ولكُنـــت نعـــم المســـلم!

ولكنـــت - بـــين يديـــه - رهْـــن إشـــارةٍ! ... ولـــئن دعـــاني ، جئتـــه أتبســـم

وعـــظ (الهرقـــل) عبيـــده وبلاطـــه ... وعظـــاً أريبـــاً مُخبتـــاً يتـــنغم

لكنمـــا المَـــلأ الشـــقيَ رمـــى الهُـــدى ... وغـــدا - علـــى مـــا قالـــه - يـــتهكم

ويقـــولُ: يـــذهبُ مُلككـــم يـــا ســـيدي ... وتضـــيع دولـــتكم ، ويعلـــو الـــديلم

ولســـوف يُقلـــب عـــاجلاً ظهـــر المجـــ ... ـــن ، وعرشـــكم يســـطو عليـــه الغـــيْلم

ويـــزولُ بأســـك والســـموُ مـــن الـــدنا ... والقصـــر يمضـــي ، والمكانـــة تُهـــدم

والمـــالُ يفنـــى ، والســـيادة تنتهـــي ... والعـــز يرحـــل ، ثـــم لا تتقـــدم

ولقـــد يســـوسُ العبـــدُ - منـــك - جحـــافلاً ... وتُـــذل فـــيهم ، ثـــم لا تتهيـــنم

وهـــمُ الأعـــاربُ ، ثـــم (أحمـــدُ) مـــنهمُ ... وتكـــون - بـــين القـــوم - وحـــدك أعجـــم

أمِـــن التعقـــل تـــركُ شـــرعة مَـــن مضـــوا؟ ... أبصـــرْ طريقـــك! أنـــت فينـــا الهيـــثم

أعقيـــدة التثليـــث تُتـــرَك هكـــذا؟ ... أوَهكـــذا – لمحمـــد - تستســـلم؟

فـــإذا هرقـــلٌ يســـتجيبُ لقـــولهم ... وتـــــراه - ممـــــا قـــــد رأى - يتبـــــرم

ضـــحك القطيـــع علـــى (العظـــيم) أضـــله ... جـــيشٌ لحـــرب هُـــدى المليـــك عرمـــرم

وأبـــالس أكـــل الضـــلال عقـــولهم ... فلهـــم - بحـــرب مَـــن ارتـــآه - تجهـــم

أعـــداءُ أنفســـهم ، وأعـــداءُ الهُـــدى ... ولهـــم ســـيوفٌ - فـــي اللقـــاء - تجـــرم

طاقـــاتُهم بالشـــر مـــا بخلـــوا بهـــا ... وهـــمُ هـــمُ - فـــي الخيـــر - بُهْـــمٌ خـــوّم

واليـــومَ يمـــلأ دارنـــا أشـــباهُهم ... وهـــمُ - علـــى قلبـــي - همـــومٌ تجْـــثم

ويُضـــللون الخلـــق عمـــداً ، إذ لهـــم ... حيـــلٌ تُدنـــدنُ بالهُـــدى ، وتُـــنغم

إن ارتـــزاق المـــرء بـــالتقوى عمـــى! ... أيُضـــل خلـــق الله مَـــن يتمســـلم؟

ناهيـــك عـــن أشـــباههم أهـــل الخنـــا ... فهـــمُ الغـــواة العاشـــقون الهُـــيم

للهـــم سَـــلم مِـــن ضـــلال بعـــدما ... أنقـــذتنا ، بالنـــاس أنـــت الأرحـــم

واختـــم لنـــا ربـــي بخاتمـــةِ الســـعا ... دة ، إننـــا - بشـــكوكنا - لا نســـلم

قد نبأنا الله من أخباركم

(رسالة للشاعر الصهيوني (حاييم خيفر) الذي قلمُه أحياناً مع الحق ، وقلبه مع قومه. وقبل أن نطالع رسالته نحب أن ننوه إلى أن كثيراً من السذج والطيبيين يخدعون بمثل هذه الكليمات التي يتشدق بها بعض الأعداء ، فيلقي الشيطان في روع الواحد منهم أن هذا الشاعر أو ذاك الكاتب ينطلق من قاعدة الدفاع عن الحق وتبني الرأي الصواب! أقول: لو كان صادقاً فلماذا لا يترك ما هو عليه من الضلال ويتبع الحق؟ وكثيراً ما يمدح نبينا – صلى الله عليه وسلم -. يقول حاييم عن بيروت في قصيدة له بعنوان (صلاة) منددا بمذابح قومه وانتهاكاتهم ومجازرهم وتجاوزاتهم التي بلغت عنان السماء. ومعرّضاً بمدى ما انتهكوه ومبيناً الحق:

(أيتها السماء ترحمي عليهم رغم أن قلوبهم خالية من الرحمة

لأن الأكاذيب تترافقهم كأنها الظل ، كأنها التوأم

كاذبون مدمرو بيروت الذين استخدموا القنابل القاتلة

عندما يقولون بأنهم يميزون بين القاتل والمجرم

وبين البريء الطهور كاذبون! كاذبون! كاذبون!)

فلا ينبغي أن ننخدع بما يقوله ذلك الشاعر عن الإسلام والنبي محمد والقرآن الكريم! لو كان صادقاً ومقتنعاً بكلامه فلماذا لا يدخل في الإسلام طواعية؟! ويعود بالتاريخ إلى الوراء ، ويفتح صفحات دموية أغلقها المغرضون والمغالطون ، على حدٍ سواء! فيُعرّض بمذابح صبرا وشاتيلا ، التي تعتبر من كبريات المذابح التي يندى لها تاريخ الإنسانية الحديث ، ويحزن على الفضائح والبلايا والطوام ، لا من أجل الاطفال العزل والنساء ، ولكن يحزن فقط على سمعة الصهيونية السمحة المسالمة الوادعة الحانية اللطيفة بزعمه على حد ما يصف شعراً فيقول:

(أيتهـــا الســـماء ترحمـــي علـــيهم لأنهـــم قادونـــا إلـــى المـــذابح المصـــورة

وفـــي حـــين تغـــوص أكفهـــم بحـــور الـــدماء يصـــــرخون بـــــأنهم أبريـــــاء طـــــاهرن

لـــــــم يحرّكـــــــوا ســـــــاكناً حـــين تـــدافع القتلـــة أثنـــاء الليـــل

ولســـانهم لـــم ينطـــق بكلمـــة (قـــف) حينمـــا بُقـــرتْ بطـــون النســـاء

والحوامـــــــــل والأرامـــــــــل وعيـــــــونهم لـــــــم تـــــــر

وآذانهـــــــم لـــــــم تســـــــمع الصـــــــــــرخات الأخيـــــــــرة)

وعموماً باقي القصيدة الصهيونية للشاعر المذكور قد نشرت في مجلة (الشقائق) العدد (53) ص 44. هذا لمن كان يريد الاستزادة من الضحك على الذقون العفنة التي يسرح فيها قملُ التطبيع ويمرح! أو يلعب طبعاً بالعقول الساذجة التي لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ولا تعرف من المصحف إلا رسمه. إن هذا الشاعر وأمثاله يراوغون ويلعبون بالكلمات ليس إلا! ونحن لا يجب أن تخدعنا الكلمات المعسولة ولا الألفاظ المطاطة ولا التعبيرات البراقة! والأمر في قمة الوضوح ، وإن هو إلا اللعب ، وإن هو إلا كسب الوقت وخداع الرأي العام والدهماء. أنشدت من شعري أقول له ولأمثاله ، إننا نحن المسلمين لا ننخدع أبداً بمثل هذه القصائد فلقد نبأنا الله أخباركم يا هؤلاء ، ولم تعد تنطلي هذه السيمفونيات والسيناريوهات علينا أبداً!)

لكـــل نفـــاق شـــاعرٌ وقصـــيدُ وهتافـــة يقـــوى بهـــم ، ونشـــيدُ

وعـــزفٌ وطبـــلٌ فـــي الـــديار وجوقـــة وصـــرعى وبـــأسٌ طـــارفٌ وتليـــد

وجنـــدٌ يُعـــادون الألـــى يكرهونـــهُ وآلاتُ حـــرب تجتنـــي وتصـــيد

ليفـــرض فرضـــاً رغـــم أنـــف عداتـــه ومِـــن كيـــده العـــاتي يشـــيب الوليـــد

ففـــيم التبـــاكي مـــن عـــدو ممَكـــن؟ فـــوفّر دموعـــاً أنـــت عنهـــا بعيـــد

وفـيم التعـازي أنـت مـن غيـر أهلهـا؟ وهـل يسـتمي بـالآه منـك الشـهيد

أتخـدعنا بـاللفظ يطفـو نفاقـه؟ تـرى هـل تسـلى بالتعـازي فقيـد؟

وهـل نفـس ثَكلـى للـذي قلـت أذعنـت؟ وهـل قلبهـا بالعائـدات سـعيد؟

وهـل تشـتكي شـعراً أسـارير طفلهـا؟ يقـول: أبـي ، والصـوت منـه جهيـد

وهـل تنشـد الشـعرَ الـديارُ التـي عفَـت وأمسـت ركامـاً يحتويـه الحصـيد؟

وهـل شـعرك الحـاني يقـيم منـارة وقـد دكهـا القصـفُ الرهيـبُ الشـديد؟

وهـل شِـعرك الزاهـي يعيـد حقوقنـا وقـد أزهقـت والـدار فيهـا المزيـد؟

أتبكـى علـى الصـيت المزيـف ثاويـاً؟ وعـن سـمعةٍ شَـوْها أراك تـذود

وهـل تجهـل الـدنيا بلايـا غـروركم؟ وهـل غفلـتْ عمـا تـدك اليهـود؟

وأخبـاركم رب السـماء أذاعَهـا تبـارك رب العـالمين المجيـد

أسلِموا إذن!

(إن كل من مدح الرسول والإسلام من الكفار ، وهو مقيمٌ على ما هو عليه من الكفر ليس بشيء ، حتى يترك ما هو عليه ويُسْلم لله رب العالمين. وإلا فما قيمة مدحه؟ ولا يجب أن تخدعنا أقوالهم البراقة الخادعة التي يحاولون بها الضحك علينا. ولسوف أضرب بعض الأمثلة التي قد ينخدع بها البعض! (فهذا جوستاف لوبون يقول: إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ولا ديناً سمحاً قبل الإسلام الحنيف. وأون كول يقول: لقد مُنحت المرأة العربية فى دين الإسلام مكانة سامية على عكس ما كان قبل الإسلام ، حيث كانت جد مثل البهائم التي تباع وتُشترى. ولقد أكد محمد النبي على أهمية المرأة والزوجة في تكوين المجتمع الإنساني الكريم. وأرنولد يقول: إن مبادئ التسامح الإسلامي قد حرمت كل أنواع الظلم ، فلقد عامل المسلمون النصارى بالعدل والعطف. وهيوستين سميث يقول: إن الإسلام متهم في الغرب بأنه أهان المرأة بتعدد الزوجات ، ولو عدنا إلى التاريخ الصادق لوجدنا أن الإسلام رفع شأن المرأة مقارنة بالجاهلية الأولى. والمؤرخ ويلز يقول: لقد أسس الإسلام دعائم العدل وحارب الظلم وأقام مجتمعاً تغمره العدالة والحب والسلام الحقيقي. وهذا هو السياسي المشهور مونتجومري يقول عن نبينا محمد: 'إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدًا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد'. وهذا بوسورث سميث يقول عن الرسول: 'لقد كان محمد قائدًا سياسيًا وزعيمًا دينيًا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين ، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد ، لأنه

استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها'. وهذا هو جيبون أوكلي يقول عن النبي: 'ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن ، رغم مرور اثني عشر قرنًا من الزمان. لقد استطاع المسلمون الصمود يدًا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول 'أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله' هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر ، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين'. وهذا هو القس الدكتور زويمر يقول عن الرسول: 'إن محمدًا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا وبليغًا فصيحًا وجريئًا مغوارًا ومفكرًا عظيمًا ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء'. وهذا هو سانت هيلر يقول عن النبي: 'كان محمد رئيسًا للدولة وساهرًا على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة'. وفي دراسة له تحمل عنوان (غربيون مدحوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – يذكر الدكتور عمار علي حسن قوله: (الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون من أن الإمبراطورية التي أنشأها المسلمون كانت الأقل سفكاً للدماء في تاريخ الإنسانية ، رغم ادعاء البعض انتشار الإسلام بحد السيف. ويقول لوبون عن القرآن «حسب هذا الكتاب تقديساً

وخلوداً أن القرون التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف ولو قليلاً من أسلوبه الذى لا يزال نقياً ، كأن الأمس هو عهده بالوجود». وفي كتابه العمدة «تاريخ الأدب العربي» يقول المستشرق النابه كارل بروكلمان إن محمداً جاء لينير الدرب لمن كانوا يسيرون في الظلام. أما كتاب «ألف شخصية عظيمة» لبلانتاجيت سومرست فراي فيشهد بأن «الكثير من المغرضين طمسوا معالم شخصية نبي الإسلام ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، إنه شخصية كبرى في تاريخ العالم ، فضلاً عن أنه نبي مرسل». ويهاجم الكونت دي بول نيفيلييه رجال الدين النصراني الذين تعمدوا التغاضي عن فضل الإسلام والمسلمين على الإنسانية جمعاء ، فيما يتخذ المستشرق الفرنسي ألفونس إينين دينييه ، الذى أعلن إسلامه عام 1927م ، الموقف نفسه ، مدافعاً عن الإسلام والرسول الكريم. وها هو الروائي الفرنسي العظيم أناتول دي فرانس ، يتحدث على لسان أبطال إحدى رواياته قائلاً: «أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بواتييه عام 732 عندما وقف الزحف الإسلامي ، حيث توقفت الفنون والحضارة العربية أمام البربرية الأوروبية». ويذهب الأديب الألماني جوته في الاتجاه نفسه ، معظماً مكانة الرسول في تاريخ الإنسانية جمعاء ، ومستشهداً في أعماله بالقرآن الكريم والسيرة النبوية ، حتى قيل إنه قد أسلم سراً. والأمر نفسه تكرر في أدب روائي وكاتب الأرجنتين العظيم خورخي بورخيس ، الذى هام عشقاً في حضارة الشرق وأدبه ، وظهر تأثره البالغ بالقرآن الكريم. وينصف العلامة رودينسان حضارة المسلمين قائلاً: «إن علوم أوروبا فيما تلى الحروب الصليبية ، والقرون الوسطى هي كلها علوم عربية الأصول إسلامية المصادر». ويؤكد العالم الفرنسي جوزيف كالميت أن المسلمين هم الذين قدموا الثقافة المثمرة للحضارة المعاصرة ، بينما كان غير المسلمين يتلقون هذه الثقافة العربية الإسلامية بكل فخرٍ واعتزاز. ويقول الشاعر الأمريكي الكبير واشنطن إيرفينج: «كانت أمية محمد إحدى دلائل معجزة النبوة عند هذا الرجل الأمين الصادق ، الذى بعثت به السماء لمهمة مقدسة ، وكان حريصاً لإيصالها بالحب ، بعد أن علمته السماء. كان يحارب من أجل العقيدة ، لا من أجل مصلحة شخصية».

وهذا هو الزعيم الهندي المهاتما غاندي يقول عن النبي: 'أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته ، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود ، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه ، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق ، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة'. وهذا هو راما كريشنا راو يقول عن النبي: 'لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها ، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي ، ومحمد المحارب ، ومحمد رجل الأعمال ، ومحمد رجل السياسة ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح ، ومحمد ملاذ اليتامى ، ومحمد حامي العبيد ، ومحمد محرر النساء ، ومحمد القاضي ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً'. وهذه هي ساروجني ندو شاعرة الهند فتقول عن الإسلام: 'يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية ، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر'. وهذا هو المفكر الفرنسي لامارتين يقول عن النبي: 'إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط ، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا

فقط ، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة. لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجهًا بالكلية إلى هدف واحد ، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته ، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية) ، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف ، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة). هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف ، الخطيب ، النبي ، المشرع ، المحارب ، قاهر الأهواء ، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة ، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض ، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم). بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية ، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ وهذا إدوار مونته يقول عن النبي: 'عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم ، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق ، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره ، وأشدهم حفاظًا على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل ، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم'. وأما برنارد شو فيقول عن النبي: 'إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات ، خالدًا خلود الأبد ، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا). إنّ رجال الدين في القرون الوسطى ، ونتيجةً للجهل أو التعصّب ، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً ، لقد كانوا يعتبرونه عدوًا للنصرانية ، لكنّني

اطّلعت على أمر هذا الرجل ، فوجدته أعجوبةً خارقةً ، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًا للنصرانية ، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم ، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها'. وهذا هو السير موير يقول عن النبي: 'إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه ، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم'. وهذا هو سنرستن الآسوجي يقول عن النبي: 'إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا ، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية ، مصرًا على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع وهو فوق عظماء التاريخ'. وأما المستر سنكس فيقول عن الرسول: 'ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة'. 'إن الفكرة الدينية الإسلامية أحدثت رقيًا كبيرًا جدًا في العالم ، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة'. وأما آن بيزيت فتقول عن النبي: 'من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس ، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل ، أحد رسل الله العظماء ، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم. هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفيًا لها طيلة ستة وعشرين عامًا ثم عندما

بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص. فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سببًا إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية'. وأما مايكل هارت فيقول: 'إن اختياري محمدًا ، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح في النصرانية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة ، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا ، وحّد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضًا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية ، وأتمها'. وأما تولستوي فيقول: 'يكفي محمدًا فخرًا أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم ، وأنّ شريعةَ محمدٍ ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة'. وهذا شبرك النمساوي يقول: 'إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ إنّه رغم أُمّيته ، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع ، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون ، إذا توصلنا إلى قمّته'. لا يسعني إلا أن أقول بعد أن عرضت لبعض أقوال الغرب عن رسولنا الكريم يكفي شريعة الإسلام فخرًا وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها ، واعتراف الأعداء بحيويتها وخلودها. وهذا هو آينشتاين ، أشهر عالم عرفه القرن العشرين قال وهو في بيته في نيويورك ، مخاطبا أحد الفلسطينيين واسمه أبو الفضل: لو سلكتم مع اليهود في هذا العصر مثلما فعل آخر الأنبياء وهو محمد ، والذي لو سلكتم مسلكه مع اليهود ، لأصبحوا

في أيديكم ، بدلاً من أن تكونوا في أيديهم. فالذي أعرفه أن النبي محمد استطاع أن يمتص كل سلوكياتهم الشاذة ، ضده وضد رسالته وبالحكمة التي عامل بها الناس جميعاً ، فلم يستطيعوا أمام سلوكه الإنساني. وفكره البسيط والعالمي في نفس الوقت إلا أن يرضخوا له فأصبحوا في يده حتى أن بعضهم آمن بمحمد ورسالته وانخرط في طريقه مؤمناً بكل ما يأتي به محمد. أعتقد أن محمد استطاع بعقلية واعية ، مدركة لما يقوم به اليهود أن يحقق هدفه ، في ابعادهم عن النيل المباشر من الإسلام ، الذي مازال حتى الآن هو القوة التي خلقت ليحل بها السلام. أعتقد لو أن محمد كان موجوداً لما كانت هناك على أرضكم مشكلة ، فلماذا وأنتم المحمديون لا تنهجون طريق رسولكم ، ربما تستطيعون حل هذه المشكلة (القضية الفلسطينية) التي ستزداد تعقيداً على مر الزمن. وأما هتلر الزعيم الألماني يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا الوحيد في هذا العالم الذي استحق اليهود أن يعذبوا على يديه ، استخفوا برسولهم موسى حتى ضاق بهم ، أمام أطماعهم وجشعهم ، وكان ضيق موسي يتحول الى بعد عنهم ، أعتقد أن الذي استطاع أن يتعامل مع اليهود ويكسبهم ويشل حركتهم في نفس الوقت هو رسول الإسلام محمد ، الذي فهم ما تدور به عقولهم وقلوبهم. لذا كان محمد حريصاً منهم حريصاً عليهم ليبلغ رسالته ،فاستقطبهم بطريقته التي لم ولن يصل إلى مرتبتها أحد. فالتعامل مع يهود مشكلة غير عادية. إنهم لا يستحقون الحياة. إلا أن محمداً كان واسع الصدر يملك منطقاً غير عادى ، تأكدنا منه لتعامله معهم بالود الذي لم يألفوه ، وبالقوة التي شهدوها. أعتقد لو أنه كان محمد في عصرنا هذا ، لما فعل ما فعلت مع يهود ، لكنهم لا يستحقون إلا ما قمت به معهم. ومن ألمانيا يكرر الدكتور شوميس ما قرره كارليل: (يقول بعض الناس إن القرآن كلام محمد وهو حقاً محض افتراء ، فالقرآن كلام الله الموحى على لسان رسوله محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ، ويهدي الناس من الظلمات إلى النور). ثم يردف كلامه الأول بقوله رداً على المتعجبين من موقفه: (وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة. إني درست القرآن فوجدت

فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة ، وتلك البلاغة التي لم أجد مثلها قط في حياتي. إن جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات. هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه). وسميث يقول: لا يجب أن نتصور أبداً أن الإسلام الحنيف دين الإرهاب ، أو أن المسلمين إرهابيون. إنه دين السلام ، بل ودين إكرام الإنسان وخاصة المرأة. وقد حقق من الكرامة لهذا الإنسان وللمرأة على وجه الخصوص ما لم يحققه أي دين آخر من يهوديةٍ ظالمةٍ أو نصرانيةٍ حاقدةٍ حائدةٍ. وأخيراً هذا هو جون نوس يقول: حقا إن بساطة الإسلام ووضوحه كان الدافع الحقيقي لاعتناق هذي الملايين له. ولم يثقل العقول بحشد هائل من الأسفار المقدسة المبهمة ولا العقائد الغامضة)هـ .إنني أعلنها شعراً لكل المستشرقين والفلاسفة الأحياء طبعاً من غير أهل ملتنا ويمتدحونها: أسلموا إن كنتم صادقين! والآن لنقرأ القصيدة التي أقول فيها:)

يُحَيِّرنـــي اليـــوم أهـــل الريَـــبْ فتعســـاً لأهـــل الريـــا والكـــذبْ

يُغطـــون بالمـــدح أهـــواءهم ففـــي كـــل عـــام مئـــاتُ الكتـــب

ولا يَرعـــون لمَـــا قـــد حـــوتْ كتابـــاتُهم مـــن رؤىً أو أدب

يـــرَون الحقـــائقَ مـــلء الـــدنا وللحـــق ـ رغـــم الطغـــاة ـ الغلـــب

وكـــلٌّ لـــه ـ فـــي الـــوغى ـ حربـــة كفـــارس حـــق كمِـــيٍّ ضَـــرِب

يَـــذودون عـــن ديـــن رب الســـما وكـــلٌّ بتضـــليله يختضـــب

ويثبـــتُ للنـــاس مـــا يـــدّعى وإنْ حصـــحص الحـــق ألقـــى الحُجُـــب

يخـــطّ المقـــالات يُثنـــي علـــى هُـــدىً لـــيس ـ قـــط ـ لـــه ينتســـب

ويثنـــي علـــى الحـــق فـــي همّـــةٍ ولـــيس يُطبـــق أو يقتـــرب

بضـــاعتُه المـــدحُ فـــي عـــالم عـــن الحـــق أقســـم أن يغتـــرب

ألا أيهـــــا المـــــادحون كفـــــى علـــيكم بـــأن تفعلـــوا مـــا يجـــب

وشـــــكراً لإطـــــرائكم دينننـــــا علـــى أنـــه قـــد أثـــار الرِّيـــب

ولـــو قـــد صـــدقتكم إذن أســـلموا لقـــد يُصـــبح الصـــدق أرجـــى ســـبب

شـــهدتُم بحـــق ، لـــذا آمنـــوا لتثمـــر أمـــداحُكم والخُطـــب

عســـى الله أن تُعمِلـــوا فِكـــركم فتـــركُ الأباطيـــل أغلـــى القُـــرَب

وتقـــوى المليـــك دواءُ الهـــوى وبالســـلم تـــذهب كـــل الكُـــرب

وربـــي النصـــير لمـــن آمنـــوا فيـــا ســـعد مـــن عنـــده يحتســـب!

ودينـــي يَجُـــبُّ الـــذي قبلـــه ويمحـــو الأســـى والضـــنا والنـــوب

ففـــيم التـــردُد يـــا قومنـــا وهـــل يُكتفـــى بالثنـــا عـــن كثـــب؟

فإمـــا اتبـــاعٌ يَـــزين الثنـــا وإمـــا محايـــدةٌ تُســـتحَب

لو ولد النبي في أرواحكم

(نحن لا ننتظر ثناء الكفار والملاحدة على نبينا – صلى الله عليه وسلم - بل له مكانة – صلى الله عليه وسلم – في قلوبنا. إن مدح توماس كارليل للإسلام ولنبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – ومدح جورج برناردشو للنبي – صلى الله عليه وسلم – وقوله الجهير عنه (لو أن محمداً النبي موجود اليوم لاستطاع أن يحل مشكلات هذا العالم في وقتٍ يتناول فيه أحدنا فنجان قهوة). وعنوان آخر لكتاب (العظماء مائه وأعظمهم محمد). وكتابات نظمي لوقا عن الإسلام ونبيه ونحو ذلك ، أقول إن هذا كله ليس بشيء حتى يتبع من يمتدحه – صلى الله عليه وسلم - دينه ويؤمن به نبياً ورسولاً من عند الله تعالى. ولقد ينخدع كثير من المسلمين بهذه الشعارات واللافتات. ولكن أهل الفراسة والبصيرة يفقهون جيداً مآرب الكتاب هؤلاء. ونحن نشكرهم على حيدتهم إن كان من بعضهم حيدة وموضوعية. ومن هؤلاء الذين رزقوا الموضوعية والحيدة رشيد سليم الخورى الذي أكثر من الأمر ، وبالغ فيه حتى عرف به ولامه فيه وعنفه ووبخه أهل ملته. إننا لا نعترف بالموالد ولا بمن يقيمونها ، بل ونحسبهم من أهل المغالاة والإطراء المسرف الذين لم يمضوا إلى هذا الفساد إلا بعد أن اختل اعتقادهم في النبي – صلى الله عليه وسلم – فترى أن أغلبهم راح يخرج به عن دائرة (أنا بشر مثلكم) إلى دائرة (أنا ربكم) ، فخلطوا بذلك بين البشرية التي هي ثابته له مع الرسالة والنبوة إلى الألوهية التي هي لله وحده. فالنبي – صلى الله عليه وسلم – بشر من ولد آدم ، قد خلقه الله تعالى مما خلق منه بني آدم ، وهو بعد ذلك نبيٌ رسول يوحى إليه وسيد ولد آدم. وفي مقال قرأته للأستاذ / رشيد سليم الخوري ، في مجلة الفكر الإسلامي (اللبنانية) ، وذلك في عددها الرابع الصادر فى ربيع الأول لسنة 1393هـ أبريل نيسان 1973م ، وبالرغم من أن هذا الكاتب نصراني إلا أنه وجّه كلمة عظيمة الأداء لأمة التوحيد يقول في بعض سطورها يخاطب المسلمين: (أيها المسلمون: يولد النبي في كل عام ، ويموت في قلوبكم كل يوم ، ولو ولد في أرواحكم لولدتم معه ، ولكان كل واحد منكم محمداً صغيراً ، ولكان الخلق من ألف

سنة مسلمين ، ولكان العالم منذ ألف عام أندلساً عظيماً ، ولالتقى الشرق والغرب منذ زمن طويل ، ولعقدت المادة والروح صلحاً شريفاً أبدياً ، ولمشى العقل والقلب يد بيد إلى آخر مراحل الحياة ولاجتمعت المذاهب قافلة واحدة في صعيد واحد ، ولشبعت البطون بلا تخمة ، ولأحرز الغنى بلا سرقة ، ولأسبغت النعمة في كل صُقع بلا بطر ، ولرجحت العقول بلا تحجر ، ولرقت القلوب بلا مَيعان ، ولانتصرت القوة بلا توحش ، ولانهزم الضعف بلا عار ، ولنعمت الروح بلا تضحية ، ولتمتع الجسد بلا حرج ، ولمهدت كل سبل الخير حتى طرقها الأشرار ، ولهانت تكاليف الصلاح حتى توخاها الطاحون.... ثم قال: إني لموقن أن الإنسانية بعد أن يئست من كل فلسفتها ، وقنطت من كل مذاهبها ونظرياتها ، سوف ترى ألاّ مخرج لها من مأزقها ولا راحة لروحها ، ولا صلاح لأمرها ، إلا بارتمائها في حضن الإسلام ، تجد فيه حلا لكل مشاكل الحياة ، وتوفيقاً بين قوى الإنسان جميعاً جسداً وعقلاً وروحاً ، وحينئذ يحق للبشرية أن ترفع رأسها).هـ. فأعجبتني جداً مقالته وصراحته وبكاؤه على آلام أهل التوحيد ، وولادة النبي في روح من يؤمن به تعني اتباعه والتزام ما جاء به قولاً واعتقاداً وعملاً. إنه رشيد سليم الخوري أو الشاعر القروي (1887 - 1984م). كتب عنه المهندس جورج فارس رباحية ما نصه بشيء من التصرف: (وُلِدَ رشيد بن سليم بن طنوس الخوري في قرية البربارة بلبنان القريبة من البحر بين جبيل والبترون وذلك يوم الأحد 17 أبريل نيسان سنة 1887م تلك الضيعة الصغيرة الغافية على ذراع البحر الأبيض المتوسط ، وكان أبوه مُعلّماً ثم ترك التعليم بعد زواجه ومارس تجارة التبغ والحرير. تعلّم رشيد في مدرسة القرية ، وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره انتقل إلى صيدا ، فدرس في مدرسة الفنون الأميركية ، ثم في مدرسة سوق الغرب ثم في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (التي عُرفت فيما بعدُ بالجامعة الأميركية). بعد ذلك عمل بمهنة التعليم في مدارس مختلفة بين بيروت وطرابلس وزحلة وسوق الغرب ونظم خلال ممارسته التعليم مقطوعات وقصائد شعرية ظهرت فيما بعد في ديوان (الرشيديات) ، وكانت بمثابة تعريف عن شاعريته ، وهذا ليس غريباً ، فقد نشأ في جو عائلي مشبع بحب الأدب.

فوالده كان ينظم وينثر وأخوه قيصر شاعر ممتاز الذي لُقِّبَ (الشاعر المدني) وأخته فيكتوريا وُلِدَت لتكون شاعرة العرب لولا أن القدر صرفها إلى غير مصير فتزوّجت وأقامت في ولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية ، ولم يكن الخوري سعيداً بعمله ولا راضياً عنه ، لا سيما بعد أن توفي والده عام 1910م ، تاركاً له مسؤولية كبيرة ، وهي والدته وإخوته قيصر وفؤاد وأديب وأختيه فيكتوريا ودعد ، وبعد أن انقضى ربع قرن من حياته قرّر الهجرة إلى البرازيل برفقة أخيه قيصر عام 1913م قبل بدء الحرب العالمية الأولى ، بعد تلقّيه دعوة من عمّه إسكندر القبطان في الجيش البرازيلي مرفقاً مع الدعوة المال اللازم للرحلة ، ولم يكن السبب الرئيسي لهذه الهجرة سوى الحاجة إلى المال حيث نجد الفاقة والفقر دافعين قويين للهجرة ، إذا ما أضيف إليهما الحالة السياسية والاقتصادية في بلده لبنان. وما أن وصل رشيد إلى البرازيل حتى اندفع إلى العمل سعياً وراء الرزق الحلال فحمل (الكشّة) وهي قطعة من الخشب يحمل عليها القماش وطاف بها في المدن الداخلية من مدينة إلى أخرى حتى استقر به المطاف في مدينة (صنبول) ، وكان بارعاً في صنع ربطات العنق كما اشتهر بعذوبة صوته وبراعته في العزف على آلة العود حيث عمل على تعليم العزف لبعض الهواة واستلاف الأجر منهم ، كما أنشأ مصنعاً لربطات العنق ، ثم أغلقه بخسارة بعد ثلاث سنوات. في عام 1924م استقدم والدته وإخوته من لبنان إلى البرازيل. وكان ينظم الشعر إلى جانب عمله ، وأصدر أول مجموعة من أشعاره بعنوان (الرشيديات) كان رشيد على اختلاف في العقيدة الوطنية وفي أدب السلوك مع الصحافي نجيب قسطنطين حداد الذي راح يطعن بالشاعر رشيد وديوانه وينتقده وينتقد شعره في مقالات عنيفة نشرها في جريدته (المؤدب) وقال في إحداها: مَن هو هذا القروي شاعر (جرن الكبّة)؟ فردّ عليه رشيد بمقال وقّعه باسم (القروي). وتبنّى هذا اللقب منذ ذلك الحين ، وراح يوقّع به كل ما يكتب وينظم. تولّى رئاسة تحرير (مجلة الرابطة) لمدة ثلاث سنوات وكان من أهم المساهمين في إنشاء (العصبة الأندلسية) سنة 1932م ، وأصبح رئيساً لها بعد وفاة ميشيل معلوف سنة 1938م ، ثم أصدر ديوانه (القرويات) نسبة للقبه

(الشاعر القروي) ثم أتبعه بديوان (القروي) الذي حوى جميع ما كان قد أصدره من شعره. ثم توالت طباعته في مصر والعراق وليبيا وسوريا. عاد شاعرنا القروي إلى وطنه العربي بعد أن غاب عنه خمسة وأربعين عاماً تلبية لدعوة من حكومة الوحدة (وحدة سورية ومصر) عام 1958م. فقبَّلَ تراب الوطن وبكى وشكر الله على هذه النعمة ولقيَ من الحفاوة والتكريم ما يليق بشاعريّته ، وفي عام 1983م أصدر اتحاد الكتّاب العرب بدمشق طبعة جديدة لديوانه تُعَدّ من أكمل الطبعات. فارق الخوري الحياة وهو متّجه بالسيارة إلى قريته البربارة سنة 1984م. بعد أن ملأ دنيا العروبة بعطائه المبدع. وقد طلب رشيد في وصيّته أن يُصَلّى على جثمانه كاهن وشيخ والاقتصار على الصلاة النصرانية وتلاوة الفاتحة وأن يُنصَب على قبره شاهد خشبي متين في رأسه صليب وهلال متعانقان رمزاً للديانتين النصرانية والإسلامية. ونعلم بأن القروي نصراني الديانة على المذهب الأرثوذكسي ، وأنه اتّخذ من العروبة منهجا يغلبه في أشعاره ، فكان النموذج الفريد للسفراء العرب في المهجر ، أولئك الأقوام الذين وهبوا أنفسهم للعروبة والوحدة العربية وللقضايا القومية بشكل عام والقضية الوطنية بشكل خاص! وهو الذي حمل راية العروبة واتخذها درباً ومنهاجاً حتى لقِّبَه أهل ملته "بشاعر العروبة" و"قِديس الوحدة العربية"! فالعروبة عنده كما ورد في مقدّمة ديوانه: (هي أن يشعر اللبناني أن له زحلة في الطائف. ويشعر العراقي أن له فُراتاً في النيل. والعروبة هي دم ذكي يجري في عروق الجسد الواحد ، أعضاؤه الأقطار العربية. وكل ما يعوق دورة هذا الدم يُعَرِّض الجسد كله للأخطار). إن قصائده الثائرة كانت تُحَرِّض أبناء جلدته على الاستماتة في سبيل نيل الحرية وصون الكرامة ، وكانت هذه ميّزة الأدب العربي في المهجر الجنوبي ، حيث يقول الأديب المهجري الحِمصـي"نظير زيتون" (1896 - 1967م): (وميّزة الأدب العربي في البرازيل أنه يستمدّ وحيه من الواقع العربي في الدرجة الأولى ، ومن الحياة والتسامي الفكري في الدرجة الثانية ، في حين أن الأدب العربي في الولايات المتحدة وبالتالي "أدب الرابطة القلمية" كان طابعه الرئيسي وجدانياً عاطفياً ، وقد وقف بمعزل عن الواقع العربي والقضايا العربية

وإن كان ينزع في بعض الأحيان إلى الاتصال الروحي والاجتماعي).هـ. المهم أن الشاعر الخوري كان قد تبنى قضية العروبة في أغلب قصائده. وامتاز شعره بالسهل الممتنع ، حيث إنه لا يلجئ قارئه ولا دارسه إلى القواميس والمراجع! كما أن القارئ لن يقول بعد مطالعة شعره: (والمعنى لا يزال في بطن الشاعر! وأنا إذ يعجبني ثناؤه على الإسلام ونبيه ، فلست أصحح مذهبه النصراني ، كما أنني لست أدافع عن معتقده! ذلك أن هذا أحد نواقض الإسلام العشرة! بل أنا هنا أسير وفق حكمته التي أنى وجدتها فأنا أولى منه بها وأحق!)

أيهـــا الخـــوريّ ذكّـــرْ أممـــا ... بـــددتْ - بـــين البرايـــا - القيمـــا

أصـــبحتْ فـــي كـــل ســـوءٍ مَـــثلاً ... وارتقـــتْ فـــي كـــل هـــزل سُـــلما

فرّطـــتْ فـــي الـــدين ، حتـــى والحمـــى ... واســـــتعارتْ للقطيـــــع النُظمـــــا

ومضـــت - فـــي التيـــه - تســـعى وحـــدها ... واســـتباحتْ - فـــي الحيـــاة - الحُرُمـــا

وادّعـــتْ فـــي النـــاس حـــب المصـــطفى ... وأجـــــادت - بالمـــــديح - الرّنمـــــا

لـــم تحَكّـــم - فـــي هُـــداهُ - شـــرعة ... إنمـــا - فـــي البغـــي - فاقـــت إرَمـــا

وكـــــذا كـــــم حاربـــــت أتباعَـــــه ... حـــربَ مَـــن يهـــوى الفنـــا والجُرُمـــا!

ثـــم مِـــن إفلاســـها بـــين الـــورى ... ألصـــــقتْ بالصـــــالحين التهَمـــــا

روّجـــتْ للســـوء فـــي أرحابهـــا ... مثلمـــا الضُـــلالُ شـــادوا الصـــنما

وأقامـــــتْ مولـــــداً للمصـــــطفى ... تخـــدعُ الحمقـــى بـــه والأممـــا

كـــي يقـــول البُلـــهُ: هـــا قـــد أخلصـــتْ ... وقوَاهـــا فـــي المضـــا لـــن تهزمـــا

وإذا المولـــــدُ فـــــي طيّاتـــــه ... بـــــدعٌ تهـــــدي الأنـــــامَ القصُـــــما

والمجاذيـــبُ لهـــم فيـــه الصـــدى ... وحُمـــاة الزيـــف بـــاتوا الخـــدما

تركَـــبُ الأهـــواءُ فيـــه حِســـبة وعقـــولُ القـــوم أمســـت رُجُمـــا

وإذا المـــداحُ يزهـــو صـــوته يُتـــرعُ الألبـــابَ هـــذي ظَلمـــا

ومـــع المـــدّاح زمّـــار الفنـــا يُطـــربُ المســـتهزئين الغنمـــا

ومـــع المزمـــار طبّـــالٌ عـــلا فـــي دجـــى الأرجـــاس يُـــردي الهمَمـــا

وســـطوح الـــدور نـــاءتْ بـــالورى لا تـــرى - بـــين البرايـــا - قـــدما

حرصـــوا ، لـــو كـــان حقـــاً مـــا أتـــوْا إن - فـــي الآذان عنـــهُ - صَـــمما

لـــو - إلـــى الســـنة - نـــودوا مـــا أتـــوا إن - فـــي الأرواح - هـــذي ســـخما

سُـــنة المختـــار مـــنهم برئـــتْ إنهـــم - بالعَمـــد - دكّـــوا الـــدّعما

رتعـــوا فـــي التيـــه ، واجتثـــوا الهُـــدى بـــددوا التقـــوى ، وشـــجّوا الشـــيما

حكّمـــوا القـــانون فـــي أعراضـــهم فاســـتحقوا أن يـــذوقوا النقمـــا

أيهـــا الخـــوريّ هَـــديُ المصـــطفى لـــم يعُـــد - فـــي الـــدار هـــذي - الحَكَمـــا

إنمـــا القـــانون فيهـــا رافـــعٌ رأسَـــه الســـوداء ، أمســـى علمـــا

خفـــفِ اللـــوم ، كفانـــا مـــا بنـــا إن - فـــي الأكبـــاد منـــهُ - ســـأما

شِـــعرك الحـــاني ينـــاغي دمعنـــا فـــي مقـــال كِلـــتَ فيـــه الحُمَمـــا

خمّـــش الشـــعرُ جراحـــاً ، ورؤىً! بـــات نيـــر الـــذل فينـــا عممـــا

فـــارحم الأمـــة هـــذي علهـــا تجعـــل التـــوب - لهـــا - مُختتمـــا

إنهـــا - للتيـــه - باعـــت نفســـها ثـــم راحـــت بعـــدُ تشـــكو الألمـــا

عِزهـــا ولـــى ، فلـــم تحـــزن لـــه وعُـــرىً كانـــت تُنـــاغي النجمـــا

أخرجـــتْ ـ للكـــون ـ جـــيلاً لا يعـــي همّـــه ـ فـــي النـــاس ـ أن ينهزمـــا

بعـــدما قـــد كـــان يومـــاً فـــي الـــذرى بـــــدّد العهـــــد ، وخـــــان الـــــذمما

أيهـــا الخـــوري ، هـــذي فـــي الـــورا تشـــرب الجهـــل ، وتُقـــري العـــدما

وعلـــى الملهـــاة ماتـــت ريحُهـــا لـــم تـــراع المصـــطفى والرحمـــا

لـــم يَخفهـــا ـ فـــي الـــدنا ـ مَـــن فجـــروا وعلـــى الـــدنيا تـــذرّ النـــدما

رب أدركهـــا ، وأصـــلح شـــأنها كـــاد أمـــر الحـــق أن يُلتهمـــا

أمـــة لـــولا الهـــوى مـــا غلبـــتْ طهـــرتْ أرضـــاً ، وناســـاً ، ودِمـــا

تـــوج المجـــد رُبـــاً أرحابهـــا جَرعـــت كســـرى ورومـــا العلقمـــا

قـــد تناســـت قـــادة ســـادوا الـــورى؟ وعِـــداها مـــا نسُـــوا المُعتصـــما

أيهـــا الخـــوري هـــذه صـــحوة أوشـــك العُـــدوان أن ينحطمـــا

كثـــرة الكبـــتِ ســـتغدو كبـــة مـــن ســـعير النـــار تُزجـــي الضـــرما

وجـــراحُ الحـــق يمحوهـــا المضـــا كـــاد جـــرحُ الهَـــدي أن يلتئمـــا

ونصـــيرُ الحـــق ربٌ قـــاهرٌ فـــاردِدِ اللهـــم فينـــا الأظلمـــا

مَـــن ســـوى الجبـــار يُخـــزي مـــن طغـــى؟ رَبّ أهلـــكْ ـ فـــي الـــديار ـ المُجرمـــا

فداكِ أبي وأمي ونفسي يا ابنة الصِدّيق!

(بُردة عائشة – معارضة لقصيدة الدكتور عائض القرني)

(لقد قرأتُ الكثير عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما -! سواءً في ذلك لكُتاب من الأقدمين الغابرين أو من الحاضرين المعاصرين: نثراً وشعراً! حتى كانت بُردة الدكتور الشاعر عائض القرني عن عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما - ، فتواصلتُ معه وأرسل لي بعض أبياتها والتمستها كاملة ، وطالعتُها في نهم وشوق وتوأدة ، فألفيتُها مُعلقة مُذهبة حَولية مِيمية من عيون شعر العرب في الانتصار لأم المؤمنين عائشة! ولفرط إعجابي بها رأيتُ أن أعارضها ، ووعدتُ الدكتور بذلك! والحقيقة أننا أمام امرأةٍ عظيمةٍ ذاتِ مناقبَ وسجايا ، يعجز عن الإتيان بها الرجال! ونحن ننتصر لأمهاتنا في النسب ممن ينال منهن بحق أو بغير حق! فما بالنا لا ننتصر بالحق المحض لأمهاتنا في العقيدة والتوحيد؟ وخاصة إن كنا أمام واحدةٍ من النساء قد عقمتْ أرحامُ النساء في القديم والحديث عن أن تلد مثلها! امرأة بقامة عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – جيرة بالدفاع عنها اليوم وأمس وغداً ضد الحملة المسعورة الملعونة التي تنال منها بالباطل! ألا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كل من نال منها بالباطل! إننا أمام امرأةٍ ذاتِ مناقبَ وفضائلَ لا نكاد نجدها مجتمعة في امرأة مثلها! فمن فضائل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومناقب حبيبة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: 1 - أنها أمُّ المؤمنينَ أمُّ عبدِ الله: عائشةُ بنتُ الإمام الصِّدِّيق الأكْبر ، خليفةِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أبِي بَكْرٍ عبدِ الله بنِ أبي قُحَافةَ عثمانَ بنِ عامرِ بن عمرو بن كعْب بن سعْد بن تَيْم بن مُرَّة ، بن كعْب بن لُؤيٍّ ؛ القرشيَّة التيميَّة ، المكيَّة ، النبويَّة ، أم المؤمنين ، زَوْجة النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أفْقَه نِساءِ الأُمَّة على الإطلاق. وأمُّها هي: أُمُّ رُومانَ بنتُ عامرِ بن عُوَيمر ، بن عبدِ شمْس ، بن عتاب ابن أُذينة الكِنانية. وعلى هذا تكون عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – في الذؤابة من حيث النسب العريق العظيم! هاجَر بعائشةَ أبواها ، وتزوَّجها نبيُّ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قبل مُهاجرِه بعدَ وفاة الصِّدِّيقة خديجة بنت خُوَيلد – رضي الله عنها - ، وذلك قبلَ الهِجرة ببضعة عشَرَ شهرًا ، وقيل: بعامين ، ودخَل بها في شوَّال سَنَةَ اثنتين مُنصرفَه - عليه الصلاة والسلام - مِن غزوةِ بدر ، وهي ابنةُ تِسْع ، فرَوَتْ عنه عِلمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعْد ، وحمْزَة بن عمرو الأسْلمي ، وجُدَامَةَ بنتِ وهْب. 2- حُبُّ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: فلقد اختارَها الله لنبيِّه ، حيثُ رآها في المنام ، كما جاء في الصحيحَيْن - واللَّفْظ لمسلِم - عن عائشةَ قالتْ: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (أُريتكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ ، جاءَني بكِ المَلَك في سَرَقةٍ (قطعة) مِن حريرٍ ، فيقول: هذه امرأتُك ، فأَكْشِف عن وجْهِكِ ، فإذا أنتِ هي ، فأقول: إنْ يَكُ هذا مِن عندَ الله يُمضِه). وعن عمرِو بن العاص - رضي الله عنه - قال: بعَثَني رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - على جيشِ ذاتِ السلاسل ، قال: فأتيتُه قال: قلتُ: يا رسولَ الله ، أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قال: قلت: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها إذًا) ، قال: قلت: ثُمَّ مَن؟ قال: (عمر) ، قال: فعدَّ رِجالاً ؛ أخرجه الشيخان. 3- دعاءُ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: عن عائشةَ قالت: لمَّا رأيتُ مِن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - طِيبَ النَّفْس قلت: يا رسولَ الله ، ادعُ اللهَ لي ، فقال: (اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر ، وما أسَرَّتْ وما أعْلَنتْ) ، فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأسها في حِجْرِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -

من الضحِك ، فقال: (أيَسرُّكِ دُعائي؟) ، فقالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟! فقال: (واللهِ إنَّها لدَعْوَتي)! أخرجه البزَّار في مسنده ، وحَسَّنه الألباني. 4- ثناءُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصحابته عليها: عن أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قالَ رسولُ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (كَمَلَ منَ الرِّجال كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ منَ النِّساءِ إلاَّ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ ، وفضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطعام). صحيح البخاري. وعَنْ عَائِشَةَ - رضِي الله عنها - قَالَتْ: قال - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَوْمًا: (يا عائِشَ ، هَذا جبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَم) ، فَقُلْتُ: وَعليه السلام ورحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه ، تَرَى ما لا أَرى - تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلَّى الله عليه وسلَّم! رواه الشيخان - البخاريُّ ومسلم. وعن الحَكَمِ: سمعتُ أبا وائلٍ قال: "لَمَّا بعَثَ عليٌّ عَمَّارًا والحسنَ إلى الكوفَة ؛ ليستَنفِرَهم ، خَطبَ عمَّارٌ فقال: إنِّي لأعلمُ أنَّها زوجتُهُ في الدُّنيا والآخِرة ، ولكنَّ اللَّهَ ابتَلاكم ؛ لتتبعوهُ أو إيَّاها". رواه البخاري. وعَنْ أَنَسِ بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَقولُ: (فَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على الطَّعام)! رواه الشيخان - البخاري ومسلم. 5- وأما عن عبادتها وزُهدها: فلقد كانتْ أُمُّ المؤمنين كثيرةَ الصيام ، حتى ضعُفت بنيتُها جداً ، كما جاء في السِّيَر للذهبي - رحمه الله تعالى - عن عبد الرحمن بن القاسِم ، عن أبيه: أنَّ عائشةَ كانتْ تصوم الدَّهْر. كما كانتْ زاهدةً في الدنيا ، فعَنْها قالت: "ما شَبِع آلُ محمَّد يومَيْن من خُبزِ بُرٍّ إلا وأحدهما تَمْر". متفق عليه. وعن عطاء: أنَّ معاويةَ بعَث إلى عائشةَ بقِلادةٍ بمائةِ ألْف ، فقسمتْها بيْن أمَّهات المؤمنين. وعن عُروةَ ، عن عائشة: أنَّها تصدَّقتْ بسَبْعِين ألفًا ؛ وإنَّها لتُرقِّع جانبَ دِرْعها - رضي الله عنها. وعن أُمِّ ذَرَّة ، قالت: بعَث ابنُ الزبير إلى عائشةَ بمالٍ في غِرَارتَيْن ، يكون مائة ألْف ، فدَعَتْ بطَبق ، فجعَلتْ تُقسم في الناس ، فلمَّا أمسَت ، قالت: هاتِي يا جاريةُ فُطوري ، فقالت أُمُّ ذَرَّة: يا أمَّ المؤمنين ، أمَا استطعتِ أن تشتري لنا لحمًا بدِرْهم؟! قالت: لا تُعنِّفيني ، لو أذْكَرتِني لفعلتُ. 6- فِقهُ وعِلم أمِّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: قال الزُّهريُّ: لو جُمِع عِلمُ عائشة إلى عِلمِ جميعِ النساء ، لكان علمُ عائشةَ أفْضلَ. كما أنَّ الله قد وهَبَها الذكاءَ والفِطنة ، وسُرعةَ الحافظة ، قال ابن كثير: "لم يَكُن في الأُممِ مثلُ عائشةَ في حِفْظها وعِلْمها ، وفصاحتِها وعَقْلِها". ويقول الذهبيُّ: "أفْقَهُ نِساء الأمَّة على الإطلاق ، ولا أعْلمُ في أمَّة محمَّد ، بل ولا في النِّساء مُطلقًا امرأةً أعلمَ منها". وقدْ تجاوز عددُ الأحاديث التي روتْها ألْفَيْن ومائة حديث عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهي مُشتَهِرة في كُتُب السُّنَّة: البخاري ومسلم ، والسُّنن والمسانيد ، وغيرها ؛ قال الحافظُ الذهبيُّ: مُسْنَد عائشة يبلُغ ألْفَين ومائتين وعشرة أحاديث ؛ اتَّفق البخاريُّ ومسلمٌ لها على مائةٍ وأربعةٍ وسبعين حديثًا ، وانفرَد البخاريُّ بأربعةٍ وخمسين ، وانفرد مسلِمٌ بتِسعة وستِّين. ويقول عُروةُ بنُ الزُّبَيْر: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بفِقه ، ولا بِطبٍّ ولا بِشِعر من عائشةَ - رضي الله عنها". وقال فيها أبو عُمرَ بنُ عبد البرِّ: "إنَّ عائشةَ كانتْ وحيدةً بعصرها في ثلاثةِ علوم: علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشِّعر". كما كانتِ المرجعَ الكبيرَ لكِبار الصحابة ، خاصَّة عندَ المواقف والملمَّات ، كما كانتْ تُفتي بما لدَيْها من عِلمٍ وفِقه في عهد الخليفةِ عمرَ وعثمانَ - رضي الله عنهما - إلى أن تُوفِّيت - رحمها الله ورضي عنها. 7- نزول براءتِها مِن حادثة الإفْك من عندَ الله تعالى: وقدْ تعرَّضَتْ - رضِي الله عنها - إلى ابتلاءٍ شديد ، وفِتْنةٍ كبيرة ، حيث طَعَن في شرَفِها وعِرْضها المنافقون في المدينة ، فأنْزَل الله براءتَها من فوقِ سبعِ سموات ، وقد قالتْ - رضي الله عنها - كما في الصحيحين: "... ثُمَّ تحولتُ واضطجعتُ على فِراشي ، والله يعلم أنِّي حينئذٍ بريئةٌ ، وأنَّ الله

مُبرِّئي ببراءتي ، ولكن واللهِ ما كنتُ أظنُّ أنَّ الله منزلٌ في شأني وحيًا يُتْلَى ، لشأني في نفْسي كان أحْقرَ مِن أن يتكلَّم الله فيَّ بأمْر ، ولكن كنتُ أرْجو أن يرَى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في النومِ رُؤيَا يُبرِّئني الله بها ، فواللهِ ما رام رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – مجلسَه ، ولا خرَج أحدٌ مِنْ أهل البيت حتَّى أُنزِل عليه ، فأخَذَه ما كان يأخُذُه من البُرَحَاء ، حتى إنَّه ليتحدَّر منْه مِن العَرَق مثل الجُمَان ، وهو في يومٍ شاتٍ مِن ثِقَلِ القوْل الذي أُنزِل عليه. قالت: فَسُرِّي عن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يَضْحَك ، فكانتْ أوَّل كَلمةٍ تَكلَّم بها أنْ قال: (يا عائشةُ ، أمَّا اللهُ فقدْ بَرَّأكِ) ، قالت: فقالتْ لي أُمِّي: قُومِي إليه ، فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ، فإنِّي لا أحْمَدُ إلاَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ. قالت: وأنزَل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ). قال ابنُ كثير: "فغار اللهُ لها وأنْزَلَ براءتَها في عشْر آياتٍ تُتلى على الزمان ، فسَمَا ذِكْرُها ، وعلا شأنُها ؛ لتسمعَ عفافَها وهي في صِباها ، فشَهِدَ الله لها بأنَّها مِنَ الطَّيِّبات ، ووعدَها بمغفرةٍ ورِزق كريم". ومَع هذه المنزِلَةِ العالية ، والتبرِئة العالية الزكيَّة مِنَ الله تعالى ، تَتَواضَعُ وتقول: "ولَشَأنِي في نفْسي أهونُ مِن أن يُنزِل الله فيَّ قرآنًا يُتْلَى"! 8- وأما عن خصائص أمِّ المؤمنين - رضي الله عنها -: فيقول ابنُ القيِّم - رحمه الله تعالى -: ومِن خصائصها الفريدة: أنَّها كانتْ أحبَّ أزواج رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – إليه ، كما ثبَت عنْه ذلك في البخاريِّ وغيره ، وقد سُئِل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قيل: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها). ومِن خصائصها كذلك: أنَّه لَمْ يتزوَّج امرأةً بِكرًا قط غيرها ، ومن خصائصها أيضاً: أنَّه كان يَنزِل عليه الوحيُ وهو في لحافِها دونَ غيرِها ، ومِن خصائصها: أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لَمَّا أنزل عليه آيةَ التخيير بدأ بها فخيَّرها ، فقال: (ولا عليكِ ألاَّ تَعْجَلي حتى تستأمري أَبَوَيك) ، فقالت: أفِي هذا أسْتَأمِر أبوي؟! فإنِّي أُريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرة ، فاستنَّ بها - أي: اقتَدَى - بقيةُ أزواجه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقُلْنَ كما قالتْ. ومِن خصائصها: أنَّ الله سبحانه برَّأها ممَّا رماها به أهلُ الإفك ، وأنْزَل في عُذرِها وبراءتِها وحيًا يُتْلَى في محاريبِ المسلمين وصلواتهم إلى يومِ القيامة ، وشَهِد لها بأنَّها مِنَ الطيِّبات ، ووعَدَها المغفرةَ والرِّزقَ الكريم ، وأخْبَر سبحانه أنَّ ما قيل فيها مِنَ الإفك كان خيرًا لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شَرًّا لها ، ولا عائبًا لها ، ولا خافضًا مِن شأنها ، بل رَفَعها الله بذلك وأعْلى قدْرَها ، وأعْظَمَ شأنها ، وصار لها ذِكرًا بالطيب والبراءة بيْن أهلِ الأرض والسماء ، فيا لها مِن مَنْقَبة ما أجلَّها! ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ الأكابرَ مِنَ الصحابة - رضي الله عنهم - كان إذا أَشْكَل عليهم أمرٌ مِن الدِّين استفتوها فيَجِدون عِلمَه عندَها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تُوفِّي في بيتها ، وفي يومِها ، وبيْن سَحْرِها ونَحْرها ، ودُفِن في بيتها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ الناسَ كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يومَها مِن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تقربًا إلى الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فيُتْحفونَه بما يحبُّ في منزلِ أحبِّ نسائِه إليه - صلَّى الله عليه وسلَّم ورضي الله عنهنَّ أجمعين. وقال الإمام بدرُ الدِّين الزَّرْكشيُّ في "الإجابة لإيراد ما استدركتْه عائشةُ على الصحابة" - وهو يَتكلَّم في خصائصها ، رضي الله عنها – الأربعين ، قال: "والخامِسة - أي: مِن الخصائص -: نزول براءتِها منَ السماء بما نَسَبه إليها أهلُ الإفك في ستَّ عشرةَ آية متوالية ، وشَهِد لها بأنَّها من الطيِّبات ، ووعَدها بالمغفرةِ والرِّزق الكريم ، قال: والسادس: جَعله قُرآنًا يُتْلَى إلى يومِ القيامة ؛ أي: الآيات التي نزلَتْ في براءتِها. وقال - في العاشرة -: وجوب محبَّتِها على كلِّ أحد ، ففي الصحيح: لمَّا جاءتْ فاطمة - رضي الله عنها - إلى النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لها:

(ألسْتِ تُحبِّين ما أُحبُّ؟) قالت: بلى ، قال: (فأَحبِّي هذه - يعني: عائشة) ، وهذا الأمْرُ ظاهِرُه الوجوب. وقال - في الحادية عشرة -: إنَّ مَن قذَفها فقَدْ كفَر ؛ لتصريحِ القرآن الكريم ببراءتِها ، وقال - في الثانية عشرة -: مَن أنْكَر كونَ أبيها أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - صحابيًّا كان كافرًا ، نصَّ عليه الشافعيُّ ، فإنَّ الله تعالى يقول: (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ، ومُنكِر صُحْبةِ غير الصَّدِّيق يَكْفُر لتكذيبه التواتُر ؛ انتهى مختصرًا. 9- وفاتها - رضي الله عنها -: تُوفِّيت - رضي الله عنها وأرْضاها - سَنَةَ سَبْعٍ وخمسين على الصحيحِ ، وقيل: سَنَة ثمان وخمسين ، في ليلةِ الثلاثاء لسَبْعَ عشرةَ خَلَتْ مِن رمضان بعدَ الوتر ، ودُفنت من ليلتها ، وصلَّى عليها أبو هريرة ، بعدَ أن عمرتْ ثلاثًا وستين سَنَة وأشهرًا - كما ذَكَر الذهبيُّ في "السِّير". 10- حُكم الإسلام فيمَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: قال تعالى في تزكيةِ أمِّ المؤمنين ومكانتِها وغيرِها من زوجاتِ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ). وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام قاطبةً مِن أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ، ورُوي عن مالكِ بن أنس أنَّه قال: مَن سَبَّ أبا بكرٍ وعُمرَ جُلِد ، ومَن سَبَّ عائشةَ قُتِل ، قيل له: لِمَ يقتلُ في عائشة؟ قال مالك: فمَن رماها فقدْ خالَفَ القرآن ، ومَن خالف القرآنَ قُتِل. قال أبو مُحمَّد ابنُ حزْم الظاهريُّ - رحمه الله-: قول مالك هذا صحيحٌ ، وهي رِدَّة تامَّة ، وتكذيبٌ لله تعالى في قَطْعِه ببراءتها. وقال أبو الخطَّابِ ابنُ دِحية في أجوبة المسائل: وشَهِد لقول مالك كتابُ الله ، فإنَّ الله إذا ذَكَر في القرآن ما نَسَبه إليه المشركون سبَّح نفسَه لنفسِه ، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) ، والله تعالى ذَكَر عائشةَ ، فقال: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ، فسبَّح نفْسَه في تنزيهِ عائشةَ ، كمَا سبَّح نفسَه لنفسِه في تنزيهه ؛ حكاه القاضي أبو بكر ابن الطيِّب. وقال أبو بكر ابنُ زياد النيسابوريُّ: سَمعتُ القاسمَ بنَ محمَّد يقول لإسماعيلَ بن إسحاقَ: أُتِي المأمون في (الرَّقة) برَجلين شَتَم أحدُهما فاطمةَ ، والآخَرُ عائشةَ ، فأمَر بقَتْل الذي شتَم فاطمةَ وترَك الآخَر ، فقال إسماعيلُ: ما حُكْمُهما إلاَّ أن يُقتلاَ ؛ لأنَّ الذي شتَم عائشةَ ردَّ القرآن. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية - رحمه الله - تعقيبًا عليه: وعلى هذا مضَتْ سِيرةُ أهل الفِقه والعِلم مِن أهل البيت وغيرِهم. وقالَ ابنُ العربيِّ - رحمه الله -: كلُّ مَن سبَّها بما برَّأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومَن كذَّب الله فهو كافِر. وقال ابن قُدامة: فمَن قذَفها بما بَرَّأها الله منه فقدْ كفَر بالله العظيم. وقال الإمامُ النوويُّ - رحمه الله -: براءةُ عائشة - رضي الله تعالى عنها - مِنَ الإفْك ، وهي براءةٌ قطعية بنصِّ القرآن العزيز، فلو تَشكَّك فيها إنسانٌ - والعياذ بالله - صار كافرًا مرتدًّا بإجماعِ المسلمين. وقال ابنُ القيِّم - رحمه الله -: واتَّفقتِ الأُمَّة على كُفْر قاذفِها. وقد رُوِي عَنْ عَمْرِو بنِ غالِبٍ: أنَّ رَجُلاً نالَ مِنْ عائِشَةَ عندَ عَمَّارٍ ، فقالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا ، أَتُؤْذِي حَبِيبةَ رَسُول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم؟! قال الذهبيُّ في السِّيَر: صحَّحَه الترمذيُّ في بعضِ النُّسخ ، وفي بعضِ النُّسخ قال: هذا حديثٌ حسَن. عن عروة "أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم" – تتابع أيام الصيام - وعن القاسم: "أنها كانت تصوم الدهر ، لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر". وعن القاسم قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة - رضي الله عنها - فأسلم عليها ، وغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ: (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ؛ فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي!". وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - قالت: "كُنْتُ

أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي ، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إلا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي ، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ" (رواه أحمد ، وصححه الألباني). وقد ابتلي بمثل بلاء أمنا عائشة يوسف -عليه السلام- ، وكانت براءته على لسان قريب من امرأة العزيز: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ). وابتليت أيضًا مريم - عليها السلام -: (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ، فجاءت براءتها على لسان صغيرها النبي عيسى -عليه السلام-: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا). وبراءة عائشة - رضي الله عنها - لم تأت على لسان قريب أو نبي ، ولكن برأها الله من فوق سبع سماوات في عشر آيات من سورة النور ، قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة يشهد لعائشة - رضي الله عنها - من قوله – تعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). ونزل فيها وفي أمثالها من المؤمنات العفيفات الطاهرات: (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). وكَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: "حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ ، الْمُبَرَّأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ" (البداية و النهاية لابن كثير).وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ..." (صحيح البخاري). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تكنَّى بـ "أم عبدالله"، ويلتقي نسبها مع النبي ﷺ في مُرة بن كعب. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت لِلنَّبيِّ ﷺ: "يا رَسولَ اللهِ، كُلُّ نِسائِكَ لها كُنيةٌ، غَيري. فقال لها رَسولُ اللهِ ﷺ: اكتَنِي أنتِ أُمَّ عَبدِ اللهِ. فكان يُقالُ لها: أُمُّ عَبدِ اللهِ، حتى ماتَتْ، ولم تَلِدْ قَطُّ" (تخريج المسند بإسناد صحيح). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بيضاء جميلة، وهذا هو سبب تسمية السيدة عائشة بالـ "حُميْراء"، فالحُميرْاء هي البيضاء. وقال ابن حجر في الفتح: "والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يُشبه البرص ولهذا كان ﷺ يقول لعائشة يا حميراء" اهـ. وكان جسمها رضي الله عنها قليلاً وبعد الزواج بفترة زاد جسمها. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كانَت أمِّي تعالِجُني للسُّمنةِ ، تريدُ أن تُدْخِلَني على رسولِ اللَّهِ ﷺ: فما استقامَ لَها ذلِكَ ، حتَّى أَكَلتُ القثَّاءَ ، بالرُّطَبِ ، فسَمِنْتُ ، كأحسَنِ سِمنةٍ" (صحيح ابن ماجه). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مُسمَّاةً لجبير بن مطعم بن عُدي، فخطبها رسول الله ﷺ بعد أن سلَّها أبوها من أهله لإصراره على الكفر. "فأتى أبو بَكرٍ المطعمَ فقالَ: ما تقولُ في أمرِ هذِهِ

الجاريةِ؟ قالَ فأقبلَ على امرأتِهِ فقالَ لَها: ما تقولينَ؟ فأقبلت على أبي بَكرٍ ، فقالت: لعلَّنا إن أنْكحنا هذا الفتى إليْكَ تُصبئْهُ وتدخلْهُ في دينِكَ فأقبلَ عليْهِ أبو بَكرٍ فقالَ: ما تقولُ أنتَ؟ فقالَ: إنَّها لتقولُ ما تسمعُ! فقامَ أبو بَكرٍ وليسَ في نفسِهِ منَ الموعدِ". (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي بإسناد حسن). وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: "تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النبيِّ ﷺ إلى المَدِينَةِ بثَلاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، ونَكَحَ عائِشَةَ وهي بنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بها وهي بنْتُ تِسْعِ سِنِينَ" (صحيح البخاري). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري ، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء ، وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة ، وقال: تزوجها ، فإنها امرأتك ، فكنت أغتسل أنا وهو من إناءٍ واحد ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري ، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري ، ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها ، ودفن في بيتي". (الطبقات الكبرى لابن سعد). * بين سَحْري ونَحْري: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري): "وَالسَّحْر: هُوَ الصَّدْر ، وَهُوَ فِي الْأَصْل الرِّئَة. وَالنَّحْر: الْمُرَاد بِهِ مَوْضِع النَّحْر (أسفل الرقبة)" اهـ. وقال الإمام أبو الوفا ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: "انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموضعه من الصلاة الأب". وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها. إن علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحرٌ لا يُثبر قعرُه ولا تُرى شطآنه ، وعُبابٌ لا تُكدِّره الدِّلاءُ ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، ومرجعًا صافياً رقراقاً يُرجَع إليه في مسائل العلم الشائكة فينهمر منه العلم الذي يُرشد الضال ويسكن به الحيارى. ولم لا!! وهي رضي الله عنها من أكثر رواة الأحاديث النبوية ، وقد عدّ الذهبي أحاديث عائشة 2210 حديث. وقال الحاكم في المستدرك: "إنَّ رُبْعَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ نُقِلَت عَن السَّيِّدَة عَائِشَة". وقال الزُّهري رحمه الله: "لو جُمِع علم نساء هذه الأمة ، فيهن أزواج النبي ﷺ ، كان علم عائشة أكثر من علمهنّ". (رواه الطبراني). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "ما أشكَل علينا - أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ - حديثٌ قطُّ فسأَلْنا عائشةَ إلَّا وجَدْنا عندَها منه عِلْمًا" (سنن الترمذي). وعن عُروةَ بن الزبير رضي الله عنه قال: "ما رأيْتُ امرأةً أعلمَ بطبٍّ ولا بفقهٍ ولا بشِعرٍ مِن عائشةَ". (مجمع الزوائد بإسناد حسن). وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بسُنن رسول الله ﷺ ولا أفقهَ في رأي إن احتُيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلتْ ، ولا فريضة - مِن عائشة". ومن أسباب المكانة العلمية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (شدة ذكائها، وقوة ذاكرتها. - زواجها من النبي ﷺ في سن مبكرة وملازمتها له ﷺ إلى أن توفاه الله تعالى. - كثرة ما نزل من الوحي في حُجرتها. - رغبتها في التعلم ، فكانت رضي الله عنها لا تسمع أمراً تستشكله ، إلا وتستفسر عنه. وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ. وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف - عليه السلام - لما رُمِي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد ، وإن مريم لَـمَّا رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى - صلوات الله عليه - وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله - تعالى –

بالقرآن ؛ فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان" (الجامع لأحكام القرآن). وقال ابن العربي رحمه الله: "إن أهل الإفك رموا عائشة المُطهرة بالفاحشة ، فبرَّأها الله ، فكل من رماها بما برأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومن كذب الله فهو كافر" اهـ. وقال الزمخشري: "ولو فليت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به من العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة" اهـ. إنه لشرف كبير لكل شاعر مسلم أن يحتوي ديوانه على قصيدة يُنصف فيها أمه وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق – رضي الل عنهما -! وإن بُردتي هذه أجعلها سهماً من سهام الحق في الرد على كل من ينتقص هذه الأم العبقرية العظيمة التي لا أجد من الكلمات ما أصف به نعم الله عليها من العلم والرشد والفقه واللغة والشعر والفصاحة والبلاغة والإبانة والخطابة والفتوى والطب والمناظرة! يقول الأديب الأستاذ مسلم بن محمد اليوسف في محاضرةٍ له عن أم المؤمنين عائشة وتحت عنوان: (حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) ما نصه بترف زهيد: (أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - تُعتبر من أولي اللواتي حملن لنا هذا الدين القويم ، فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. فقد دأب بعض أهل الهوى والفكر المنحرف ، الدخيل على ديننا الحنيف دأبوا على النيل من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن طريق أزواجه الأطهار رضوان الله عليهن عمومًا ، وعائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص لمكانتها العلمية في ديننا الحنيف. فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. تِلكم أم المؤمنين الصديقة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي الشريف وأشدهم حفظاً له. فأما عن حياة أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف الخاصة والعامة. أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف ، ظفرت بألقاب لم تظفر بها غيرها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين منها: 1- عائش: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله: «يا عائش» تحببًا ، وتحسنًا لمكانتها المميزة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي الصحيحين عن عائشة ، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائش! هذا جبريل يُقرئكِ السلام». رواه الشيخان: البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه. 2- حميراء: وكذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى حبيبته عائشة رضي الله عنها بالحميراء ، تحببًا إليها وملاطفة لها ومن ذلك ما رواه عدد من العلماء من رواية أم المؤمنين عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون ، فقال لي: «يا حميراء! أتحبين أن تنظري إليهم» ، فقلت: نعم ، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده" قالت: "ومن قولهم يومئذ أبا القاسم طيبًا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسبك» فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «حسبك» فقلت: "لا تعجل يا رسول الله" قالت: "وما لي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه". * قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حميراء! أتحبين أن تنظُري إليهم؟!» يعني: إلى لعب الحبشة ورقصهم في المسجد. ولفظ: «حميراء»: معناه البيضاء ؛ لأن أم المؤمنين كانت بيضاء رضي الله عنها. والعرب تطلق على الأبيض أحمر لغلبة السمرة على لون العرب ، والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وسئل ثعلب: "لم خص الأحمر دون الأبيض؟ فقال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون

قالوا أحمر" (لسان العرب المحيط؛ لابن منظور، إعداد: يوسف خياط، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب المحيط ، مجلد: [714/1]). 3- ابنة الصديق: كثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديها بابنة الصديق تحببًا وإكرامًا لابنة الصديق لما لها وأبيها من مكانة عظيمة في قلبه وقلب كل مؤمن بالله ورسوله. من ذلك ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "قلت يا رسول الله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}- ؛ هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق: ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ، ويخاف أن لا يُقبل منه». (شرح العقيدة الطحاوية ؛ تخريج الشيخ الألباني ص: [365]). 4- ابنة أبي بكر: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بابنة أبي بكر لبيان عظيم مكانتها ومكانة أبيها أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي ، فأذن لها ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، وأنا ساكتة". قالت: "فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟». فقالت: بلى ، قال: «فأحبي هذه»" ، قالت: "فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرتهن بالذي قالت ، وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلن لها: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا من شيء فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا". قالت عائشة: "فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدّق به ، وتقرّب به إلى الله تعالى ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، تسرع منها الفيئة". قالت: "فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، - ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها ، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة". قالت: "ثم وقعت بي ، فاستطالت علي ، وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها" ، قالت: "فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر" ، قالت: "فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها" ، قالت: "فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسَّم: «إنها ابنة أبي بكر»". (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). 5- المُوَفقة: وأيضًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بالموفقة لتوفيق الله تعالى لها بكل ما تقول أو تفعل رضي الله تعالى عنها. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة» ، فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفقة». (رواه الترمذي في جامعه ، ج: [376/3] ، وقال عنه: "حسن غريب" ، وقد ضعّفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ، برقم: [5801]). 6- أم عبد الله: كنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأم عبد الله. روت عائشة رضي الله عنها قولها لرسول الله صلى الله

عليه وسلم: "أم كل صواحبها لهن كنى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاكتني بابنكِ عبد الله» ، يعني ابن أختها فكانت تُكنَّى بأم عبد الله" (سنن أبي داود، دار الفكر بيروت لبنان، ج: [293/4]). وفي رواية ثانية عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لمّا وُلِدَ عبد الله بن الزبير أتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوه ، وقال: «هو عبد الله وأنتِ أم عبد الله» ، فما زلت أكنى بها وما ولدت قط". (صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، عام 1193م ، ج: [55/16]). 7- أم المؤمنين: بهذا اللقب لقبت عائشة رضي الله عنها كغيرها من أمهات المؤمنين وبيان ذلك قوله سبحانه وتعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}. وهذه الألقاب التي لُقِّبَت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبالتالي فهي تستحق بجدارةٍ أن تعطى لقبًا جديدًا ألا وهو: لقب ملكة العفاف كبرهان محبة مني ، كما هو اعتذار عمَّا لحقها ومن يحبها من أذى لقاء تقوُّلات من أهل الزيغ والضلال. ولادة أم لمؤمنين عائشة ، ونشأتها: وُلِدَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة المكرمة قبل الهجرة بسبع سنين تقريبًا. وقد تربت رضي الله عنها شطرًا في بيت الصديق (تسع سنين) ، وشطرًا آخر في بيت النبوة (تسع سنين أيضًا). زواجها من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: بعد وفاة خديجة رضي الله عنها لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سنتين أو قريبًا من ذلك دون زوجة ، ثم جاءته خولة بنت حكيم رضي الله عنها فعرضت عليه خطبة عائشة بنت أبي بكر الصديق فعقد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة المنورة ، وهي بنت تسع سنين. وقد وصفت أم المؤمنين رضي الله عنها زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "تزوجني الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكتُ فتمرّق شعري ، فوفى جميمة ، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج ، حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين". (صحيح البخاري ، ج: [4/ 251-252]). وقد كانت رضي الله عنها وأرضاها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان عليه والصلاة والسلام يُصرِّح بذلك كما ورد في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث سأله: "أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [113/5]. ومسلم في صحيحه ، ج: [1856/4]). قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: "وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبًا ، وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [1338/3]). فأحب أفضل رجل من أمته ، وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا ألا تراهم يعني الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته (سير أعلام النبلاء للذهبي ؛ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج: [142/2]). - بعض

صور معاملة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لزوجه عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد كانت الصديقة عائشة بنت الصديقة رضي الله عنها ما تزال صغيرة تحتاج ما تحتاج إليه أمثالها من اللعب والصواحب ، فكانت رضوان الله عليها تلعب بألعابها مع صاحباتها في بيت النبوة ، فلم يكن الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم ينفر من هذا أو يتضايق من بل كان عليه والصلاة السلام يُسَرُّ بصاحبات الصديقة لأنهن يلعبن معها. قالت رضي الله عنها وهو يتصف ذلك: "وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَرُّ بهن إليّ" (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). وكان عليه والصلاة والسلام يلاطف زوجته الصغيرة ويلاعبها بما يلائم صغرها وسنها ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب. فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي ، ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان!» ، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه". (رواه أبو داود في سننه ، ج: [4/ 283-284]. والنسائي في سننه ، ج: [75/1]). ومن حسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسترها بردائه حتى تنظر إلى لعب الأحباش لتسليتها ، بل كان عليه الصلاة السلام يقف دون كلل أو ملل ، حتى تمل رضي الله عنها وتنصرف. ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنه: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [159/6] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [609/2]). وقد كانت أم المؤمنين رضي الله عنها من شدة حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورعها لله تعالى إذا كان هناك أي خصومة من الخصومات التي تحصل بين الأزواج لا تهجر إلا اسمه فقط. ويُبيِّن ذلك ما روته الصديقة رضي الله عنها عندما قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "«إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية ، وإذا كنتِ علي غضبى»". قالت: "ومن أين تعرف ذلك؟" ، قال: «أما إذا كنتِ عني راضية فإنكِ تقولين لا وربّ محمد. وإذا كنتِ غضبى ، قلت: لا وربّ إبراهيم»". قالت عائشة: "قلت: أجل والله! يا رسول ما أهجر إلا اسمك". وكانت رضي الله عنها فرحة مرحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وباقي زوجاته الكرام ، ويدل على ذلك ما (رواه الهيثمي وغيره في مجمع الزوائد): "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة - حساء من دقيق ودسم - وقد طبختها له ، فقلت لسودة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها: كُلي – فأبت ، فقلت: لتأكلين أو لألطخنَّ وجهكِ ، فأبت ، فوضعتُ يدي في الحريرة فطليت وجهها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع بيده لها ، قال لها: الطخي وجهها ، ففعلتْ ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم". (مجمع الزوائد للهيثمي ، ج: [315-316]. مسند أبي يعلى ، ج: [449/7]). وقد اشتهرت رضي الله عنها بالحياء والورع الشديدين ، حتى أنها كانت تستحي من عمر رضي الله عنه وهو في قبره ، ولعل خير مثال يبين ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها بقولها: "كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي فأضع ثوبي ، فأقول: إنما هو زوجي وأبي! فلما دُفِنَ عمر معهما ، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر". (مسند الإمام أحمد ، ج: [202/6]. المستدرك على الصحيحين ، ج:

[63/3]). وصور صبر وورع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تنقضي! ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ، قالت: "دخلت امرأة ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته ، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار». (صحيح البخاري ، ج: [2234/5]). روى البخاري أيضًا عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه ، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها ، وعليها درع قطر ، ثمن خمسة دراهم ، فقالت: "ارفعْ بصرك إلى جاريتي انظر إليها ، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت ، وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تُقَيَّنُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ". (صحيح البخاري ، ج: [926/2]). ففي هذا الحديث دليل على تواضع أم المؤمنين رضي الله عنها فهي تلبس ثيابًا تأبى الخدم أن يلبسوه ، وأمرها رضي الله عنها في التواضع والورع مشهور ، وفيه حلم عائشة عن خدمها ورفقتها في المعاتبة ، وإيثارها بما عندها مع الحاجة إليه. وعن عروة بن الزبير قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها ، فغدوت يومًا ، فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمتُ حتى مللتُ القيام ، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي". (صفة الصفوة ، ج: [31/2]). ولا شك أن لأم المؤمنين مكانة عظيمة في حياة الأمة ، لذلك كان لا بد من بيان مكانتها ، أثرها رضوان الله عليها في الحياة الإسلامية. رُب سائل يسأل كيف كان لأم المؤمنين حياة عامة وقد أمرهن الله تعالى مع باقي أمهات المؤمنين أن يقرن في بيوتهن ، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وإذا أرادهن أحد المسلمين بفتوى أو حاجةٍ فيجب أن يسألوهن من وراء حجاب ، وذلك من قوله سبحانه وتعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}. وقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}. وللجواب على هذا التساؤل: أقول بأن الحياة العامة التي كانت أم المؤمنين تتفاعل معها يقصد منها المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي والتفاعل مع أعضائه ضمن الحدود الشرعية. فالصديقة بنت الصديق ولدت في بيت إيماني متميز في حمل هموم الدعوة ، وشاهدت منذ نعومة أظفارها تفاصيل نشوء الدين الإسلامي وتفاعلت معه بكل ما فيه من آلام وآمال. قالت رضي الله عنها: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طرفي النهار: بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاء ، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين". (صحيح البخاري ، ج: [181/1]). وقد كانت أم المؤمنين تشارك في كثير من أحداث الأمة ، وقد بدأتها بالهجرة إلى المدينة المنورة للحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها الصديق رضي الله عنه.

فالصديقة بنت الصديق كانت منذ أن فتحت عينيها مساهمة ومشاركة في خدمة هذا الدين ورسوله وأهله ، لذلك كانت مشاركاتها في كل مناحي الحياة الإسلامية وِفق الضوابط الشرعية ، حتى الغزوات منها ففي غزوة أحد كانت رضي الله عنها تنقل الماء بالقرب ثم تفرغه في أفواه الصحابة المنهكين من القتال والعطش. روى البخاري رحمه الله ؛ عن أنس رضي الله عنه قال: "لمَّا كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب - تنقزان: تسرعان المشي كالهرولة - ، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم". (صحيح البخاري ، ج: [1055/3]). وما كان لهذه الشخصية العظيمة التي تربت في بيت الصديق والنبوية أن تغيب عن مشهد الأحداث ، وخصوصًا إذا كانت تلك الأحداث ، مفصلة في تاريخ وحياة الأمة. كيف لا وهي أم للمؤمنين التي يدفعها إلى ذلك الشعور بالواجب الملقى على عاتقها ، ثم الإحساس بالقدرة على التأثير والتغيير والإصلاح بين أبنائها المؤمنين إذا دعت الحاجة لذلك. ففي فتنة عثمان رضي الله عنه رأت رضي الله عنها بوجوب القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه والإصلاح بين المسلمين. ونتيجة هول ما حصل من أمر معركة الجمل التزمت أم المؤمنين بيتها ولم تعد تشارك في أحداث الأمة بشكل مباشر ، بل عن طريق النصيحة والإرشاد كما فعلت مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ذلك أن معاوية رضي الله عنه طلب منها النصيحة ، فكتبت إليه: "إلى معاوية سلام عليك ، أما بعد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليكم". (صحيح ابن حبان ، ج: [510/1]). وهكذا رأينا أن أم المؤمنين رضي الله عنها لم تدخر وسعًا في مناصرة الحق وبيانه ، والاهتمام بقضايا الأمة ، فكانت تأتيها الوفود من كل بقاع الدولة الإسلامية فتجيبهم عن فتاويهم وأسئلتهم بما علمت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانت تنصح الأمراء والولاة والخلفاء وتذكرهم بأيام الله تعالى ، فهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها. وكانت قد اكتسبت رضي الله عنها علمًا غزيرًا صافيًا من نبع النبوة الذي لا ينضب ، فكانت أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين وأصوله وفروعه والأدب ، ولا يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرًا ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفقه والفرائض ، فتجيبهم. قال عطاء رضي الله عنه: "كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيًا". (المستدرك على الصحيحين ، ج: [15/4]). ولعل أهم الأسباب التي ساعدت أم المؤمنين على اكتساب هذا العلم ما يلي: 1- الذكاء وقوة الحفظ: امتازت أم المؤمنين رضي الله عنها بالذكاء الوقاد وقوة الحفظ والاستذكار مما ساعدتها بفضل الله على حفظ كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقههما. 2- علمها بالعربية وفنونها وأشعارها: وقد كانت رضي الله عنها عالِمة بالعربية وفروعها وأشعار العرب ونوادرهم ، فصيحة اللسان مما ساعدها على فهم القرآن وتفسيره ، وقد تعلمت من والدها الصديق البلاغة والفصاحة ، فقد كان الصديق علامة العرب في ذلك. 3- نشأتها في بيت النبوة: نشأت السيدة عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة فشاهدت أحوال النبي صلى الله عليه وسلم واطلعت على أخباره فتعلمت حكمته وكل شؤونه وخاصة ما يتعلق بأحكام النساء. 4- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليمها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على تعليمها لما لمسه من ذكاء وفطنة ،

فكان عليه الصلاة والسلام يحدثها ويفقهها بالدين. نزول الوحي في فراشها: فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها رضي الله تعالى عنها" (تفسير ابن كثير، ج: [487/3]). وقد أخذ عنها كثير من الصحابة ، والتابعين وخلق كثير ، ورُوِي عنها [2210] حديثاً ، ولها آراء فقهية كثيرة ، واجتهادات عديدة ، وتخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عدد كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندنا منه عِلمًا". (رواه الترمذي في سننه ، ج: [705/5]). وكان لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تلاميذ كثر من التابعين الذي أخذوا العلم عنها ونشروه في الأمصار الإسلامية ، فصاروا أئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل ومن أشهر هؤلاء رضي الله عنهم عروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، ومسروق بن الأجدع ، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ـ عليهم رحمة الله تعالى أجمعين ـ. وكان هؤلاء التلاميذ النجباء يتلقون العلم في غرفة قصية البناء ، مبنية من جريد عليه طين من حجارة مرضونة وسقفها من جريد ، وكانت رضي الله عنها تضع حجابًا بينها وبين طلاب علمها النبوي الشريف. وكانت الصديقة رضي الله عنها ذات منهج علمي مميز ، ولعل أبرزه ما فيه ما يلي:

1- توثيق المسائل: كانت رضي الله عنها إذ تحرص على تتبع توثيق المسائل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. عن يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، أنها أخبرته أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: من أهدى هديًا حرم عليه ما يحرم على الحاج ، حتى ينحر الهدي وقد بعثت بهديي فاكتبي إليّ بأمرك ، قالت عمرة: فقالت عائشة رضي الله عنها: ليس كما قال ابن عباس: "أنا فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، ثم قلدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أحله الله له حتى نحر الهدي". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [564/2] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [895/2]). 2- الورع عن الكلام بغير علم: كانت رضي الله عنها تتورع عن الكلام بغير علم ، ومن مثل هذا ما قال شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين ، فقالت: "عليك بابن أبي طالب فسله ، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". فسألناه فقال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم". (أخرجه مسلم، ج: [232/1]). 3- الجمع بين الأدلة وفهم مقاصد الشريعة: كانت رضي الله عنها تعتمد على الجمع بين الأدلة وفهم الشريعة وعلوم العربية. ومن ذلك ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها قال: "قلت أرأيت قول الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}. قال: "قلت فوالله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي! إنها لو كانت على ما أوَّلتَها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لِمَنَاةَ الطاغية التي كانوا يعبدون عند المُشَلَل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} ، قالت عائشة: "ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما

، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما". (أخرجه مسلم في صحيحه: [929/2]). 4- معرفتها بأدب الحوار: كانت رضوان الله عليها على معرفة عميقة وتامة بآداب الحوار وكل ما يلزم ذلك. كيف لا وهي التي تربّت وتعلّمت في بيت النبوة. عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: "كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن ، قال فقلت: يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال: نعم. فقلت: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟! قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب. فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب ، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لَمَعَهُ. قال وابن عمر يسمع فما قال: لا ولا نعم ، سكت". (أخرجه مسلم في صحيحه ، ج: [916/2]). 5- الدقة في نقل الموروث النبوي: وكانت أم المؤمنين رضي الله عنها دقيقة جدًا في نقل الموروث النبوي أمانة في النقل ، وورعًا وخوفًا من الله سبحانه وتعالى ، عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته أنها سمعت عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذَّب ببكاء الحي. فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ! إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها ، فقال: «إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذَّب في قبرها». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [433/1]، ومسلم في صحيحه ، ج: [643/2]). 6- اختبار المحدِّث: وكانت عائشة رضي الله عنها إذا لم تكن تعرف الحديث اختبرت قائله ، فإن ضبطه قبلته ، وهذا الأسلوب اتبعه نقاد الحديث فيما بعد في نقد نقل الرجال. عن عروة بن الزبير قال: "قالت لي عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحج فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا! قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا ولكن يقبض العلماء ، فيرفع العلم معهم ، ويبقى في الناس رؤوسًا جهالًا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون»". قال عروة: "فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟! قال عروة حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم قال فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك ، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص". 7- عدم الإسراع في الكلام والتأني في سرد الأحاديث: اتبعت أم المؤمنين رضي الله عنها أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التحدث والتعليم ، فكانت رضي الله عنها تتكلم بتأنٍ دون كلل ولا تكثر في الكلام والتحدُّث. عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له: "ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي يُحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعني ذلك وكنت أُسبِّح ، فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم". (أخرجه مسلم في صحيحه. وقال الإمام النووي: قولها: "لم يكن يسرد الحديث كسردكم" ؛ أي يكثره ويستعجل فيه. شرح النووي ، ج: [54/16]). لقد كانت الصديقة بنت الصديق ملكة العفاف بحرًا زاخرًا في الدين ، وخزانة حكمة وتشريع ، ومدرسة قائمة بذاتها ، ونابغة في الذكاء والفصاحة والبلاغة فكانت رضوان الله عليها عاملًا كبيرًا ذا تأثير عميق في نشر العلم النبوي الشريف. وأخيراً وليس آخِرا توفيت رضي الله عنها في خلافة معاوية رضي الله عنه ليلة الثلاثاء ، السابع عشر من رمضان ، سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، وهي ابنة ثلاثٍ وستين سنة ، بعد مرض ألم بها

حتى أنها شعرت بأنه مرض الموت ، ولهذا أوصت: "أن لا تتبعوا سريري بنار ، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء ، وأن لا يُصلِّي علي إلا أبو هريرة". (الطبقات ؛ لابن سعد ، ج: [76/8]). ودُفِنت عليها رحمة الله بالبقيع من ليلتها بعد صلاة الوتر. (البداية والنهاية ، ج: [94/8]) ، بحسب وصيتها لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، حيث قالت له: "ادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكي به أبدًا". (رواه البخاري ، في صحيحه ، ج: [255/3]).هـ. قال الدكتور الشاعر عائض القرني في مستهل قصيدته عن عائشة – رضي الله عنها -:

يـــا أمنـــا أنـــتِ أنـــتِ ذروة الكـــرمِ وأنـــتِ أوفـــى نســـاء العُـــرب والعجـــمِ

يـا زوجـة المصـطفى يـا خيـر مـن حملـتْ نـــورَ النبـــوة والتوحيـــد مـــن قِـــدم

إلى أن قال في ختام قصيدته مُودعاً أم المؤمنين ومسَلماً عليها:-

عليـــكِ منـــا ســـلامُ الله نرفعـــهُ بنفحـــة المســـك بـــين الســـدر والســـلم

لا بـــارك الله فـــي الـــدنيا إذا وهنـــتْ منـــا العـــزائمُ ، أو لـــم نـــوفِ للقِمـــم

فـالموتُ أشـرف مـن عـيش بـلا شـرف والقبـــر أكـــرم مـــن قصـــر بـــلا كـــرم

ولستُ أدّعي لنفسي أنني بلغتُ بقصيدتي مقامَ الشاعر الدكتور القرني! ففرقٌ كبير بين متمكن في الشعر متمرس فيه مثل الدكتور عائض ، وبين متطفل على الشعر متلعثم فيه مثلي! ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً! فالمعروف والمشاهد والملموس أن الدكتور القرني قامة في الشعر والأدب والعلم منذ كنتُ أنا في الصف الأول الثانوي! فأين من أين؟! وعلى هذا فيُصبح هو من أساتذتي الأعلام! ولا أزكيه على الله تعالى! وأعتذر ابتداءً عن أي تقصير أو خلل في قصيدتي هذي! وليكن معلوماً أن زللاً وقع أو خطأ سقط فهما من الغفلة التي تنتاب كل كاتب وشاعر! هذا وأعذر إلى الله تعالى إن كنتُ قد قصرتُ في حق أمي وأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر ، الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما وأرضاهما -! كما وأعتذر اعتذاراً كبيراً جداً عن طول المقدمة التي وددتُ لو طالت أكثر لأقدم عائشة لمن يجهلها! وأعتقد أنني ربما كررتُ بعض المعلومات عنها: ففي مقام أختصر ، وفي مقام آخر أسهب! وفي مقام أذكر المصدر ، وفي مقام آخر لا أذكره! وكم كانت حيرة كبيرة ، وأنا أحاول أن أكتب عن أمي وأم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -! حيث وجدتني أمام كم كبير هائل من المعلومات والأخبار والتراجم ، وأغلبها صادقٌ محققٌ مدققٌ صحيحٌ أو حسن! وأحسبني دخلتُ مغارة علي بابا فوقعتُ على العقيق والزمرد والزبرجد والماس والفضة والياقوت! فاحترتُ ما هل عساي أن أحمل من هذه المجوهرات! وبالطبع نتحفظ على هذا الكلام والتشبيه بمغارة علي بابا! فأخبار عائشة تختلف عن مجوهرات الناس المسروقة الموضوعة في مغارة علي بابا! بينما أخبار عائشة كما أسلفت محض صدق وليست مزورة أو مسروقة! بل أوردها علماء أجلاء نذروا حياتهم لبيان الحق ونشر العلم الصحيح ، وكانوا قد تناولوا فيما تناولوا أخبارها بشيء كبير من التحقق والتثبت! والآن لنطاله ماذا فتح الله علينا به في الحديث عن وإلى أمنا وأم المنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -. وكنتُ قد أسميتها: (بُردة عائشة) ليكون لها من الشأن في حياتي أو بعد موتي ما كان - للبردة الزهيرية

(لكعب بن زهير) والبوصيرية (للبوصيري) والشوقية (لأمير الشعراء أحمد شوقي بك) والبارودية (لمحمود سامي البارودي) والباكثيرية (لعلي أحمد باكثير) والمطرية (لعلي محمود مطر) والقرنية (للدكتور الشاعر والشاعر الدكتور عائض بن عبد الله القرني! – من شأن! وكنتُ قد جعلتها مائة وأحد عشر بيتاً ، وودتُ الإطالة! ولكن والله العظيم هذا ما فتح الله تعالى عليّ به ليس إلا!)

الشـــعرُ يـــا أم فـــي حُبـــوره الـــتمِ ... يُرَجّـــعُ الســـيرة العصـــماءَ بـــالنغمِ

والـــوزنُ ينتخـــب التفعيـــلَ مؤتلقـــاً ... وللقـــوافي أهـــازيجٌ مـــن الـــرنم

وفـــي سَـــريّ المعـــاني رونـــقٌ عطِـــرٌ ... وفـــي التراكيـــب زخـــاتٌ مـــن الـــديم

وللتعـــابير ألفـــاظ تُجَملهـــا ... وللتصـــاوير ســـمتٌ جـــد مُعـــتلم

وللبـــديع مَقـــامٌ فـــي قصـــيدتنا ... فالســـجعُ أشـــهرُ مـــن نـــار علـــى علـــم

وللبيـــان أفـــانينٌ مُزركشـــة ... فالاســـتعارة والمَجـــاز كـــاليُتُم

وللبلاغـــة فحواهـــا وبَصْـــمتها ... حتـــى يكـــونَ قصـــيداً بـــالغ العِظـــم

وللفصـــاحة دَورٌ ســـوف نلمسُـــه ... فـــي الـــنص تُدركُـــه بصـــيرة الفهـــم

لأننـــا ســـوف نُطـــري الأم (عائشـــة)! ... مَـــن يتبـــعْ هـــديها يَرشُـــدْ ويَســـتقم

بعـــد (الخديجـــة) هـــذي لا تُضـــارعُها ... بـــين النســـا حُرمـــة فـــي العُـــرب والعجـــم

مكيـــة مـــا رأتْ عـــينٌ مثيلتهـــا ... وهـــل فريـــدٌ لـــه فـــي العـــالمين ســـمي؟!

تيميـــة مـــن قـــريش طـــاب سُـــؤدَدُها ... وأصـــلها فـــي البرايـــا غيـــرُ منـــبهم

وأم مـــن آمنـــوا بـــالله واتبعـــوا ... هـــديَ البشـــير النـــذير المصـــطفى الهشِـــم

ولـــيس فـــي الفقـــه مـــن فضـــلى تُعادلهـــا ... فتلـــك فـــي الفقـــه حـــازتْ ذِرْوة القِمـــم

ولـــيس فـــي ديننـــا امـــرأة تُناظرهـــا ... ومَـــن تُنـــاظِرْ تبُـــؤْ بـــالمَرتع الـــوَخِم

ولـــيس بـــين النســـا مَـــن حَـــاز مَحْتـــدَها ... أبـــاً وأمـــاً وقومـــاً ، أو ذوي رحـــم!

فمـــن يُبـــاري أبـــا بكـــر وعِتْرتـــه ... فـــي سِـــيرةٍ فـــي الـــورى جلـــتْ عـــن الـــتهم

كـــان الرفيـــقَ ، ولـــم يبخـــلْ بثروتـــه ... وثـــانيَ اثنـــين فـــي البلـــواء والقحَـــم

وأم رومـــــــان والإســـــــلامُ يرفعُهـــــا ... هـــل رِفعـــة فـــي الـــدنا كرفعـــة الســـلم؟!

وعـــائشُ الخيـــر تحيـــا فـــي بُلهنيـــة ... فـــالعيشُ سَـــعدٌ إذا لـــم يُبْـــلَ بالسَـــدَم

كـــان النبـــي رآهـــا فـــي الحَريـــر أتـــتْ ... كالشـــمس إن أشـــرقتْ بنورهـــا الـــتمم!

وقـــال جبريـــلُ هـــذي زوجـــة ، فـــإذا ... بالمصـــطفى فرحـــاً يقـــول فـــي نهـــم

إن كـــان ذلـــك فـــالرحمن مُنجـــزه ... والحمـــدُ والشـــكرُ للمُهـــيمن الحَكَـــم

وهْـــي ابنـــة التســـع إذ دخـــل النبـــي بهـــا ... أحلـــى بنـــاءٍ بشـــرع الله مُتســـم

بنـــى النبـــي بهـــا قبيـــلَ هجرتهـــا ... فـــي مكـــةٍ قضـــيا عـــامين فـــي إزم

وهـــاجرتْ فـــي ســـبيل الله عائشـــة ... مـــعْ والـــديها ، فقـــد غـــالى ذوو الغشـــم

إذ أصـــبحتْ مكـــة للكفـــر مُنتجعـــاً ... والكفـــرُ أس الـــبلا والمرتـــع الـــوخم

دعـــا النبـــي لهـــا دومـــاً بمغفـــرةٍ ... فعاشـــتِ الـــدهرَ فـــي عـــز وفـــي شـــمم

أحبهـــا الحـــبَ لا ألفـــاظ تنعتُـــه ... والحـــبُ مـــن أشـــرف العـــاداتِ والسِـــيَم

ولـــم يُحِـــبَ ســـواها مثلهـــا أبـــداً ... مِـــن بـــين أزواجـــه العقائـــل العُصُـــم

علـــى النســـا فضـــلها يزيـــدُ مرحلـــة ... مثـــل الثريـــد عـــلا عـــن ســـائر الطعُـــم

هـــل بعـــد ذلـــك تشـــبيهٌ لـــذي نظـــر؟ ... أو بعـــد ذلـــك توضـــيحٌ لـــذي فهُـــم؟

وكـــان جبريـــلُ بالســـلام يُتحفهـــا ... فـــي بيتهـــا ، أو علـــى درب لـــدى إضِـــم

كانـــت تصـــومُ مـــن الأيـــام أغلبهـــا ... بـــلا انقطـــاع ولا كَـــلٍ ولا مَلـــل

وقيـــلَ كانـــت تصـــومُ الـــدهرَ عـــن رغـــب ... أكـــرمْ بصـــوم مـــدى الأيـــام مُنـــتظم

لـــم تُغرهـــا مُتـــعُ الـــدنيا صـــباحَ مســـا ... كانـــت تـــرى حُســـنها سَـــيلاً مِـــن العَـــرِم

عُقودهـــا الســـت عاشـــت خيـــرَ زاهـــدةٍ ... والزهـــدُ مـــن أنبـــل الخِـــلال والقِـــيم

قيامُهـــا الليـــل أضـــناها وأضـــعفها ... لـــولا الإرادة والتصـــميمُ لـــم تقـــم

كـــذلك الصـــومُ صـــومُ الـــدهر أنهكهـــا ... لـــولا عبـــادة رب النـــاس لـــم تصـــم

ويـــوم أجـــزلَ فـــي العطـــا مُعاويـــة ... أبـــو يزيـــدٍ عظـــيمُ الجُـــود والكَـــرم

فـــي ألـــف مائـــةٍ لهـــا سِـــيقتْ لتنفقهـــا ... فأنفقتْهـــا علـــى الأمـــات والحَشَـــم

نِعـــمَ القـــلادة طالـــت كـــل ذي عَـــوَز ... وفرّجـــتْ كُرَبـــاً أودتْ بـــذي قحَـــم

وقســـمتْ ألـــف ســـبعين تريـــدُ بهـــا ... وجـــه المليـــك لمحـــو الـــذنب واللمـــم

وترقـــعُ الثـــوبَ والأمـــوالُ فـــي يـــدها ... تقـــولُ للـــنفس: ذوقـــي الفقـــرَ عـــن رغـــم!

وتخصِـــفُ النعـــلَ ، هـــذا مـــا بـــهِ عُرفـــتْ ... فـــالأمرُ لـــيس عـــن الـــدنيا بمُنكـــتم

ألفـــي حـــديثٍ روتْ ، مـــا كـــان أحفظهـــا ... لصـــادق الفعـــل والأعمـــال والكلـــم

وطببـــتْ مـــن وِجـــاع لا عـــلاجَ لهـــا ... بالشـــيح والزعتـــر البـــري والعَـــنَم

مـــن الوفـــود أتـــت بيـــت النبـــي وَعَـــت ... طبـــاً يُزيـــل أذى الأســـقام والـــورم

وفـــي القـــريض لهـــا بـــاعٌ ومدرســـة ... منهـــا تعلـــمَ مـــن يَخـــط بـــالقلم

والشـــعرُ يفخـــرُ إذ تُلقيـــه (عائشـــة) ... أبياتـــه مثـــل عقـــدٍ غيـــر منفصـــم

وفـــي الخطابـــة قـــل: ســـحبانُ يغبطهـــا ... علـــى الحـــديث بلفـــظٍ غيـــرِ مُـــنعجم

فصـــيحة قولهـــا لـــه إبانتـــه ... يُشِـــعُ نـــوراً كمثـــل البـــدر والـــنجُم

كانـــت تصـــوّبُ للشُـــعرا قصـــائدَهم ... بمَنطـــق طيّـــب الألفـــاظ مُحتـــرم

وجاءهـــا الابـــتلا ، فاستســـلمتْ وَبكـــتْ ... حتـــى أصـــيبتْ مـــن الـــبلاء بالســـقم

والعـــينُ مـــن كثـــرة الـــبلاء قـــد ذبلـــتْ ... وَيـــحَ الـــدموع غـــدتْ كالوَبْـــل والـــدِيَم!

واحلولـــك الجـــوُ فـــي سِـــلم وفـــي حَضَـــر ... والإفـــكُ خـــالجَ عِـــرضَ المصـــطفى الهشـــم

وللمدينـــــة إرعـــــادٌ بشـــــائعةٍ ... تـــؤذي النبـــي ســـرتْ فـــي البيـــت والحـــرم

والنـــاسُ حِزبـــان: مـــوزونٌ يُبرئهـــا ... مـــا غـــره خـــائنو العهـــود والـــذمم

وآخـــرٌ دون برهـــان يُجَرّمُهـــا ... إذ غالـــه قـــولُ أفـــاكٍ ومُجتـــرم

أمـــا النبـــي فمـــا أتـــى لـــه خبـــرٌ ... يُنبيـــهِ بالفصـــل يُـــردي كـــل مُختصـــم

والكـــل مُنتظـــرٌ قـــرآنَ خالقـــه ... كـــي يُطفـــئ الـــوحيُ مـــا قـــد شَـــبّ مِـــن ضَـــرم

وعـــائشُ الخيـــر تـــدعو الله ضـــارعة ... فـــي حالـــةٍ صُـــبغتْ بـــالبؤس والوصـــم

لكـــنْ لهـــا أمـــلٌ فـــي الله مبتشـــرٌ ... ولـــم يَـــزُرْ قلبَهـــا شـــيءٌ مِـــن الســـأم

علـــى يقـــين بـــأن الله ناصـــرُها ... مَـــن يُحســـنِ الظـــن بـــالرحمن يغتـــنم

تـــدعو وتأمـــل أن يُزيـــل كُربتهـــا ... مُفـــرّجُ الكُـــرَب القعســـاءِ والـــنقم

وللرجـــاء نصـــيبٌ فـــي تبتلهـــا ... مـــن قـــرب نصـــر مليـــك النـــاس ذي الـــنعم

فـــي كـــل يـــوم دعـــاءٌ دمعُـــه حَـــدِرٌ ... وبـــالفؤاد يقـــينٌ زيـــنَ بالعشـــم

قـــال النبـــي لهـــا: إمـــا برئـــتِ فـــإن الله مُظهرُهـــا ... بـــالنص يُتلـــى مَـــدى الإصـــباح والغســـم

أو جئـــتِ معصـــية دعـــوتُ مُبـــتهلاً ... مُســـتغفراً خـــالقَ الأكـــوان والنســـم

قالـــت: أجـــب يـــا أبـــي عنـــي بـــلا تِـــرةٍ ... فلـــم يُجبْهـــا لِمَـــا عـــانى مـــن الألـــم

وأم رومـــــان لـــــم تـــــدفعْ مُبررَهـــــا ... أضـــحى اللســـانُ يُقاســـي وطـــأة الـــبكم؟

أمـــا ســـمعتِ أيـــا أمـــي بمظلمتـــي ... هـــل ســـمعُكِ الآن يشـــكو شـــدة الصـــمم؟

وعـــائشُ الطهـــر قالتْهـــا مُدويـــة ... فـــي موقـــفٍ بـــالغ الإيـــلام مُحتـــدم

إن قلـــتُ أذنبـــتُ جـــاء الـــوحي كـــذبني ... بـــرغم صـــدق بـــأمر الله ملتـــزم

أو قلـــتُ جئـــتُ أيـــا أقـــوامُ معصـــية ... كـــذبتموني ، وجرحـــي غيـــرُ ملتـــئم

أقـــول مـــا قـــال (يعقـــوبٌ) بمحنتـــه ... بلفـــظ مصـــطبر ومنطـــق شـــبم

صـــبرٌ جميـــلٌ ، وربـــي أســـتعينُ بـــه ... علـــى الـــبلاء أصـــاب القلـــبَ بـــالغمم

حتـــى إذا بلـــغ الـــبلاءُ ذِروتـــه ... والفتنـــة اشـــتعلتْ بســـاعر الأيُـــم

جـــاء الأمـــينُ بقـــرآن يُبرئنـــي ... ومَـــن تـــلاهُ بـــدرك الحـــق يَعتصـــم

يُبـــين الحـــق بـــين النـــاس قاطبـــة ... ومَـــن يبـــينْ مُـــرادَ الله يُحتـــرم

والله بـــرّأ فـــي القـــرآن (عائشـــة) ... يـــا جوقـــة الإفـــك مـــن كهـــل ومُحـــتلم

ســـليلة الطهـــر مـــا جـــاءتْ بمعصـــية ... بـــل اســـتقامت علـــى منهاجهـــا اللقـــم

قيـــلَ اشـــكري لرســـول الله تبرئـــة ... جاءتـــكِ مـــن خـــالق الإنســـان مـــن عـــدم

قالـــت: ســـأحمد ربـــي دائمـــاً أبـــداً ... فالحمـــدُ لله ربـــي الواحـــد الحكـــم

والـــوحي ينـــزل فـــي لحـــاف (عائشـــة) ... ويغمـــرُ البيـــت بالآيـــات والـــرُحُم

وتســـألين نبـــيَ الله أســـئلة ... تـــنمُ عـــن فهمـــكِ العميـــق للسَـــلَم

والعلـــمُ بـــين ســـؤال والجـــواب لـــه ... فحُـــزتِ بـــالعلم آمـــاداً مـــن الفهُـــم

ونـــال منـــكِ أنـــاسٌ لا خـــلاق لهـــم ... أجـــدادهم عمـــدوا يومـــاً لســـفك دم

والله عـــاقبهم بخيبـــة جثمـــتْ ... إن الهزيمـــة عقبـــى الظـــالم الغلـــم

ويَشـــرقون بحقـــد فـــي القلـــوب بـــدا ... علـــى الوجـــوه بهـــالاتٍ مـــن الأضـــم

والله حـــارقُ أكبـــادَ الألـــى ظلمـــوا ... ومـــن يُشـــاققْ مليـــكَ النـــاس ينهـــزم

وعـــائشُ الخيـــر فـــي الخيـــار قـــد نجحـــتْ ... وأشْـــهرَ الأمـــرُ فـــي الخصـــوص والعَمَـــم

اختـــرتِ ربـــك والأخـــرى وأحمـــدَنا ... نعـــم الخيـــارُ عـــلا بـــالمَطمح الســـنم

لـــذا وُعِـــدتِ عظـــيمَ الأجـــر يســـبقه ... رضـــا مليـــك الـــورى المهـــيمن الحكـــم

وكـــم سُـــئلتِ عـــن الإســـلام أســـئلة ... يضـــيقُ صـــدراً بهـــا جـــداً ذوو العِمَـــم!

وكـــم وَأدتِ بـــدنيا النـــاس مـــن بـــدع ... فـــي الشـــرع نـــافحَ عنهـــا عابـــدو الصـــنم!

وكـــم تفـــردتِ بالأحكـــام يجهلهـــا ... ذوو البصـــائر والعلـــوم والقـــيم!

وكـــم تعلـــم منـــكِ العلـــمَ جاهلـــه ... حتـــى غـــدا داعيـــاً لله ذا حِكَـــم!

ونلـــتِ مَكرُمـــة الجهـــاد فـــي (أحـــدٍ) ... تســـقين مـــن عطشـــوا فـــي ســـاحة الجَحَـــم

وتحملـــين جـــرارَ المـــاء مـــا حملـــت ... أشـــباهَهن ظهـــورُ الأينُـــق الرُسُـــم!

وكـــم نصـــحتِ ولاة الأمـــر فـــي أدب ... فـــي أضـــنكِ الحـــال والمشـــاكل الـــدُهُم

نِعـــمَ النصـــيحة إن كانـــت مُهذبـــة ... وأنـــت مَدرســـة فـــي العلـــم والقِـــيم!

بوركـــتِ يـــا أم فـــي دنيـــا وآخـــرةٍ ... وبُردتـــي ذيلـــتْ بخيـــر مُختـــتم

أبـــي وأمـــي فـــدا العصـــماء (عائشـــةٍ) ... مـــا أومـــضَ الـــنجمُ فـــي محلولـــك الظلـــم!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

حُبوره: سُروره وفرحته. التمم: الكامل التام. يُرَجع: يُرَدد بالتنغيم. السيرة العصماء: التي عصمها الله من الكذب والتدليس والتلفيق والعش ، ورغمت أنوف الحاقدين والجاهلين. ينتخب: يختار. التفعيل: تفعيلة الشعر. مؤتلقاً: أي لامعاً وناصعاً. أهازيج: جمع أهزوجة وهي الكلمات المنغمة الممتعة السماع. الرنم: أي النغم والترنيم. رونق: جمالٌ وعذوبة. زخات من الدِيَم: دفعات من المطر. سمت: طبيعة. معتلم: معلوم ومحدد السمات والمعالم. البديع: علم البديع. البيان: علم البيان. السجع: تناغمُ الكلمات عندما تتشابه نهاياتها. مُزركشة: مُزخرفة. اليُتُم: قطع الذهب الخالص. الفصاحة: القدرة على الحديث بلغةٍ ساميةٍ خاليةٍ من اللعثمة والركاكة. الفهِم: الإنسان المتبصر سريع الفهم والبديهة. نطري: نمدح المدح المعقول الذي ليس فيه مغالاة. الخديجة: المقصود أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها -. وأثبتنا لها مكانها من أن عائشة تأتي بعدها في المكانة وصاحب هذا الرأي هو النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه! لا تضارعُها: لا تشبهها. حُرمة: امرأة. مكية: من مكة. سمي: نظير أو مثيل أو شبيه. تيمية: من قبيلة تيم. سؤدَدُها: شرفها وأصلها. البرايا: الخلائق. منبهم: مبهم غير معروف. المصطفى الهشِم: من بني هاشم. ذروة: قمة. محتد: أصل. عترته: أهل بيته. الورى: الخلق. جلتْ: نزهتْ. البلواء: المصيبة القاصمة. القحَم: المصائب العاتية. أم رومان: هي زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة – رضي الله تعالى عن الجميع -. الدنا: الدنيا. السلَم: الإسلام. غالى: بالغ. ذوو الغشم: أهل البطش والظلم. منتجعاً: مأوى. أس: أي أساس. بنى: عرّس وتزوج. إزم: جمع أزمة وهي الداهية الفظيعة. في نهم: في شوق وحب شديدين. المهيمن الحكم: من أسماء الله تعالى الحسنى. بناء: زواج. متسم: متصف. شمم: علو منزلة. تنعته: تصفه. السيم: الصفات. العقائل: جمع عقيلة وهي المرأة العفيفة الأصيلة ذات الأصل والحسب والنسب. العُصم: الشريفات العفيفات. سائر الطعُم: أي باقي المطعومات. فهُم: جمع فهْم أي فهوم. إضم: وادي يجتمع يه الماء لأنه واقع بين جبلين. تصوم الدهر: أي تصوم

يوماً وتفطر يوماً. سيل العرم: هو السيل الشديد الذي يعقبه الخراب والدمار. عقودها الست: أي ستين سنة وزادت ثلاثاً ، لأنها ماتت في ذات عمر النبي – صلى اله عليه وسلم ـ عن ثلاثٍ وستين سنة. الخِلال: الصفات الكريمة. أضناها: أتعبها. لم تقم: أي لم تقم الليل. أجزل في العطاء: ضاعفه. معاوية: هو الصحابي الجليل وكاتب وحي رسول الله معاوية بن أبي سفيان بن حرب – رضي الله عنهما. الأمّات: جمع أم مثل أمهات ، وهو جمع صحيح لغة ، لكن لم يستخدمه كثير من الشعراء والكتاب والأدباء في أعمالهم. الحشم: حشَم الرجل هم عياله وأهل بيته. قحَم: مصائب عاتية شديدة. اللمم: صغائر الذنوب. عن رغم: أي رغماً عنك. وجاع: جمع وجيعة وهي المرض. الشيح والزعفران والعَنم: كلها نباتات عشبية علاجية استخدمت أيام عائشة وإلى اليوم. الأسقام: الأمراض. القريض: الشعر. باع: نصيب. منفصم: مقطوع. سحبان: هو سحبان وائل من أفصح العرب في الخطابة. يغبطها: يحسدها بغير تمني زوال نعمتها وهذ الفرق بينه وبين الحسد. منعجم: لا يُرف. النجُم: النجوم. تصوب: تصحح الأخطاء. الابتلاء: الإفك واتهامها في عرضها – رضي الله عنها – وحاشاها. الوبْل: المطر. احلولك الجو: اسوَدّ واكفهر. خالج: خالط. إرعاد: ضجة وجلبة وضجيج. أفاك: كذاب متخرص. ينبيه: يخبره. ضرم: نار مضرمة. الوصم: الحزن. الكُرَب القعساء: المصائب الشديدة. الغسم: الليل حالك السواد. النسَم: الناس. محتدم: مشتعل. شبم: بارد هادئ. الأيُم: دخان النار. بدرْك الحق: بإدراكه. اللقم: المستقيم. الرُحُم: الرحمات. الظالم الغلم: الغشيم. السخم: السواد. الخِيار: آية الخِيار في سورة الأحزاب. السنم: الرفيع القدر. ذوو العِمم: كناية عن أهل العلم. أومض النجم: أضاء. محلولك الظلم: أي الظلمات الشديدة السواد.

من أجلك يا رسول الله!

(كتب صديقٌ شاعرٌ قصيدة أهداها للنبي – صلى الله عليه وسلم – وكانت نونية من الكامل. وندبني إلى مطالعتها ومراجعتها معه ، وهنا في الشارقة وتحديداً في مطعم (حاتم الطائي) كان قد قرأها عليّ قراءة نقدية متأنية فألفيتها قصيدة جميلة ، تستحق القراءة أكثر من مَرة ، وخاصة إن علمنا أن الأستاذ قد ربطها بواقع المسلمين المُعاش ، فقارنَ بذلك بين عهد الرسالة الأول ، مروراً بعصور الراشدين الموحّدين الفاتحين ، ومتناولاً عصورَ الضعف ، ثم تناول عصرنا بشيء من التفصيل ، فإذا بالقصيدة المُهداة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – تتناول فيما تتناول التاريخ وأحداثه وتشخص الأحوال وتصف الوقائع. فقلتُ في نفسي: إن باب المُعارضة الشعرية لم يغلق ، فلماذا لا أعارضُ الأستاذ بنونية أخرى من الكامل حُباً في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي التوّ أمسكتُ بقلمي بعد عودتي إلى بيتي ، وكانت هذه القصيدة التي عنونت لها بـ (من أجلك يا رسول الله)! وكنت قد غضضتُ الطرف عن الواقع المعاصر ، وضربتُ الذكر صفحاً عن الأحداث المواتية لزمن تأليف القصيدة ، إنما تمّ التركيز على زمن الرسالة وما قبلها حتى يتحقق مبدأ: (وبضدها تتميز الأشياء) ، حيث إنني حقيقة أولى برسول الله – صلى الله عليه وسلم – منه! وإن الشعر والشاعر ليشرُفان برسول الله أكثر من أي أحد. ورحتُ أنشدُ معارضاً فقلت من شعري:)

يـــا مُنـــذِراً بهُـــداه أشْـــرقتِ الـــدُنا ... وغـــدتْ رســـالتُك المُعطـــرة الســـنا

إذ جئـــتَ بـــالنور المُبـــين مُبشّـــراً ... فـــأزاحَ هـــذا النـــورُ غائلـــة الفنـــا

وأضِـــيئتِ الـــدنيا بمـــا أهـــديتها ... وجلبـــتَ – للنـــاس - المَكـــارمَ والهنـــا

وأتيـــت – بالبُشـــرى - لقـــوم آمنـــوا ... ووعـــدتَهم جنـــاتِ عَـــدْن مَوطنـــا

أخرجـــت دنيـــا النـــاس مِـــن ظلماتهـــا ... وأقمـــت صـــرحَ الحـــق مَرفـــوعَ البنـــا

ودعـــــوت لله الجميـــــعَ مُـــــؤمّلاً ... أن يَظهـــرَ الإســـلامُ ثـــم يُهيمنـــا

أنقـــذت أهـــلَ الأرض مِـــن ضـــنكِ الشـــقا ... والسِـــلمُ حَـــلّ ، وتَـــوّجَ الأمـــنُ الـــدُنا

أرسِـــلت مِـــن قِبَـــل المُهـــيمن رحمـــة ... للعـــالمين ، وتلـــك غايـــاتُ المُنـــى

والنـــاسُ تخـــبط فـــي الجهالـــة والهـــوى ... وتلُـــوكُ إعراضـــاً مُبيـــراً أرعنـــا

فجمـــيعُهم عكفـــوا علـــى أصـــنامهم ... والـــبعضُ مـــن هـــذي الطواغيـــت اقتنـــى

وحيـــاتهم بالمُوبقـــات تضـــمّخت ... وفشـــا الـــتفحشُ والدياثـــة والزنـــا

والكـــــل جـــــاهرَ بالكبـــــائر قانعـــــاً ... والقتـــلُ أضـــحى - فـــي القبائـــل - هينـــا

وكفـــــى بـــــوأد بنـــــاتِهم وَحشـــــية ... وأسَـــــرَّ بعضُـــــهمُ ، وبعـــــضٌ أعلنـــــا

وحـــــروبُهم نشـــــبتْ لأتفـــــهِ عِلـــــةٍ ... وسَـــل المُـــؤرّخ كـــي تـــرى مـــا دوّنـــا

وأســـألْ عـــن الثـــارات جَنـــدلتِ الـــورى ... والجيـــلُ قـــد عشِـــقَ القتـــالَ ، وأدمنـــا

وأســـألْ عـــن النكبـــاتِ جـــاء بهـــا الربـــا ... فقبيلـــة سُـــحِقتْ ، وراعيهـــا اغتنـــى

واســـألْ عـــن الغـــارات قـــامَ بهـــا الغثـــا ... وتأصّـــلتْ فـــيهم ، وباتـــت دَيـــدَنا

واحتـــلَ أرضَـــهمُ البُغـــاةُ تجَبّـــرا ... واســـتمرأ الكـــلُ الإهانـــة أزمُنـــا

للـــروم بعـــضُ الأرض: هـــذا شـــرطهم ... حتـــى تطِيـــبَ لقاطنيهـــا مَســـكنا

والفـــرسُ حـــازت مـــا تريـــدُ تحـــايُلاً ... وغـــدت - لهـــم - بعـــضُ الممالـــك مَوطنـــا

حتـــى أتـــى بـــالحق (أحمـــدُ) هاديـــاً ... وبـــلالُ نـــادى بالصـــلاة ، وأذّنـــا

فـــإذا الجزيـــزة تســـتعيدُ حياتهـــا ... واللهُ - للتوحيـــد - فيهـــا مَكّنـــا

وتحطمـــتْ أصـــنامُها وسُـــلومُها ... وعلـــى المَرابـــع شَـــرعُ ربـــي هيمنـــا

وتفيّـــأتْ ظـــلَ العقيـــدة والهُـــدى ... ونبيّنـــا مَـــنحَ الرّشـــادَ ، وبَيّنـــا

وســـيوفُ أهـــل الحـــق تَـــردَعُ مَـــن طغـــى ... والأمـــرُ أمســـى - فـــي الجزيـــزة - مُعلنـــا

هـــو لـــيس إكراهـــاً ، كمـــا قـــد يُـــدَّعَى ... لكنـــــه ردٌ علـــــى أهـــــل القنـــــا

مَـــن حـــاربوا فـــي الـــدار مَـــن هـــم آمنـــوا ... كـــي يرجعـــوا للكفـــر قسْـــراً والخنـــا

للهـــم صـــلّ علـــى النبـــي وآلـــه ... وصِـــحابه أهـــل المحامـــد والثنـــا

وارحـــمْ مَـــن اتبعـــوه أعظـــم رحمـــةٍ ... وأجُـــرْ رَعِـــيلاً مُســـتقيماً دَيّنـــا

وارزقهُـــمُ الجنـــاتِ والزلفـــى مَعـــاً ... هـــي دارُهـــم ، مـــنهم دَنـــتْ ، ودَنـــا الجَنـــى

ماذا قال المنصفون عن الإسلام ومحمد والقرآن؟

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فإنني أعلم أن مواقف وكلمات الغربيين المُنصفين عن الإسلام ونبيه والقرآن أصبحتْ أكثر من أن تُعد أو تُحصى! بل هي تزدادُ يوماً بعد يوم! وفي اعتقادي لم يعد يُحصيها كتاب ، ولا يحيط بها دفتر ، ولا يجمع شتاتها قرطاس ولا يشملها مرجع! اللهم إذا اتسعتْ أوراقه ليكون عشرة آلاف صفحة! وأعلم علم اليقين أنني أوردتُ الكثير من أقوالهم مما طالته يدي وانتهى إليه علمي ، وحكيت الكثير من مواقفهم في مقدمات قصائدي ، ولكنني هذه المرة أفردُ هذا الفصلَ مُوثقاً بأرقام الصفحات وأسماء الكتب لمن أراد التوثيق! ويُضافُ إلى ذلك أنني أوردت أقوال بعض الكتاب وتعليقاتهم للإمتاع والفائدة! وإنني لأعجبُ ابتداءً للروسي يو تولستوي «1828 - 1910» وهو (الأديب العالمي الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية. ويكفي تحليله لكثير من الشخصيات التي تناولها في رواياته الشهيرة الجهيرة.) قال: (يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم ، وأنّ شريعةَ محمدٍ ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة). وهذا الكلام من ليو تولستوي له كبير مِصداقية من الواقع بالأمس واليوم وغداً! وإذا لم يكن ذلك كذلك فلماذا يسلم العشرات بل المآت بل الآلاف كل يوم وليلة في الغرب والشرق؟! لماذا يتركون ما دانوا به عشرات السنين ، ودان به أجدادُهم وأسلافهم ويدخلون في الإسلام؟ وقال (الدكتور شبرك النمساوي): (إنّ البشرية لتفتخرُ بانتساب رجل كالنبي محمدٍ إليها ، إذ إنّه رغم أُمّيته ، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع ، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعدَ ما نكون جداً ، إذا توصلنا إلى قمّته). وهذه شهادة حق من الرجل ينبغي أن يُذعن لها المُشككون والمُغرضون من أبناء مِلته! وقال (توماس كارليل): (القرآن هو الكتاب الذي يُقال عنه: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون). وكارليل لا يُستهان به! فهو المُفكر والروائي المقبولة شهادته عندهم والمسموعة كلمته لديهم! وقال (غوتة): (كلما قرأتُ القرآن شعرتُ أن روحي تهتز داخل جسمي). وهذا الشعورُ تولد لديه عندما درس العربية ، وعرف مراد الله تعالى من كلامه! وقال (أرنست رينان): (لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف ، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب ، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تُعظم هذا الكتاب العلوي وتُقدسه). وهذا حق! وقال (ليوتولستوي): (سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة). وقال (ليوتولستوي) أيضاً: (لقد فهمتُ ... لقد أدركتُ ... ما تحتاجُ إليه البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق ، وتزهق الباطل). وتولستوي له حق

بعدما أفلستْ حضارة الرجل الأبيض بخمرها ومُجونها وسَخافتها عن إشباع الإنسان كل الإنسان ، فكان ولا بد من حضارةٍ ماديةٍ روحيةٍ في وقتٍ واحد ، وهي حضارة الإسلام ، وذلك لأنها من تشريع الإنسان الذي خالقه هو الله رب العالمين! وهو سبحانه الأعلمُ بما يُصلحُ الإنسان وما يفسده! (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟) ، وقال (الأمريكي مايكل هارت): (لا يوجد في تاريخ الرسالات كتابٌ بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن الذي نقله إلينا الرسول محمد). وتلك حقيقة بدهية لها سندُها من الواقع والتاريخ! وقال (غوتة): (القرآن كتاب الكتب ، وإني أعتقدُ هذا كما يعتقده كل مسلم). نعم كتاب الكتب ، وإلا لما ثبت في مواجهة كل هذه الأباطيل وتلك الضلالات على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان وكأنه قد نزل بالأمس! وقد سمع العالم الفلكي (جيمس جينز) العالمَ المسلمَ (عناية الله المشرقي) يتلو الآية الكريمة: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، فصرخ قائلاً: (مدهشٌ وغريبٌ! إنه الأمر الذي كشفتُ عنه بعد دراسة استمرت خمسين سنة! من أنبأ النبي محمداً به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟! لو كان الأمر كذلك ، فأنا أشهد أن القرآن كتاب موحى به من عند الله). وقال (العلامة بارتلمي هيلر): (لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله: (والله يعصمك من الناس) صرف النبي حُرَّاسه ، والمرءُ لا يكذب على نفسه ، فلو كان لهذا القرآن مصدرٌ غير السماء ، لأبقى محمدٌ على حراسته). وإذن فوعد الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وحركة النبي دون حراس هكذا أكبر دليل على صدق القرآن! ونزيد بارتلمي هيلر من الشعر بيتاً فنخبره بأن محمداً النبي الرسول كان ينام تحت الشجرة مسلماً أمره لله بلا حراسة إلا حراسة الرب وبلا رقابة إلا رقابة الرزاق ، وبلا حماية إلا حماية الخلاق ، وبلا رعاية إلا رعاية الله تعالى! وأنه لما رُفع عليه السيف وهو نائم تحت الشجرة وقال رافع سيفه: يا محمد من يعصمك مني؟ فقال النبي محمد – صلى الله عليه وسلم في إيمان الواثق وثقة المؤمن: ربي! فسقط السيف من يد حامله الذي كان ينوي قتله – صلى الله عليه وسلم -! وقال (الدكتور إيرنبرج الأستاذ في جامعة أوسلو): (لا شك في أن القرآن من عند الله ، ولا شك في ثبوت رسالة النبي محمد). وقال (البروفيسور يوشيودي كوزان - مدير مرصد طوكيو): (لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله ، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع ، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيتْ إلى محمد من الله). وطبعاً الدكتور محمد علي البار في مصنفه الرائع: (خلق الإنسان بين الطب والقرآن) شرح الكثير والكثير من إعجاز الله في خلق الإنسان في أحسن تقويم! وهذا دليلٌ قاطعٌ على صدق القرآن! وقال (الشاعر الفرنسي لامارتين): (أعظمُ حدثٍ في حياتي هو أنني درستُ حياة رسول الله محمد دراسة وافية ، وأدركتُ ما فيها من عظمة وخلود). وقال (لامارتين) أيضاً: (أي رجل أدرك من العظمة

الإنسانية مثلما أدرك محمد ، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ ، لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق). إن لامارتين يقول هذا في الوقت الذي يسخر بعض المتمسلمين من النبي وتشريعه وزوجاته في صفحات الجرائد والمجلات ليل نهار! والأمثلة أكثر من الرمل العالج في الصحراء! وقال (عالم اللاهوت السويسري د. هانز كونج): (محمد نبيٌ حقيقيٌ بمعنى الكلمة ، ولا يمكننا بعدُ إنكار أن محمداً هو المرشد القائد إلى طريق النجاة). وقال (شاعر الألمان غوته): (بحثتُ في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدتُه في النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم). وقال (غوته) أيضاً يخاطب أستاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول: (يا حافظ إن أغانيك لتبعث السكون ...إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة ، بهم جميعاً أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله). وقال (غوته): (إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية ، وإننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه النبي محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد). وقال (غوته): (لما بلغ غوته السبعين من عمره ، أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم). وقال (ليوتولستوي): (أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه ، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء). وقال (توماس كارليل): (إنما محمدٌ شهابٌ قد أضاء العالم ، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء)ُ. وقال (جورج برنادشو): (لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً ، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية ، وأوربا في العصر الراهن بدأتْ تعشقُ عقيدة التوحيد ، وربما ذهبتْ إلى أبعد من ذلك فتعترفُ بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها ، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي). وقال الاقتصادي المعروف (كارل ماركس): (جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوته وأنه رسول من السماء إلى الأرض). وقال (كارل ماركس): (هذا النبي افتتح برسالته عصراً للعلم والنور والمعرفة ، حريٌ أن تُدوّن أقواله وأفعاله بطريقةٍ علميةٍ خاصة ، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكماً من الرسالات السابقة من التبديل والتحوير). وقال (فارس الخوري): (إن محمداً أعظمُ عظماء العالم ، والدينُ الذي جاء به أكملُ الأديان. فقد جعلهم معجبين به إلى حدٍ جعلهم يُسَطرون فيه الكتب ويذكرون شخصه في كل وقت). وقال المهاتما غاندي في حديثٍ لجريدة "ينج إنديا" تكلم فيه عن صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحتُ مقتنعاً كلّ الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته ، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقّته وصدقه

في الوعود ، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه ، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهّدتِ الطريق ، وتخطّت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدتُ نفسي أسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة". وقال راما كريشنا راو (في كتابه: "محمد النبي"): "لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي ، ومحمد المحارب ، ومحمد رجل الأعمال ، ومحمد رجل السياسة ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح ، ومحمد ملاذ اليتامى ، وحامي العبيد ، ومحمد محرر النساء ، ومحمد القاضي ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً). وقالت ساروجني ندو شاعرة الهند: "يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية ، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة ، ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافاً بأن الله أكبر. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر". ونزيد هذه الشاعرة من الشعر بيتاً فنقول لها: كان النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – يستشير أصحابه – رضي الله عنهم - ، وذات مرة نزل على رأي أقلهم شأناً وقدراً وهو الحباب بن المنذر – رضي الله عنه -. وقال المفكر الفرنسي لامارتين في كتاب "تاريخ تركيا" ، باريس ، 1854م ، الجزء الثاني ، صفحة 276-277): "إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير العباقرة قد صنعوا الأسلحة ، وسنوا القوانين ، وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط ، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط ، بل إنه قضى على الأنصاب والأصنام والأوثان والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة. لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). لقد كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجهاً بالكلية إلى هدفٍ واحد ، فلم يطمحْ إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته ، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع ، بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شِقين: الإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية) ، بينما الآخر يوضحُ ما لا يتصفُ به الله تعالى: (وهو المادية والمماثلة للحوادث).

لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف ، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة). هذا هو النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف ، الخطيب ، النبي ، المشرع ، المحارب ، قاهر الأهواء ، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة ، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض ، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم). بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية ، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ وقال مونتجومري وات ، من كتاب "محمد في مكة" ، 1953م ، صفحة 52.): (إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمداً مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بالنبي محمد). وقال بوسورث سميث من كتاب "محمد والمحمدية" ، لندن 1874م ، صفحة 92.): (لقد كان النبي محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين ، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيّشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه النبي محمد ، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها). وقال جيبون وسيمون أوكلي ، من كتاب "تاريخ إمبراطورية الشرق" ، لندن 1870م ، صفحة 54.): (ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار ، وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره النبي محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن ، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان. لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر ، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين). وقال المستشرق الدكتور زويمر الكندي المعروف الذي ولد في 1813 م - 1900 م ، قال في كتابه (الشرق وعاداته): (إن الرسول محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً ،

ومفكراً عظيماً ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء). وقال برتلي سانت هيلر الألماني ، وهو مستشرق ألماني ولد في درسدن 1793 م - 1884 م ، قال في كتابه: (الشرقيون وعقائدهم): (كان الرسول محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد ، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة). وقال الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي ، وهو مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا 1817 م - 1894 م قال في آخر كتابه (العرب): (عرف الرسول محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم ، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق ، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره ، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل ، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم). وقال برناردشو الإنكليزي الذي ولد في مدينة كانيا 1817 م - 1902 م له مؤلف أسماه (محمد) ، وقد أحرقته السلطة البريطانية: (إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات ، خالداً خلود الأبد ، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا). إنّ رجال الدين في القرون الوسطى ، ونتيجةً للجهل أو التعصّب ، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً ، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للنصرانية ، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل ، فوجدتُه أعجوبةً خارقةً ، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للنصرانية ، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم ، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها). وقال السير موير الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد): (إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده ، وذلك لشرف أخلاقه وحسن سلوكه ، ومهما يكن هناك من أمر فإن النبي محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم). وقال العلامة سنرستن الآسوجي: وهو مستشرق آسوجي ولد عام 1866م ، أستاذ اللغات الساميّة ، ساهم في دائرة المعارف ، جمع المخطوطات الشرقية ، محرر مجلة (العالم الشرقي) ، وله عدة مؤلفات منها: (القرآن الإنجيل المحمدي) ومنها: (تاريخ حياة محمد): (إننا لم ننصف انبي محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا ، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل

والهمجية ، مُصِراً على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع ، وهو فوق عظماء التاريخ). وقال المستر سنكس الأمريكي وهو مستشرق أميركي ولد في بلدته بالاي عام 1831م ، توفي 1883 م في كتابه: (ديانة العرب): (ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإلهٍ واحدٍ ، وبحياة بعد هذه الحياة. إلى أن قال: إن الفكرة الدينية الإسلامية ، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم ، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة). وقالت آن بيزينت: حياة وتعاليم محمد دار مادرس للنشر 1932م: (من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس ، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل ، أحد رسل الله العظماء ، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس ، فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم. هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير ، وظل وفياً لها طيلة 26 عاماً ، ثم عندما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص. فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية). وقال مايكل هارت: في كتابه مائة رجل من التاريخ: (إن اختياري محمداً ، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح في النصرانية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة فتية قوية ، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً ، وحّد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية ، وأتمها). وأما الفيلسوف الإنجليزي "توماس كارليل" فقال في كتابه "الأبطال": "لقد أصبح

من العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر ، أن يصغى إلى ما يدعيه بعض الجهال الحاقدين ، من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً ليس بنبي ، إن علينا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة). وقال العلامة الألماني "كارل هيرنش بكر" في كتابه "الشرقيون": "لقد أخطأ من قال أن نبي العرب دجال أو ساحر، لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمداً جدير بالتقدير ومبدأه حري بالإتباع، وليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وأن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال". والمستشرق الكندي الدكتور "زويمر" قال في كتابه "الشرق وعاداته": "إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً ، وبليغاً فصيحاً ، وجريئاً مغواراً ومفكراً عظيماً ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء". والدكتور "جولد تسيهر" الأستاذ بكلية العلوم جامعة بودابست قال في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام": الحق أن محمداً كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية. والمستشرق الأمريكي "سنكس" قال في كتابه "ديانة العرب": "ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة". والدكتور "كلود كاهن" الأستاذ بكلية الآداب جامعة ستراسبورغ بباريس قال في كتابه "تاريخ العرب والشعوب الإسلامية": "اصطبغت شخصية محمد بصبغة تاريخية قد لا تجدها عند أي مؤسس من مؤسسي الديانات الكبرى". والدكتور "مونته" أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف قال في كتابه "محمد والقرآن": "إن طبيعة محمدٍ الدينية ، تُدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص ، فقد كان محمد مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيراً وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين". والكاتب الإنجليزي "برنارد شو" قال في كتابه "محمد": "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال ، فإنه أقوى دين على هضم جميع الديانات ، خالداً خلود الأبد ، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم ، لوفق في حل مشكلاتنا ، بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها". والعلامة الفرنسي "ساديو لويس" قال: "لم يكن محمد نبي العرب بالرجل البشير للعرب فحسب ، بل للعالم لو أنصفه الناس ، لأنه لم يأت بدين خاص بالعرب ، وأن تعاليمه الجديرة بالتقدير والإعجاب ، تدل على أنه عظيم في دينه ، عظيم في صفاته ، عظيم في أخلاقه ، وما أحوجنا إلى رجال للعالم أمثال محمد نبي المسلمين". والأديب العالمي "ليو تولستوي" قال: "يكفي محمداً فخراً أنه خلص أمه ذليلة دموية من مخالب

شياطين العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريق الرقى والتقدم ، وأن شريعة محمد ، ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة". والبروفيسور الهندي "راماكرشنه راو" قال في كتابه "محمد النبي": "لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها ، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة ، فهناك محمد النبي ، ومحمد المحارب... ومحمد رجل السياسة ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح ، ومحمد ملاذ اليتامى ، وحامى العبيد ، ومحمد محرر النساء ، ومحمد القاضي ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً". والدكتور النمساوي "شبرك" قال: "إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ أنه رغم أميته ، استطاع أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته". والقس الفرنسي "لوزون" قال: "ليس محمد نبي العرب وحدهم ، بل هو افضل نبي قال بوحدانية الله تعالى". والكاتب والشاعر والمؤرخ الفرنسي "لامارتين" قال: "إذا أردنا أن نبحث عن إنسان عظيم تتحقق فيه جميع صفات العظمة الإنسانية فلن نجد أمامنا سوى محمد الكامل". والدكتور "هانز كونج" عالم اللاهوت السويسري قال: "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة ، ولا يمكننا بعد ، إنكار أن محمداً هو المرشد القائد على طريق النجاة". وبوسورث سميث قال في كتابه "محمد والمحمدية": لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين ، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحدٍ أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد ، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها. والدكتور زويمر الكندي قال في كتابه "الشرق وعاداته": إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً ، ومفكراً عظيماً ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء. وسانت هيلر قال "كان محمد رئيسًا للدولة وساهرًا على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة". والمفكر الفرنسي لامارتين قال هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم الفيلسوف ، الخطيب ، النبي ، المشرع ، المحارب ، قاهر الأهواء ، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة ، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض ، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد صلى الله عليه

وسلم بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية ، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟ وسنرستن الآسوجي قال "إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض الرسول محمدٌ معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية ، مُصِرًا على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع ، وهو فوق عظماء التاريخ". والمستر سنكس قال "ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة". وآن بيزيت قالت: "من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس ، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل ، أحد رسل الله العظماء. ومايكل هارت قال: إن اختياري محمدًا ، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. ودُرّاني قال "أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام ؛ فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره". ونصري سلهب قال "هنا عظمة محمد صلى الله عليه وسلم لقد استطاع خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن ـ أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية ، لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة". والسير موير قال "إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه ، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم". وإدوارد لين الإنكليزي في كتابه " أخلاق وعادات المصريين" قال: "إن محمداً كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة ، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق ، حتى أن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر ، كيف لا ، وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته بصبر وجلدٍ عظيمين ، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد من يصافحه حتى ولو كان يصافح طفلاً ، وأنه لم يمر يوماً من الأيام بجماعة رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرئهم السلام ، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة ، وقد كان محمد غيوراً ومتحمساً ، وكان لا يتنكر للحق ويحارب الباطل ، وكان رسولاً من السماء ، وكان يريد أن يؤدي رسالته على أكمل وجه ، كما أنه لم ينس يوماً من الأيام الغرض الذي بعث لأجله ، ودائماً كان يعمل له ويتحمل في سبيله جميع أنواع البلايا ، حتى انتهى إلى إتمام ما يريد". والمؤلف الكبير ماكس

فان برشم قال في مقدمة كتابه "العرب في آسيا": الحق أن محمداً هو فخر للإنسانية جمعاء ، وهو الذي جاءها يحمل إليها الرحمة المطلقة ، فكانت عنوان بعثته "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". والمهاتما غاندي قال "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة". وسنرستن الآسوجي أستاذ اللغات السامية: يقول في كتابه "تاريخ حياة محمد": "إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية ، مصرًا على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ". وساديو لويس الفرنسي قال: "لم يكن محمد نبي العرب بالرجل البشير للعرب فحسب بل للعالم ، لو أنصفه الناس ، لأنه لم يأت بدين خاص بالعرب ، وأن تعاليمه الجديرة بالتقدير والإعجاب تدل على أنه عظيم في دينه ، عظيم في أخلاقه ، عظيم في صفاته ، وما أحوجنا إلى رجال للعالم أمثال محمد نبي المسلمين." والقس ميشون الألماني في كتابه "سياحة دينية في الشرق" قال: "إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة ، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم ، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد ". وغوستاف لوبون قال: "إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم من عرفهم التاريخ ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا صلى الله عليه وسلم مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله..". ولورافيشيا فاغليري قال: "كان محمد صلى الله عليه وسلم المتمسك دائمًا بالمبادئ الإلهية شديد التسامح ، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين ، مصطنعًا الأناة دائمًا اعتقادًا منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور.. لقد عرف جيدًا أن الله لا بد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري". ومارسيل بوازار قال: "لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق..". وواشنجتون إيرفنج قال: "كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه

قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي ، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو. وهناك الكثير والكثير من الآراء والأقوال التي شهدت بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البشرية وسيادته على العالم. ولقد لقي الدين الإسلامي والقرآن الكريم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأييداً وإنصافاً من قبل بعض أعلام الثقافة الغربية ، فجاءت شهاداتهم الإيجابية بالرد العلمي والموضوعي على الحملات التي تشوه صورة الإسلام في الغرب ، وهي دليل واضح على أنه الدين الحق. ونحن نحمد الله تعالى على أن سخر من الغربين أناساً منصفين من جلدتهم ، يشهدون شهادة الحق في النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وفي قرآنه وفي رسالته وفي دينه! إن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة ، ومؤلف هذا الكتاب هو الحسيني الحسيني معدي ، متحصل على ليسانس آداب وتربية تخصص لغة عربية ، وماجستير في التربية تخصص أصول تربية وهو الآن يعد رسالة الدكتوراه في قسم التربية المقارنة. يستعرض الكاتب في هذا الكتاب مجموعة شهادات وأقوال بعض العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة والكتاب والحكماء في الغرب الذين أعجبوا بالدين الإسلامي ، وقالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم بعدما درسوا الإسلام على حقيقته التي تمثل النور والخير في رسالته الأخلاقية السامية ودعوته الإنسانية العالمية. وفي هذا السياق يؤكد الباحث على مدى أهمية إنصاف العشرات من أعلام الثقافة الغربية الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام ، بعد أن تعرفوا على عظمته ومكانته بين الأديان السماوية الأخرى ، وينبغي أن يستفيد المسلمون من هذه الشهادات المنصفة في الرد على خصوم الإسلام بطريقة علمية وعملية وموضوعية على الحملات المشوهة لصورة الإسلام والمسلمين في الغرب. وتطرق معدى إلى القرآن الكريم في عيون غربية منصفة حيث يقول العالم الفرنسي موريس بوكاي «لقد قمت بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة ، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث». ويقول خليل أحمد في القرآن الكريم وهو قس مبشر ، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية ومن جامعة برنستون الأميركية «أعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجودياً.. لا يؤمن برسالةٍ من الرسالات السماوية ، وجاءني نفرٌ من الناس ، وحدثوني بما سبق به القرآن العلم الحديث ـ في كل مناحيه ـ لآمنت برب العزة والجبروت ، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدا». واستعرض المؤلف رأي واشنطن ايرفنج وهو مستشرق أميركي أولى اهتماماً كبيراً لتاريخ المسلمين في الأندلس ، حيث يقول «كانت التوراة في يوم ما هي مرشد وأساس سلوكه ، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع

المسيحيون تعاليم الإنجيل ، ثم حل القرآن مكانهما ، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين ، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل ، وحوى جميع القوانين إذ إنه خاتم الكتب السماوية». أما الباحثة البولونية بوجينا غيانة ستيجفسكا ، درست الإسلام في الأزهر ، وكانت قد أنهت دراساتها العليا في كلية الحقوق ، وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا ، فقد قالت عن القرآن: «إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل أمي نشأ في أمةٍ أميةٍ ، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات ، كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة». وأنتقل الكاتب إلى الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون الذي يرى بأن «القرآن قانون ديني وسياسي واجتماعي ، وأحكامه نافذة منذ قرون كثيرة ، والمسلمون إخوة يعبدون إلهاً واحداً ، وشريعتهم واحدة يُبغضون ما يُبغضون ويُحبون ما يُحبون ، ويجمع الحج كل سنةٍ في مكة جماعات المؤمنين ، وحرص الإسلام على تقرير المساواة في أكمل صورها وجعلها من العقائد الأساسية التي يجب أن يدين بها كل مسلم». أما فولتير فيقول: «مما لا شك فيه أن الإسلام له كتاب ما حُرف ، لأنه ليس في قدرة بشر أن يأتي بحرفٍ فيه ، فالذي جاء به الوحي لا يمكن لإنسان أن يقلده». وتطرق معدى إلى موضوع الإسلام في عيون غربية منصفة ، ونظرة المفكرين المستشرقين والعلماء حول الدين الإسلامي ، حيث يقول المستشرق بارتلمي سانت هلر «إن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام ، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى». ويقول الأمير البريطاني تشارلز: «إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم ، الأمر الذي فقدته النصرانية ، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة ، والدين والعلم ، والعقل والمادة». أما شاعر فرنسا لامارتين فيقول «الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن والروح معاً ، دون أن يعرض المسلم لأن يعيش في تأنيب الضمير ، وهو الدين الوحيد الذي عباداته بلا صور ، وهو أعلى ما وهبه الخالق لبني البشر». ويقول الفيلسوف جورج برنارد شو: «الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها ، ولا نجد في الأديان حسناته.. قد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً ، إذ ضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي ، فانصهر الجميع في بوتقةٍ واحدة». وتقول الأديبة مي زيادة: «الدين النصراني أقرب إلى النظريات ، وعلى نقيضه الإسلام فإنه نظري وعملي معاً ، ولا تملأ هاوية النفس غير عطور الشرق ، وتلك الأصداء المرفرفة الهابطة من أعالي المآذن مُرددة (لا إله إلا الله)». ويقول الممثل العالمي أنطوني كوين: «أحسست أن الإسلام قوة غير عاديةٍ بعد أن درست ومثلت حياة عمر المختار ، قلت: كيف لا يخامره هذا الشعور عندما يقرأ قول الشهيد عمر المختار قبل إعدامه: لئن كسر المدفع سيفي ، فلن يكسر الباطل حقي». وينقلنا الباحث في

فصل آخر إلى موضوع المرأة في عيون غربية منصفة حيث يرى بأن المرأة كانت ضحية أنظمة كثيرة ، ومن صفحات العار على البشرية أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر ، فلم تمر حضارة من الحضارات الغابرة إلا وسقت هذه المرأة ألوان العذاب ، وأصناف الظلم والقهر. فالإغريق قالوا عنها شجرة مسمومة ، وقالوا هي رجس من عمل الشيطان ، وتُباع كأي سلعة متاع ، وقال عنها الرومان: ليس لها روح وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار ، وتسحب بالخيول حتى الموت! والصينيون قالوا: إنها مياه حارة مؤلمة تغسل السعادة ، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حية ، وإذا مات حق لأهله أن يرثوه فيها. وقال عنها اليهود: إن الموت والجحيم والسم والأفاعي والنار ليست أسوأ من المرأة ، بل وليس لها الحق أن تعيش بعد ممات زوجها ، بل يجب أن تُحرق معه. أما الفرس فقد أباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء ، ويجوز للفارسي أن يحكم على زوجته بالموت ، وقال عنها اليهود بأنها لعنة لكونها سبب الغواية ، ونجسة في حال حيضها ويجوز لأبيها بيعها. وفي السياق نفسه أشار المؤلف إلى أن المرأة كانت مبغوضة عند النصارى والعرب أيضاً ، إلى أن جاء الدين الإسلامي الحنيف بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح ، وحفظ حقوق المرأة من جميع النواحي ، وحقها في اختيار زوجها ، وفي الطلاق وفي الميراث.. ونزلت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تؤكد ذلك. وسلط الكاتب الضوء على حضارة الإسلام واكتشافات العرب وسبقهم في العلوم المختلفة ، ودور أعلام الفكر العربي الإسلامي في الفنون ، وفضل الفكر الإسلامي في نقل المنهج العلمي التجريبي إلى الغرب والذي يعود إلى أمثال ابن سينا ، وابن رشد ، وجابر بن حيان ، والخوارزمي ، والرازي الطبيب ، والكندي وابن الهيثم...الخ. ويؤكد معدي على ضرورة أن يعرف المسلمون العالم والغرب بالدين الإسلامي والنبي محمد صلى الله عليه وسلم! وذلك بنشر الحقائق الصحيحة بكل اللغات الحية في العالم ، وعبر وسائل الإعلام. والمفكر والشاعر الفرنسى «لامارتين» كتب عن رسولنا الكريم فى مقدمة كتابه الضخم «تاريخ تركيا - الجزء الثانى»، الصادر عام 1854م ، يقول: «إذا كانت الضوابط التى نقيس بها عبقرية الإنسان هى سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذى يجرؤ أن يقارن أيًا من عظماء التاريخ الحديث بالنبى محمد فى عبقريته ، فهؤلاء المشاهير صنعوا الأسلحة ، وسنوا القوانين ، وأقاموا الإمبراطوريات ، فلم يجنوا إلا أمجادًا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم». ويتابع «لامارتين» فى المقدمة التى أصبحت كتابًا مستقلًا فيما بعد حمل عنوان «حياة محمد» ، قائلاً: «لكن هذا الرجل «النبي محمد» لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط ، إنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ ، ليس هذا فقط ، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام

والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة». وأضاف: «لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر.. كان طموح النبي موجهًا تمامًا إلى هدفٍ واحدٍ ، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك، حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع ، بل يدل على اليقين الصادق الذى أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث». وقال «لامارتين» أيضًا: «ما من إنسان البتة رسم لنفسه إدراك هدف أسمى مما نوى محمد أن يبلغ ، إذ كان هدفًا يفوق طاقة البشر ، يتمثل فى نسف المعتقدات الزائفة التي تقف بين المخلوق والخالق ، وإرجاع الله للإنسان ، وإرجاع الإنسان لله ، وبعث الفكرة الألوهية المجردة المقدسة في خضم فوضى الآلهة المادية المشوهة ، آلهة الوثنية ، وما من إنسان البتة ، فى نهاية المطاف استطاع أن ينجز في وقت أوجز ثورة على الأرض أعظم أو أبقى مما أنجز هو». والعالم الأمريكى مايكل هارت في كتابه «الخالدون مائة» ، فكتب يقول: «إن اختياري محمدًا ليكون الأول فى أهم وأعظم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، لكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح أعلى نجاح على المستويين الدينى والدنيوي ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، لكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح في النصرانية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم ، كموسى فى اليهودية ، لكنّ محمدًا هو الوحيد الذى أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها فى حياته ، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة ، فإنه فى هذا المجال الدنيوي أيضًا ، وحّد القبائل فى شعب ، والشعوب فى أمةٍ ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها فى موضع الانطلاق إلى العالم أيضًا فى حياته ، فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها». وأما المستشرق الإنجليزى جورج برنارد شو فهو من أشهر الغربيين الذين نصفوا الإسلام خلال القرون الماضية. وقال «شو» فى مؤلفه «محمد» الذى أحرقته السلطات البريطانية خوفًا من تأثيره: «إن المثل الأعلى للشخصية الدينية عنده هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فيتمثل في النبي العربي تلك الحماسة الدينية ، وذلك الجهاد في سبيل التحرر من السلطة ، وهو يرى أن خير ما في حياة النبي أنه لم يدّع سلطة دينية سخرها فى مأرب ديني ، ولم يحاول أن يسيطر على قول المؤمنين ، ولا أن يحول بين المؤمن وربه ، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى». وقال برنارد شو إن رجال الدين في القرون الوسطى ، ونتيجة للجهل أو التعصب ، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة ، لقد كانوا يعتبرونه عدوًا للنصرانية ، لكنه اطلع على أمر هذا الرجل ، فوجده أعجوبة خارقة ، وتوصل إلى أنه لم يكن عدوًا للنصرانية ، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية. وفى رأيه أنه «لو تولى أمر العالم اليوم ، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو

البشر إليها». كما قال برنارد شو: «لو تولى العالم الأوروبي رجل مثل محمد لشفاه من علله كافة ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية.. إنني أعتقد أن الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تجمع كل الشرائط اللازمة ، وتكون موافقة لكل مرافق الحياة ، لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غدًا ، وقد بدا يكون مقبولاً لديها اليوم ، ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم». والمستشرق البريطانى ويليام مونتجمري وات الذي عمل أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية فى جامعة إدنبرة ، فكان من أشهر كتبه «محمد فى مكة» الصادر عام 1953م ، و«محمد فى المدينة» الصادر فى عام 1956م ، و«محمد: النبي ورجل الدولة» عام 1961م. وقال عن الرسول الكريم فى مقدمة كتابه الأول «محمد في مكة» إنه يأمل في أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو أعظم رجال بني آدم. وفى فصول هذا الكتاب ، قال: «إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدًا وقائدًا لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل هذا يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه ، وافتراض أن محمدًا مدّع ، يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثلما فعل بمحمد». والفيلسوف الفرنسي الشهير روجيه جارودي ، قال عن الإسلام في كتابه «الإسلام وأزمة الغرب»: «إن الإسلام أنقذ العالم من الانحطاط والفوضى ، وإن القرآن الكريم أعاد لملايين البشر الوعى بالبعد الإسلامي ومنحهم روحًا جديدة». وقارن جارودي بين أثر الحضارة الغربية ، وما يمكن أن يقدمه الإسلام للبشرية. وقال وفقًا لما ورد في كتاب «الإسلام يصطفي من الغرب العظماء» للباحث مفيد الغندور ، إنه بعد خمسة قرون من هيمنة الغرب همينة لا يشاركه فيها أحد ، يمكن أن ننظر إلى الأرقام الآتية: عام 1982 م تظهر لنا ملامح وقسمات الحضارة الغربية ، فمع حوالى 600 مليار دولار من الإنفاق على التسليح ، وصنع ما يعادل أربعة أطنان من المتفجرات فوق رأس كل إنسان من سكان كوكب الأرض ، مات حوالى 50 مليون نسمة في العالم من الجوع وسوء التغذية ، في العام نفسه الذي أنفق الغرب ملياراته على أسلحة التدمير ، ومن ثم فمن الصعب أن نطلق كلمة تقدم على هذه المرحلة التى قطعتها الحضارة الغربية في تاريخ البشرية. ورأى جارودى أن الإسلام يمكن أن يقدم للعالم المعاصر ما ينفعه وما يفتقده ، وهو معرفة غاية الإنسان ومعنى الحياة. ولكن ما هي أقوال المفكرين الغربيين في القرآن الكريم والتي تميزت بالدقة والحيدة والموضوعية؟ يقول د/ جونسون (مفكر معروف) هل هو شِعر؟ لا ، ولكن الصعوبة تكمن في التفرقة بينه وبين الشعر. إنه أعلى مقاماً من الشعر .هو ليس تاريخاً أو نصيحة كنصيحة عيسى عليه السلام في الجبل. ولا هي قول من أقوال بودا أو كتاب من كتب

المنطق والفلسفة. ولا هي من نصائح أفلا طون. إنه صوت نبي يستطيع أن يسمعه جميع من في الأرض ويسمع صداه أينما كان. ورودول (كاهن معروف) بعد التغيير الجذري الذي أحدثه القرآن للبدو العرب تراهم وصلو بذلك إلى الشهره. رسخت فيهم الوحدانيه والرساله وأبعدهم عن عبادة الأوثان وعبادة الجن والنجوم ، وأزال عادة وأد البنات ودفنهن أحياء وما إلى ذلك من العادات السيئة وعم بذلك عليهم اللطف والعناية الإلهية. إنه يعظم القدير خالق الكون العلي فهو بذاته يستحق المدح .. مجمل وجيز يأتي بالحقائق ويسردها ببلاغه وحكمه .. فانبهر المجتمع النصراني من بغداد وقرطبة ودلهي وأوروبا به وبإعجازه. وكورسل (مفكر- ترجم لمعاني القرآن) القرآن الكريم معجزة إلهية بليغة ، ليست من قول بشر إنها معجزة دائمة ليست كأي معجزة هي أقوى من معجزة الموتى. يكفي أنه منزل من عند الله. عم بنوره الجزيرة العربية وتحدى بأقصر آية فيه أن يأتو بمثله فما استطاعوا. ومارمادوكي بيكثل (كاتب إنجليزي) القرآن يؤصل الأخلاق فلا نستطيع إنكار ذلك حيث أنزل إلى النبي عليه السلام وبلغه بدوره فمن أراد التقرب إلى الله عز وجل توجه إلى القرآن. ففيه بيان حق الخالق وحق المخلوقين. إنه ليس إثبات من المسلمين فقط بل يقره اليهود والنصارى أيضاً. وقوث (أديب ألماني) يجذب المرء في وقت قصير يجعله ينبهر به في كل مرة يمسك به. يتسم أسلوب القرآن ومحتوياته بالكمال والقوة والعظمة. وسيبقى كذلك على مدى الدهر. وهذا د/ ماورث (متعمق في الأدب العربي ومترجم لمعاني القرآن) ما هو القرآن؟ معجز ببلاغته. فخر لأمة الإسلام بإعجازه. أكمل وأشمل الكتب السماوية المنزلة. لطف وكرم من الله عز وجل للبشرية ، فلو نظرنا إليه نجده أعلى بياناً ومقاماً من الفلسفة اليونانية. مليء بحمد وشكر خالق الأرض والسماوات مبيناً قدرته وتصرفه مشتملاً لعظمته جل علاه. إنه مرجعٌ للأدباء والفصحاء وعلماء اللغة والمهتمين بعلومها والمهتمين بالشعر ، إنه خزينة لكل العلوم ومرجع للفقه والشريعة. إنه صوت الحق الذي علا من أرض الحجاز ومن غار حراء لينقذ النصارى مما وقعو فيه من شقاق ويعلمهم أطهر دين ولكنهم لم يسمعوا لهذا الصوت ولم يعيروه أي انتباه.. وهذا م/جون داون بورت (كاتب – مفكر) من أخص ما ذكر في القرآن قدرته سبحانه وعظمته. إنه بعيد عن الأحاسيس البشرية. بليغ ولا تجد فيه الصفات القبيحة والعادات والأخلاق السيئة منزه عن النقائص. مع العلم أن جميع النقائص والتحريف موجودة في كتبهم. وإدوارد جبون (تاريخ إنجليزي) المدن ما بين نهر الجانج والمحيط الأطلسي علموا أن القرآن نهج حياة وروحه التي لا تستقيم إلا به. بنظر القرآن لا فرق بين الحاكم الظالم والفقير المعدم. إنه أتى بأحكام وقوانين لا نظير لها. إنه أكبر دليل لوحدانية الله عز وجل. فصاحب العقل والمنطق السليم يقر بأنه الحق ولا يتردد في ذلك ، فالإسلام أعلا سوية مما نفكر به اليوم..

والمستشرق سديو (فلسفي غربي) يقول: (القرآن عرف حقوق الله جل جلاله للناس. علم الخلق ما يطلبونه من خالقهم وعلم مناسبتهم به بشكل واضح. يحوي القرآن الأخلاق والفلسفة وأساسياتها. الفضيلة والرذيلة ، الخير والشر ، ماهية الأشياء ، باختصار القرآن يتطرق لجميع المواضيع.. إنه يعلم الحكمة والفلسفة وأساسها العدل والمواساة ومعاملة الغير بالحسنى. يغرس الفضيلة في النفس ..تجده جميعا في القرآن. يرشد القرآن الناس إلى الوسطية والاقتصاد . يحمي من الانحراف ويبعده من الضعف الأخلاقي ، ويوصله إلى نور الأخلاق الفاضلة. يحول الإنسان وما به من عيوب وأخطاء ويصل به إلى مرحلة النضج والسمو. وتوماس كارليل (مفكر إنجليزي مشهور) حين تقرأون القرآن لمرة واحدة بعناية ودقة تجدون وتظهر لكم المميزات الخاصة به. جمال القرآن يختلف عن سائر الأعمال الأدبية الأخرى. ومن أهم خصوصيات القرآن أنه لم يُحرف .. فمن رأي أن القرآن من أوله إلى آخره ملئ بالصدق والإنصاف ..فما بعث به النبي عليه الصلاة والسلام وبلغه حق وحقيقه. والبرفسور/ جرالد ج جورنجر (جامعه جورج تاون أستاذ مشارك في علم الأجنة الطبي) هناك بعض الآيات القرآنيه يعرف ويبين خلقة الإنسان من بدايته من مراحل تكوين الخلية إلى خلقه وتكوينه كاملاً ، فهذه المصطلحات لا نظير لها. معظم الحالات التي يتم تسجيلها في الكتابات العلمية التقليدية ، وتطوير الأجنة البشرية قد سبق تعريفها منذ مئات السنين. وجوكوهام دورلوف (عالم غربي) لنعترف أولاً بأن القرآن الكريم أعلى شرفاً من الكتب السماوية الأخرى ، فلو أخذنا بعين الاعتبار القواعد القرآنية البسيطة الكاملة لوجدنا بأن هذا الكتاب المقدس أنقذ العالم، أنقذه وأنقذ آسيا من أن تمثل خطرا عظيما عليها .. الإسلام أوجب النظافة والنزاهة لجميع المسلمين ، ومحى الجراثيم وأزال الأخطار .. والأمير بسمارك يقول: لأدير شؤون البلاد قرأت وتمعنت في جميع الكتب السماوية المنزلة من عند الله في جميع العصور ولم أجد في أي واحد منها الحكمة والإصابة. وما ورد فيها بعيداً عن إدارة مجتمع بل بعيداً عن إدارة منزل وإدخال السعادة عليهم. لكن الإسلام يحرر القرآن من هذا ، فقد دققته من جميع الجهات ففي كل كلمة فيه حكم عظيمه ، فأعداء الإسلام إن يدعون بأن هذا الكتاب قول محمد ، إن يدعون بأن هذا التكامل وهذه الروعة صادرة من دماغ بشرية فهذ ليس إلا إعماء البصيرة عن الحقائق ودس الحقد والضغينة وهذا يناقض العلم والحكمة.. فأنا أدعي بأن محمداً قوة رائعة ممتازة لا يأتي له مثيل ولا يحتمل ذلك.. متأثر بأنني لم أعاصرك يا محمد! ما تعلمه وتبلغه ليس لك.. هو إلهي فإنكار ذلك كإنكار كتب العلم وهذا مضحك. لهذا ، قد شهدت البشرية المتميزة ، مثلك مرة واحدة ولن تشهد مرة أخرى ..إنني أنحني لدى حضرته بالمحبة والاحترام .. وجون جاكوبريسي (فيلسوف ألماني) من تعلم قليل من العربية تراه يستهزئ بالقرآن فلو

استمع هؤلاء لفصاحة القرآن وتأثيره، ولو استمعوا لمحمد عليه السلام وبلاغته وهو يحدث أصحابه عن القرآن لسجدوا لله وقالوا: "يا رسول الله خذ بأيدينا واجعلنا ننال شرفاً بكوننا من أمتك" ويقول ه ليدر وهو (عالم انجليزي) يبدأ الأطفال المسلمين تعلمهم بالقرآن لأن القرآن يجمع بين فضائل الدين و الدنيا والمرجع لذلك ، ومع ذلك إلى جانب تلك المدارس القرآنية ومع الإلهام هناك مدارس الحكمة والفلسفة بجانبها التي تحولت إلى جامعات ..لهذا ما كان يقال عن أفريقيا وظلمتها مع ترقييها تقدمت على أوروبا المعاصرة.. وإدموند (سياسي انجليزي) كلما ندقق في القرآن نرى كماله وعلوه ..يجذب المرء أولاً ثم يبهره ويحيره ويجعله شغوفا به.. يجبر المرء على احترامه وبذلك ترى تأثيره في الأعماق.. دكتور موريس بوكيل (جامعة باريس ، ورئيس قسم الجراحة الإكلينيكية) مع تحليل القرآن اليوم في ضوء العلم الحديث نجد القرب والتوافق بينهم. فلا نستطيع أن نفكر ونقول بأن شخصا من زمن محمد بالعلم البسيط الذي يملكه كتب القرآن ، إن تلك الأفكار تكشف عن أن القرآن لا مثيل له ، وتجبر صاحب التفكير المادي على قبول تقصيره في ايجاد أدلته وتفسيرها.. البروفسور لي جو سيمبسون (الطب النسائي ، أستاذ علم الوراثة الجزيئي والبشرية) يقول: في نظري لا تعارض بين الدين والعلم الوراثي ، فالدين يضيف بالوحي ويوجه العلم البشري وهذا ما نلاحظه ونجده في القرآن بعد مرور قرن على نزوله وهذا دعم وتأييد من الله عز وجل . كارليل (فيلسوف أمريكي) منذ ظهور القرآن وحقائقه تجده قد التهم جميع الأديان الأخرى وهذا من حقه ..لأنه لا فائدة ولا مخرج من خرافات اليهود والنصارى. دكتور سيتي يونغست (متخصص في الأدب العربي والإنجليزي) إنه إحدى أكبر مرجع يستفاد منه ..ونرى فيه بوضوح أخلاق رجل عظيم.. ويقول كارليل: "علوية القرآن يشمل حقيقه الكون" فقوله صحيح ..فالقرآن مرجع للعقائد والأخلاق مرجع لهداية الإنسان وتوفيقه وأهم من ذلك كله الإيمان بمن يملك القدرة والقوة والقدر بيده سبحانه جل جلاله.. والكاتب والفيلسوف الأيرلندي (برنارد شو) حامل جائزة نوبل ذلك بقوله: (الإسلام دين الديموقراطية وحرية الفكر هو دين العقلاء ، ولكن هناك أمراً مهماً يجب ألا أغفله وهو أن الإسلام شيء والمسلمون اليوم شيء آخر ، الإسلام حسن ولكن أين المسلمون؟! وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية) وفي هذا كفاية لمن يدعي أن الإسلام الحقيقي يدعو إلى الإرهاب. إن الإسلام وتراث النبي محمد (ص) قد افتخر به علماء الغرب وفلاسفتهم ودافعوا عنه بل ومن تشريعاته اقتبسوا في أنظمتهم الاقتصادية والاجتماعية. إن موضوع اعتناق الإسلام من قبل مفكري الغرب وفلاسفته مازال بعيداً عن متناول الباحثين والمؤرخين والمفكرين. فما زالت الدراسات الإسلامية تتجاهل هذا الموضوع. وفي الواقع تتزايد ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب بشكل

ملحوظ. ومازالت أنباء من يعتنقون الإسلام تجد لها مساحة واهتماماً في الإعلام الإسلامي ، وبشكل بسيط في الإعلام الغربي إلا في بعض الحالات ، عندما يكون من اعتنق الإسلام شخصية معروفة أو ذا مركز علمي أو سياسي. لا أحد يعلم كم هو عدد المعتنقين للإسلام في الغرب. ولا توجد إحصاءات دقيقة بل هناك تخمينات وأرقام غير دقيقة تعتمد على الخبرة والتعامل مع المعتنقين. ففي فرنسا مثلاً ، يتراوح عدد المعتنقين بين 50 ألف معتنق حسب تقدير أحد الباحثين الغربيين ، إلى اكثر من 200 ألف معتنق حسب مصدر إسلامي في باريس. هذا التفاوت يعود إلى مبالغة المصادر الإسلامية من جهة وإلى محاولة التقليل من أهمية الموضوع من قبل الغربيين من جهة أخرى ، إذ أن ما يقلق المراكز المسيحية هو كيف يتقبل الأوروبيون دين الإسلام وخاصة مثقفيهم المعروفين بدقة النظر والمنهجية العلمية؟ وفي هولندا، يقدر عدد المعتنقين للإسلام اكثر من 15 ألف شخص وسأحاول في هذه الدراسة الإجابة على التساؤل التالي: لماذا يعتنق الإسلام الكثير من مفكري الغرب ومثقفيهم على اختلاف توجهاتهم سوء أكانت الحادية أم دينية (مسيحية يهودية... الخ)؟ وسأختار كمثال هنا عينة تشمل عشرة أشخاص منهم. فاعتمادا على ما يقوله هؤلاء المفكرون والمثقفون والذي أنقله حرفياً منهم كان القرآن أحد أهم أسباب هدايتهم لما فيه من الإعجاز العلمي كما سنتعرض إلى ذلك في هذا المقال وأيضا النظام المتكامل الموجود في الإسلام لقيادة البشرية نحو الكمال المنشود. هؤلاء المثقفون والعلماء والفلاسفة لم يتأت اعتناقهم للإسلام اعتباطاً بل عن دراسة معمقة ودقيقة وبعد بحث كل الاتجاهات الفكرية الأخرى. والمقال التالي تم تلخيصه من عدة مصادر ليكون حجة على الناس وعلى مروجي الإلحاد وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب. وهذا روجيه غارودي..من الماركسية إلى الإسلام! أستاذ الفلسفة المادية البارز والفيلسوف الفرنسي الماركسي سابقا البروفيسور روجيه غارودي اعتنق الإسلام بعد أن قرأ الديانات كلها. كان غارودي شيوعياً ، لكنه طرد من الحزب الشيوعي سنة 1970م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفيتي ، وبما أنه كان عضواً في الحوار النصراني الشيوعي في الستينيات ؛ فقد وجد نفسه منجذباً للدين وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خلال عقد السبعينيات ، هذا الأديب والمفكر شغل منصب رئيس المجلس الوطني الفرنسي من 1956م - 1958. اسلم جارودي في 11/ رمضان/ 1402هـ. وبدّل اسمه إلى (رجاء) واحدث إسلامه ضجّة كبيرة في الغرب. يقول غارودي عن اعتناقه الإسلام ، أنه وجد أن الحضارة الغربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان ، وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده ، حسبما يرى غارودي ، إلا في الإسلام. والمستشرق غارودي ظلّ ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية ، ووجد أن الإسلام ، حسب فهمه ، ينسجم مع ذلك ويطبقه بشكل فائق. وظلّ على عدائه

للإمبريالية والرأسمالية ، وبالذات لأمريكا. وروجيه غارودي حين أعلن إسلامه قال: أنا لم أعلن إسلامي إعجاباً بما قدّم الإسلام للناس فيما سبق من الزمان ، بل بالأمل العظيم الذي يمكن للإسلام أن يقدمه للإنسان في مستقبله حينما يريد أن يتعايش لسلام على هذه الأرض. نعم فغارودي نظر إلى الموضوع بشكل مختلف ، وهو أننا نحمل بعض القيم الإنسانية ولا نعرف قيمتها جيداً ، وهذه الأخوة والمساواة وعدم احتقار الناس لأعراقهم ولغاتهم وأجناسهم إنها نعمة كبرى ، هذا شيء كبير يفتقده الناس الآن في العالم لا يمكن أن يصير موحداً إلا إذا اعترف الناس بعضهم ببعض في حق الحياة ، وأنهم أخوة لأنهم جميعاً من آدم (كلكم لآدم وآدم من تراب) ، و(ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى) ، هذا مفهوم إنساني غير قابل للانغلاق ، وهذا هو الذي يحتاج إليه الناس في المستقبل ولا يمكن أن يتوقف. استمرت رحلة (روجيه غارودي) قرابة نصف قرن - معتمدا على البحث والحوار والفكر - بغية البحث عن الحقيقة الأزلية حتى أسقطت كل المعتقدات والفلسفات والأفكار ، وانتهى المفكر العالمي (غارودي) إلى الحقيقة الأزلية: ان لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأكد في مؤلفاته على أهم دوافعه في اعتناق الإسلام عندما تعرض للسجن: (أول مرة أتعرف فيها على الإسلام.. عندما أدى بي موقف إلى السجن ثلاث سنوات ، و أصدر الكوماندوز الفرنسي حكماً بإعدامي رمياً بالرصاص ، وأصدر أوامره إلى الجنود الجزائريين المسلمين ، وكانت المفاجأة.. رفض إطلاق النار ، وبعدها عرفت السبب.. إن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل). هذه صورة المفكر الذي يقول: (إن اعتناقي الإسلام لم يكن شيئا من قبيل التجربة ، ولكنه كان شيئاً كالإنجازات الكبرى في حياة الإنسان.. وعندما شرح الله صدري للإسلام تكونت لدي قناعة بأن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله ، أعني بذلك أن الإسلام هو الدين الحق منذ خلق الله آدم.. الإنسان الأول. يقول الدكتور (جرين) وهو أحد كبار الخبراء السياسيين في أمريكا ومن الذين اعتنقوا الإسلام وهو المؤسس والمنشئ لمركز الحضارة والتجديد في أمريكا. (وفي الندوة التي جمعتني مع البروفسور (روجيه غارودي) في دمشق سمعته يتحدث ويهاجم الرأسمالية منذ كان شيوعياً ، وكلانا كان لديه نفس الهدف ، وهو أن يدعم العدالة. وكلانا كان ضدّ التركيز على الثروة ، لأنّ الاهتمام بجمع الثروة ليس بعدل. لقد اتّبع غارودي المبدأ الماركسي الذي يسعى لتحطيم الملكيّة ، في حين أنّي كنتُ أعتبر الملكيّة مفتاحاً للحريّة. لكن كلانا كان يرى أن الملكيّة تؤدّي في النهاية إلى الظلم وعدم انتشار العدل، وكلانا كان يدعو إلى نظام يدعو إلى الإنتاج وإعطاء العدالة للجميع.. لذلك وجدنا أنّ الإسلام هو الحلّ الوحيد ، فهو الذي يحمل العدالة في مقاصد الشريعة وفي الكليّات والجزئيّات والضروريّات ، وأنا كمحام كنتُ أسعى إلى مبادئ ليست من وضع البشر..).

ويواصل د. كرين حديثه متطرّقاً إلى أنّ الغرب أخذ هذه الفضيلة من الشرق أي المقاصد والغايات ثمّ وسّعها وحوّلها سعياً وراء القوّة إلى مدنيّة كبيرة ، وقد أدّت هذه القوّة إلى التحكّم بالعالم. وقد فقد الغرب هنا الدّوافع لحضارته ومدنيّته. وفي الواقع أنّ تحرّي العدالة ليس هدفاً في الغرب (لذلك بدأتُ أسعى وابحث عن العدالة. والمفارقة أنني عندما ذهبتُ إلى جامعة هارفارد وحصلتُ على شهادتي في القانون ، مكثتُ هناك ثلاث سنوات لم أسمع خلالها كلمة العدل ولا مرّة واحدة). إنني أدرك جيداً أنني كررتُ الكثير من هذه المقولات للغربيين المنصفين في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي مدح القرآن وفي مدح الإسلام! ولكن التكرار كان غير متعمد ، حيث إنني جمعت هذه الأقوال ودققتها وحققتها في عقدٍ من السنوات تقريباً! الأمر الذي يجعلني أورد بعض الأقوال والشهادات مبتورة في مقام وكاملة في مقام آخر! وأحياناً أعلق عليها وأحيانا أورد تعليق كتاب آخرين! وأحياناً أتناولها بالشرح بأسلوبي! المهم أن هذه الأقوال وتلك الشهادات ينتظمها قول شوقي الأمير: (والفضل ما شهدت به الأعداءُ!) وإذن فلا أدعي أنني وصلت بها إلى درجة الكمال! ولكنها محاولة على الطريق لكل طالب علم أراد أن يستشهد بأقوال المنصفين من الغربين في الإسلام وكتابه ونبيه ، فليجد مادته سلسة منقحة مدققة هنا! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	ولا رسول الله!	الرمَل	أرباب الوفا	2
2	الإعصار	الكامل	والأسحار	5
3	حوار مع القلم (نهج البردة)	البسيط	نهر دمي	8
4	نهج نهج البردة 1425هـ	البسيط	وعن أمم	19
5	القصيدة المحمدية	البسيط	ذي النعم	35
6	اللهم صل على محمد	الرمل	في الذرى	40
7	اللهيميد وأنواره	الخفيف	ومجدا	44
8	الهجرة النبوية نقطة تحول	الكامل	يا خير الورى	46
9	إنا كفيناك المستهزئين	الكامل	الخالدِ	55
10	إنك ميت ، وإنهم ميتون	الوافر	الوداع	59
11	ثلاثة أقمار ، وأنت رابعتهن	الوافر	خير الأمهاتِ	62
12	حراء	الرمل	الخمج	68
13	في رحاب الهجرة	الكامل	وتُرغبُ	72
14	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	الوافر	الضلالا	76
15	دمعة عند الكعبة	الكامل	أرتعدْ	79
16	لو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه	الكامل	أعلمُ	83
17	قد نبأنا الله من أخباركم	الطويل	ونشيدُ	89
18	أسلموا إذن!	المتقارب	والكذبُ	92
19	لو ولد النبي في أرواحكم	الرمل	القيما	102
20	فداك أبي وأمي ونفسي يا ابنة الصديق	البسيط	بالنغمِ	109
21	من أجلك يا رسول الله!	الكامل	السنا	131
مـــــاذا	قـــــــــالـــــــــــوا	عـــــــن	مـحـمـــــد؟!	133

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (فداك شعري يا رسول الله!)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

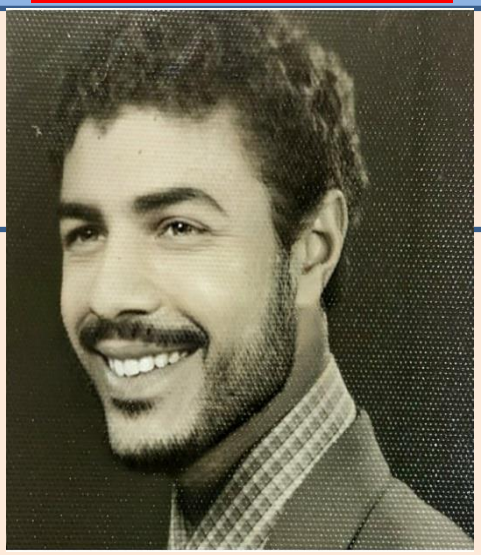

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!